وأصيبت أعرابية بابنها وهى حاجّة فلما دفنته قامت على قبره وقالت

والله يابُنَىّ لقد غَذَوْتُكَ رَضيعا وفَقَدْتُكَ سريعا وكأنّه لم يكن بين الحالَين مُدّة ألْتَذّ بعَيْشك فيها فأصْبَحْتَ بَعْدَ النَضارة والغَضارة ورَوْنَق الحَيَاة والتَنَسّم فى طيب رَوائحها تحتَ أطْباق الثَرَى جَسَدا هامدا ورُفَاتًا سحيقا وصَعيدا جُرُزًا أىْ بُنَىّ لقد سَحَبَت الدنيا عليكَ أذْيَالَ الفَنَا وأسْكَنَتْكَ دارَ البِلَى ورَمَتْنى بَعْدَكَ نَكْبَةُ الرَدَى أى بُنَىّ لقد أسْفَرَ لى عن وجه الدُنْيَا صَبَاحُ دَاجٍ ظَلَامُه . ثم قالت

أىْ رَبّ ومنْكَ العَدْلُ ومن خَلْقكَ الجَوْر وَهَبْتَه لى قُرّة عَيْن فَلَمْ تُمْتِعْنى به كَثيرا بَلْ سَلَبْتَنيه وشيكا ثُمّ أمَرْتَنى بالصَبْر ووَعَدْتَنى عليه الأجْر فَصَدّقْتُ وَعْدَكَ ورَضيتُ قَضَاءَكَ فَرحم اللهُ من تَرَاحَم على مَن اسْتَوْدَعْتُه الرَدْم ووَسَدْتُه الثَرَى اللهمّ ارحمْ غُرْبَتَه وآنس وَحْشَتَه واسْتُرْ عَوْرَتَه يَوْمَ تُكْشَف الهَنَات والسَوْآت

فلما أرادت الرجوعَ الى أهلها قالت

أىْ بُنَىّ إنّى قد تَزَوّدْتُ لسَفَرى فَلَيْتَ شِعْرى مَازَادُكَ لبُعْد طَريقكَ ويَوْم مَعَادكَ اللهمّ إنّى أسْألُكَ له الرضى برضَائى عنه . ثم قالت

اسْتَوْدَعْتُكَ مَن اسْتَوْدَعَكَ فى أحْشَائى جَنينا وأشْكَلَ الوَالدات

ما أمضّ حَرارَةَ قُلُوبهنّ وأقلقَ مَضاجعهنّ وأطول لَيْلَهنّ وأقصر نَهارَهُنّ وأقلّ أُنْسَهنّ وأشدّ وَحْشَتَهنّ وأبعدهنّ من السُّرور وأقربهنّ من الأحزان

وقالت الجُمانة بنت قيس بن زُهير تنصح جدّها الربيع بن زياد

ان كان قَيْسٌ أبي فانّك يا ربيعُ جدّي وما يجب له من حقّ الأبوّة عليّ الا كالّذي يجب عليك من حق البُنُوّة لي والرأي الصحيح تبعثه العناية وتُجلّي عن محضه النصيحة انّك قد ظلمْتَ قيْسًا بأخذ درْعه وأجدُّ مُكافأته إيّاك سوءُ عَزْمه والمُعارض مُنْتَصر والبادي أظلم وليس قيس ممّن يُخوّف بالوعيد ولا يَرْدَعه التهديد فلا تَرْكَنَنّ الى مُنابذته فالحزْم في مُتاركته والحَرْبُ مَتْلَفَة للعباد ذَهّابَة بالطارف والتّلاد والسِّلْم أرْخى للبال وأبقى لأنفُس الرجال وبحقّ أقولُ لقد صَدَعْتُ بحُكْمٍ وما يَدْفع قَوْلي الا غيْرُ ذي فَهْم ثم أنشأتْ تقول

أبى لا يَرَى أن يَتْرُكَ الدهْرَ درْعَه * وجدّي يَرَى أن يأخُذ الدرْعَ من أبي
فرأيُ أبي رأيُ البَخيـــل بمَاله * وشيمةُ جدّي شيمة الخائف الأبي

وقالت بنت حاتم للنبي صلى الله عليه وسلم

يا محمد هَلَكَ الوالد وغابَ الوافد فان رأيتَ أن تُخَلّي عنّي فلا تُشْمِتْ بي أحْياءَ العَرَب فاني بنْتُ سيد قَوْمي كانَ أبي يَفُكّ العَاني ويَحْمي الذّمار

ويَقْرِى الضَّيْفَ ويُشْبِع الجائع ويُفَرِّج عن المكْروب ويُطْعِم الطَعَامَ ويُفْشِى السَّلَام ولم يَرُدّ طَالِبَ حاجة قَطّ أنَا بِنْتُ حَاتِم طَىّ فَقَالَ لها النبىُّ صلى الله عليه وسلم ياجارية هذه صفَةُ المؤمن لو كان أبُوكِ اسْلَامِيًّا لترَحَّمْنا عليه خَلُّوا عَنْها فانّ أباها كان يُحِبّ مَكَارِمَ الاَخْلاق

وقال زُهير بن أبى سُلْمى من معلقته المشهورة

وأعْلَمُ عِلْمَ اليَوم والأمْس قَبْلَه * ولكنَّنى عن عِلْمِ ما فى غد عَمِى
رَأيْتُ المَنَايَا خَبْطَ عَشْوَاءَ مَنْ تُصِبْ * تُمِتْهُ ومَنْ تَخْطِئْ يُعَمَّرْ فَيَهْرَمِ
ومَن لايُصَانِعْ فى أمور كثيرة * يُضَرَّسْ بأنْيَاب ويُوطَأ بِمَنْسِم
ومَن يَجْعَلِ المَعْرُوفَ من دُونِ عِرْضه * يَفِرْهُ ومن لايَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ
ومَن يَكُ ذا فَضْل فَيَبْخَلْ بفَضْله * على قَوْمه يُسْتَغْنَ عنه ويُذْمَمِ
ومَن يُوفِ لايُذْمَمْ ومَن يَهْدِ قَلْبَه * الى مُطْمَئِنّ البِرّ لا يَتَجَمْجَمِ
ومَن هَابَ أسْبَابَ المَنَايَا يَنَلْنَهُ * وانْ يَرْقَ أسْبَابَ السَّماء بِسُلَّمِ
ومن يجعل المعروف فى غير أهله * يَكُنْ حَمْدُه ذَمًّا عليه ويَنْدَمِ
ومَن يَعْصِ أطْرَافَ الزِّجَاجِ فَانَّه * يُطِيعُ العَوَالِى رُكِّبَتْ كُلُّ لَهْذَمِ
ومَن لم يَذُدْ عَن حَوْضه بِسِلَاحه * يُهَدَّمْ ومن لايَظْلِمِ النَّاسَ يُظْلَمِ
ومَن يَغْتَرِبْ يَحْسِبْ عَدُوًّا صَدِيقَه * ومن لايُكَرِّمْ نَفْسَه لا يُكَرَّمِ
ومَهْمَا تَكُنْ عند امْرِئٍ من خَلِيقَةٍ * وان خَالَهَا تَخْفَى على النَّاس تُعْلَمِ

وكائنْ ترَى منْ صامتٍ لكَ مُعْجِبٍ * زيادتُه أوْ نقْصُـــه فى التَّـــكلُّمِ
لسَانُ الفتَى نصْفٌ ونصْفٌ فؤادُهُ * فلَمْ يبْـــقَ الاّ صُورةُ اللّحْمِ والدّمِ

غيلان بن سلمة عند كسرى (جاهلى)

خرج أبو سُفْيان فى جماعة من قريش يريدون العراق بتجارة فلما ساروا ثلاثا جَمَعهم أبو سفيان فقال لهم انّا من مَسـيرنا هذا لَعَلَى خَطر مَاقُدُومُنا على مَلكٍ جبّار لَمْ يأذَن لنَا فى القدوم عليه وليْسَت بلادُه لنَا بمَتْجَر ولكن أيّكُمْ يَذْهَبُ بالعير فان أصيبَ فَنَحْن بَرَاءٌ منْ دَمه وان غَنم فله نصْفُ الرّبح فقال غَيْلان بن سلمة دَعُونى اذاً فَأنَا لَهَا فلمّا قَدم بلادَ كسرى تَحلّق ولبس ثَوْبَيْن أصْفَرَيْن وشَهَرَ أمْرَه وجلَس بباب كسرى حتّى أذن له فَدخَل عليه وبَيْنَهُمَا شُبّاكٌ من ذَهَب فخرج اليه التّرجُمان وقال له يقول لكَ المَلكُ ماأدْخَلَكَ بلادى بغَير اذْنى فقال قُلْ له لَسْت من أهْل عَدَاوَة لَكَ ولا أتَيْتُكَ جَاسُوسًا لضدّ من اضْدَادكَ وانّما جئْتُ بتجارَة تَسْتَمْتع بها فان أردْتَها فَهِىَ لَكَ وان لم تُرِدْها وأذنْتَ فى بَيْعها لرَعيّتكَ بَعْتُها وان لم تَأذَنْ فى ذلكَ رَدَدْتُهَا قال فانّه لَيتَكَلّم اذْ سَمع صَوت كسْرَى فَسَجَد فَقال له الترجمان يَقُول لكَ الملكُ لَمْ سَجَدْتَ فقال سَمعْتُ صَوتا عالِيًا حَيْث لاينْبَغى لاحَد أنْ يَعْلُو صَوْتُه اجْلالا للملكُ فَعلمْتُ أنّه لم يُقْدم على رَفْع الصوت هنالكَ غَيْرُ المَلكُ فسجدت إعظاما له

قال فاستحسن كسرى مافعل وأمر له بمرفقة توضع تحته فلما أتى بها رأى عليها صورة الملك فوضعها على رأسه فاستبهله كسرى واستحمقه وقال للترجمان قل له انما بعثنا بهذه لتجلس عليها قال قد علمت ولكني لما أتيت بها رأيت عليها صورة الملك فلم يكن حق صورته على مثلي أن يجلس عليها ولكن كان حقها التعظيم فوضعتها على رأسي لأنه أشرف أعضائي وأكرمها عليّ فاستحسن فعله جدا ثم قال له ألك ولد قال نعم قال فأيهم أحب اليك قال الصغير حتى يكبر والمريض حتى يبرأ والغائب حتى يؤب فقال كسرى زه ما أدخلك عليّ ودلك على هذا القول والفعل الاحظك فهذا فعل الحكماء وكلامهم وأنت من قوم جفاة لا حكمة فيهم فما غذاؤك قال خبز البر قال هذا العقل من البر لا من اللبن والتمر ثم اشترى منه التجارة بأضعاف ثمنها وكساه وبعث معه من الفرس من بنى له أطما بالطائف فكان أول أطم بني بها

صورة كتاب أرسله الاسكندر الى شيخه الحكيم أرسطو يستشيره فيما يفعله بأبناء ملوك فارس بعد أن قتل آباءهم وتغلب على بلادهم (جاهلي)

عليك أيها الحكيم منا السلام أما بعد فان الأفلاك الدائرة والعلل السماوية وان كانت أسعدتنا بالأمور التي أصبح الناس لنا بها دائنين

فأنا جدُّ واجدين لمسّ الاضطرار الى حكمتك غيرُ جاحدين لفضلك والاقرار بمنزلتك والاستنامة الى مشورتك والاقتداء برأيك والاعتماد لأمرك وفهمك لما بلونا من اجداء ذلك علينا وذُقنا من جنى منفعته حتى صار ذلك بنجوعه فينا وترسّخه في أذهاننا كالغذاء لنا فما ننفكّ نعوّل عليه ونستمدّ منه استمداد الجداول من البحور وتعويل الفروع على الأصول وقوّة الأشكال بالأشكال وقد كان مما سبق لنا من النصر والفلج وأتيح لنا من الظفر والقهر وبلغنا في العدوّ من النكاية والبطش مايعجز القول عن وصفه ويقصر شكر المنعم عن موقع الانعام به وكان من ذلك أنّ جاورنا أرضَ سوريةَ والجزيرة الى بابل وأرض فارس فلمّا حللنا بعقوة أهلها وساحة بلادهم لم يكن الاّ ريثما تلقّانا نفر منهم برأس ملكهم هدية لنا وطلبا للحظوة عندنا فأمرنا بصلب من جاء به وشهرته لسوء بلائه وقلّة ارعوائه ووفائه ثم أمرنا بجمع من كان هنالك من أولاد ملوكهم وأحرارهم وذوي الشرف منهم فرأينا رجالا عظمية أجسامهم وأحلامهم حاضرةً ألبابهم وأذهانهم رائعةً مناظرهم ومناطقهم دليلا على أنّ مايظهر من رواهم ومنطقهم وراءه من قوّة أيديهم وشدة تجلدهم وبأسهم مالا يكون معه لنا سبيل الى غلبتهم واعطائهم بأيديهم لولا أنّ القضاء أدالنا منهم وأظفرنا بهم وأظهرنا عليهم ولم نر بعيدا من

الرَّأى فى أمْرهـم أنْ نَسْـتأصل شَأفَتَهُـم ونجتَثّ أصْلَهم ونُلْحقهم بمن مَضَى من أسـلافهم لتَسْـكُن القُلُوب بذلك الى الأمْن من جَرائرهـم وبوائقهـم فرَأينـا أن لانَعْجَـل باسْـعاف بادئ الرَّأى فى قَتْلهـم دُونَ الاستظهار عليه بمَشُورَتك فارْفَع الينا رَأيَكَ فيما اسْتَشَرْنالَكَ فيـه بَعْد صحَّته عنْدَكَ وتَقْليبكَ اياه بجَلِىّ نَظَرِكَ والسـلام لاهل السلام فَليَكُنْ علينا وعليكَ

اجابة الحكيم ارسطو الى الملك بعد ديباجة طويلة

انّ لكُلّ تُرْبة لامحالة قسما من الفَضائل وانّ لفارس قسْمها من النَّجْدة والقُوّة وانّكَ انْ تَقْتُـل أشْرافَهُم تُخَلّف الوُضَعاء على أعْقابهم وتُورث سفْلَتَهُمْ مَنازلَ عليّتهمْ وتُغَلّب أدْنياءهم على مراتب ذوى أخْطارهم ولم يُبْتَلَ المُلُوكُ قطّ ببَلاء هوأعْظم عليهم وأشَدّ تَوْهينا لسُلْطانهم من غَلَبة السفْلة وذُلّ الوُجُوه فاحْذر الحَذَر كلّه أنْ تمكّن تلكَ الطبَقَةَ من الغَلَبة والحَركة فانّهم انْ تَجَم منْهم بَعْد اليَوم على جُنْدكَ وأهْل بلادكَ ناجمٌ دَهَمَهُم منه مالا رَوِيَّةَ فيه ولابَقيّة مَعَه فانْصَرف عن هذا الرأى الى غيره واعْمِدْ الى مَن قبلكَ من أولئـكَ العُظماء والاحْرار فوَزّع بَيْنَهُـم مَملكَتَهُمْ وألْزم اسمَ المَلكَ كُلّ مَن وَلّيْتَه منهم واعقد التاجَ على رأسـه وان صَغُر مُلْكُه فانّ المُتَسَمّى بالمَلكَ لازمٌ لاسْمه والمَعْقُود التاج على رأسه لايَخْضَع

لغيره فليس ينشب ذلك أن يوقع كل ملك منهم بينه وبين صاحبه تدابرا وتقاطعا وتغالبا على الملك وتفاخرا بالمال والجند حتى ينسوا بذلك أضغانهم عليك وأوتارهم فيك ويعود حربهم لك حربا بينهم وحنقهم عليك حنقا منهم على أنفسهم ثم لا يزدادون فى ذلك بصيرة الا أحدثوا لك بها استقامة ان دنوت منهم دنوا لك وان نأيت عنهم تعززوا بك حتى يثب من ملك منهم على جاره باسمك ويستوهبه بجندك وفى ذلك شاغل لهم عنك وأمان لاحداثهم بعدك وان كان لا أمان للدهر ولا ثقة بالأيام وقد أديت الى الملك ما رأيته لى حظا وعلى حقا من اجابتى اياه الى ما سألنى عنه ومحضته النصيحة فيه والملك أعلى عينا وأنفذ رويّة وأفضل رأيا وأبعد همة فيما استعان بى عليه وكفانى تبيينه والمشورة عليه فيه لا زال الملك متعرفا من عوائد النعم وعواقب الصنع وتوطيد الملك وتنفيس الأجل ودرك الأمل ما تأتى فيه قدرته على غاية أقصى ما تناله قدرة البشر والسلام الذى لا انقضاء له ولا انتهاء ولا غاية ولا فناء فليكن على الملك

انّ غدًا لناظره قريب

أى لمنتظره يقال نظرته أى انتظرته وأول من قال ذلك قراد ابن أجدع وذلك أنّ النعمان بن المنذر خرج يتصيد على فرسه اليحموم

فأجراه على إثر عير فذهب به الفرس فى الارض ولم يقدر عليه وانفرد عن أصحابه وأخذته السماء فطلب ملجأ يلجأ اليه فدفع الى بناء فاذا فيه رجل من طيئ يقال له حنظلة ومعه امرأة له فقال لهما هل من مأوى فقال حنظلة نعم فخرج اليه فأنزله ولم يكن للطائى غير شاة وهو لا يعرف النعمان فقال لامرأته أرى رجلا ذا هيئة وما أخلقه أن يكون شريفا خطيرا فما الحيلة قالت عندى شئ من طحين كنت ادخرته فاذبح الشاة لأتخذ من الطحين ملة قال فأخرجت المرأة الدقيق فخبزت منه ملة وقام الطائى الى شاته فاحتلبها ثم ذبحها فاتخذ من لحمها مرقة مضيرة وأطعمه من لحمها وسقاه من لبنها واحتال له شرابا فسقاه وجعل يحدثه بقية ليلته فلما أصبح النعمان لبس ثيابه وركب فرسه ثم قال يا أخا طيئ اطلب ثوابك أنا الملك النعمان قال أفعل ان شاء الله ثم لحق الخيل فمضى نحو الحيرة ومكث الطائى بعد ذلك زمانا حتى أصابته نكبة وجهد وساءت حاله فقالت له امرأته لو أتيت الملك لأحسن اليك فأقبل حتى انتهى الى الحيرة فوافق يوم بؤس النعمان فاذا هو واقف فى خيله فى السلاح فلما نظر اليه النعمان عرفه وساءه مكانه فوقف الطائى المنزول به بين يدى النعمان فقال له أنت الطائى المنزول به قال نعم قال أفلا جئت فى غير هذا اليوم قال أبيت اللعن وما كان على بهذا اليوم قال

والله لوسنح لى فى هـذا اليوم قابوس ابنى لم أجد بدًّا من قتله فاطلب حاجتك من الدنيا وسل مابدا لك فانك مقتول قال أبيت اللعن وما أصنع بالدنيا بعد نفسى قال النعمان انه لاسبيل اليها قال فان كان لابد فأجلنى حتى ألم بأهلى فأوصى اليهم وأهيئ حالهم ثم أنصرف اليك قال النعمان فأقم لى كفيلا بموافاتك فالتفت الطائى الى شريك بن عمرو بن قيس من بنى شيبان وكان يكنى أبا الحوفزان وكان صاحب الردافة وهو واقف بجنب النعمان فقال له

ياشريكا يابن عمرو * هل من الموت محالهْ
يا أخا كل مضاف * يا أخا من لا أخا لهْ
يا أخا النعمان فك الـ * ـيوم ضيفا قد أتى لهْ
طالما عالج كرب الـ * ـموت لا يبغى بالهْ

فأبى شريك أن يتكفل به فوثب اليه رجل من كلب يقال له قراد ابن أجدع فقال للنعمان أبيت اللعن هو علىّ قال النعمان أفعلت قال نعم فضمنه إياه ثم أمر للطائى بخمسمائة ناقة فمضى الطائى الى أهله وجعل الأجل حولا من يومه ذلك الى مثل ذلك اليوم من قابل فلما حال عليه الحول وبقى من الأجل يوم قال النعمان لقراد ما أراك الا هالكا غدًا فقال قراد

فان يكُ صدْرُ هذا اليوم وَلَّى * فانّ غَدًا لناظره قَـــريب

فلما أصبح النعمان ركبَ فى خَيْله ورَجْله مُتَسَلِّحا كما كان يفعل حتى أتى الغَرِيَّيْن فَوَقَف بَيْنَهُما وأَحْرَج مَعَـه قُرادًا وأَمَرَ بقَتْـله فقال له وُزَرَاؤه ليس لكَ أن تَقْتُـله حتى يستوفىَ يَوْمه فتَركه وكان النعمان يشتهى أنْ يُقتَل قُرادٌ ليُفْلِتَ الطائىُ من القَتْل فلما كادت الشمس تَجب وقُرادٌ قائم مُجَرَّد فى ازار على النطَع والسَّيَّاف الى جَنْبه أقبلَت امرأتُه وهى تقول

أيا عَيْنُ بَكّى لى قُرادَ بْنَ أَجْدَعَا * رَهينـا لقَتْـل لا رَهينـا مُوَدَّعَا

أَتَتْـه المَنَايَا بَغْتَـةً دُونَ قَوْمه * فأَمْسَى أسيرًا حاضرَ البَيْتِ أَضْرَعَا

فَبَيْنَما هم كَذَلكَ اذْ رُفع لهم شَخْص من بَعيد وقد أَمَرَ النُّعمان بقَتْل قُرَاد فقيل له ليس لكَ أنْ تَقْتُلَه حتى يأتيكَ الشَّخْصُ فَتَعْـلم مَنْ هُو فَكَفّ حتى انْتَهَى اليهم الرَّجُل فاذا هو الطّائىُّ فلمَّا نَظَر اليه النُّعْمان شَقّ عليـه مَجيئُهُ فقال له ماحَمَلَكَ على الرُّجُوع بَعْد افْلَاتك من القَتْل قال الوَفَاءُ قال ومادَعَاكَ الى الوَفَاء قال دينى قال النعمان ومادِينُكَ قال النصرانيةُ قال النعمان فاعْرِضْها عَلَىَّ فَعَرَضَها عليه فَتَنَصَّر النعمان هو وأَهْلُ الحيرة أجمعون وكان قبل ذلكَ على دين الجاهلية فَتَرَكَ القَتْل مُنْذُ ذلكَ اليوم وأَبْطَل تلكَ السُّنّة وأَمَرَ بهَدْم الغَرِيَّيْن وعَفَا عن قُرَاد والطائىّ

وقال والله ما أدْرى أيّهما أوْفى وأكْرَمُ أهَذَا الذى نجَا من القتل فعادَ أمْ الّذى ضَمنَه والله لا أكونُ ألْأمَ الثلاثة فأنشأ الطائىّ يقول

ما كُنْتُ أخْلفُ ظَنّه بعد الذى * أسْدَى الىَّ من الفَعَال الخَالى
ولقد دَعَتْنى للخلاف ضَلالَتى * فأبَيْتُ غيرَ تَعَمُّدى وفَعَالى
انّى امْرُؤ منّى الوَفَاء سجيّـــة * وجَـــزَاءُ كُلّ مُـــكَارِمٍ بَذّال

وقال أيضا يَمْدَح قُرادا

ألاَ إنّما يَسْمُو الى المَجْد والعُلَى * مَخَاريقُ أمْثالُ الْقُراد بن أجْدَعَا
مَخَاريقُ أمْثَال القُرَاد وأهْـله * فانّهُـمُ الاخْيَار من رَهْط تُبَّعَا

انتهى هـذا هو المشهور والصحيح ان صاحب الغَرِيّيْن ويوم البؤس هو المُنْذر الأكْبَر

ان أخاك من آساك

يقال آسيت فلانا بمالى أو غيره اذا جَعَلْتَه أسْوَةً لَكَ وواسَيْتُ لُغَـة فيه ومَعْنَى المَثَل أنّ أخاكَ حقيقةً مَن قَدّمَكَ وآثَرَكَ على نَفْسه يُضرب فى الحثّ على مراعاة الاخوان وأوّل مَن قال ذلك خُزَيم بن نَوْفل الهَمْدَانى وذلك انّ النعمان بن ثَوَاب العَبْدى ثم الشَّنّى كان له بَنُون ثلاثة سعد وسعيد وساعدة وكان أبُوهم ذا شَرَف وحكْمَة وكان يُوصى بَنيـه ويَحْملهُم عَلَى أدَبه أمّا ابْنُه سعد فكان شجاعا بَطَلا من شياطين العَرَب

لا يُقام لسبيله ولم تَفُتْـه طَلَبَتُه قَطّ ولم يَفرّ عن قِرْن وأمّا سعيد فكان يُشْبه أباه فى شَرَفه وسُودَده وأمّا ساعدة فكان صاحبَ شَرَاب ونَدَامى وإخْوَان فلمّا رأى الشيخُ حالَ بَنيه دَعَا سعدا وكان صاحبَ حَرْب فقال يابُنَىّ انّ الضّارم يَنْبُو والجَوَاد يَكْبُو والأثَر يَعْفُو فاذا شَهدت حَرْبا فرأيْتَ نارَهـا تَسْتَعر وبَطَلَها يَخْطر وبَحْرَها يَزْخَر وضَعيفَها يُنْصَر وجَبَانَها يَجْسُر فأقْلل المَكْث والانتظار فان الفرار غَيْرُ عار اذا لم تَكُن طَالبَ ثار فانّما يُنْصَرون هُمْ وإيّاكَ أن تكونَ صَيد رِمَاحها ونَطيح نِطَاحها وقال لابْنه سعيد وكان جَوَادا يابُنَىّ لا يَبْخَل الجَوَاد فابْذُل الطّارفَ والتّلَاد وأقْلل التّلَاحَ تُذْكَر بالسّماح وابْذُل إخْوَانَكَ فانّ وَافيهـم قَليل واصْنَع المَعْروف عنـد مُحْتَمله وقال لابْنه ساعدة وكان صاحبَ شَرَاب يابُنَىّ انّ كَثْرَة الشّراب تُفْسد القَلْب وتُقَلّل الكَسْب فأبْصر نَدِيمَكَ واحْم حَرِيمَكَ وأعن غَرِيمَكَ واعلم أن الظّمأ القَاحِ خَيْرٌ من الرّىّ الفَاضح وعليك بالقَصْد فانّ فيـه بَلَاغا ثم انّ أباهُم النُّعْمان بن ثَوَاب تُوُفّى فقال ابنُـه سَعيد وكان جَوَادا سَيّدا لآخُذَنّ بوَصيّة أبى ولأبْلُوَنّ اخْوَانى وثِقَاتى فى نفسى فعَمَد الى كَبْش فذبَحَه ثم وضعه فى ناحية خبائه وغَشّاه ثوبا ثم دعا بعضَ ثقاته فقال يافلان ان أخَالَكَ مَن وَفَى لكَ بعَهْده وحَاطَكَ برِفْده ونَصَرَكَ بوُدّه قال صَدَقْت فهل حَدَث أمْرٌ قال نعم انّى

قَتَلْت فُلَانا وهو الذى تَرَاه فى ناحية الخباء ولابُدّ من التّعاوُن عليه حتى يُوَارَى فَمَا عندكَ قال يَالَها سَوْأَة وَقَعْتَ فيها قال فانّى أريد أن تُعينَنى عليــه حتّى أغَيّبَه قال لَسْتُ لكَ فى هذا بصاحب فتَرَكه وخرج فبَعَث الى آخَر من ثِقَاته فأخْبَره بذلكَ وسألَ مَعُونَتَه فرَدّ عليه مثلَ ذلكَ حتى بعث الى عَدَد منهم كُلُّهم يَرُد عليه مثلَ جواب الاوّل ثم بعث الى رجل من اخوانه يقال له خُزَيم بن نَوْفل وقال له ياخُزَيم مالى عنــدكَ قال ما يَسُرّكَ وما ذَاكَ قال انّى قَتَلْت فلانا وهو الذى تراه مُسَجًّى قال أيْسَر خَطْب فتُريد مَاذَا قال أريد أن تُعينَنى حتّى أغَيّبَــه قال هَانَ مافَزِعْتَ فيــه الى أخيكَ وغُلَام سعيد قائم مَعَهُما فقال له خُزَيم هل اطّلَع على هذا الأمْر أحَدٌ غير غُلَامكَ هذا قال لا قال انْظُرْ ما تَقُول قال ماقُلْتُ الَّا حَقًّا فأهْوَى خُزَيم الى غُلامه فَضَرَبه بالسيف وقَتَله وقال ليس عَبْــد أخًا لَكَ فأرْسلهَا مثلا وارتاع سعيد وفَزِع لقَتْل غُلامه فقال وَيْحكَ ماصنَعْتَ وجَعَل يَلُومه فقال خُزَيم انّ أخَالَكَ من آسالكَ فأرْسَلَها مَثَلاً قال سعيد فانّى أرَدْت تَجْرِبَتَكَ ثم كَشَف عن الكَبْش وخَبَّره بما لَقِى من إخْوانه ونُقَاته وما ردّوا عليه فقال خزيم سَبَق السَّيْفُ العَذَل فذَهَبَتْ مَثَلاً

ألاَ مَنْ يَشْتَرِى سَهَرًا بِنَوْم

قالوا أنّ أوّل من قال ذلك ذُو رُعَيْن الحِمْيَرى وذلك انّ حِمْيَر تَفَرَّقَت على مَلِكها حَسّان وخَالَفَت أمْرَه لسوء سيرته فيهم ومالوا الى أخيه عَمْرو وحَمَلُوه على قَتْل أخيه حسان وأشاروا عليه بذلك ورغّبوه فى المُلْك ووعدوه حُسْنَ الطاعة والمُوازَرة فَنَهاه ذُو رُعَيْن من بين حِمْيَر عن قَتْل أخيه وعَلِم أنّه ان قَتَل أخاه نَدِم ونَفَر عَنْه النَّوْم وانتقضت عليه أُمُوره وأنّه سَيُعَاقب الذى أشار عليه بذلك ويَعْرف غشّهم له فلمّا رَأى ذُو رُعَين أنّه لا يَقْبَل ذلك منه وخَشِىَ العواقبَ قال هذين البيتين الآتيَيْن وكتبهما فى صحيفة وختم عليها بخاتم عمرو وقال هذه وديعة لى عندك الى أن أطلبها منك فأخذها عمرو فدفعها الى خازنه وأمَرَه برَفْعها الى الخزانة والاحتفاظ بها الى أن يَسأل عنها فلمّا قَتَل أخاه وجلس مَكانَه فى المُلْك مُنع منه النَّوْم وسُلّط عليه السَّهر فلمّا اشتدّ ذلك عليه لَمْ يَدْعُ بالمين

مُنَجّما ولا عَرّافا ولا عَائفا الاّ جَمَعَهُم ثم أخْبَرَهم بقصّته

فقالوا له ماقَتَل رَجُلٌ أخاهُ أوْ ذَا رَحِمٍ منه على نحو ماقَتَلْتَ أخاكَ الاّ أصَابَهُ السَّهر ومُنع منه النَّوْم فلما قالوا له ذلك أقْبَل على مَن كَانَ أشَار عليه بقَتْل أخيه وسَاعَده عليه من أقْيال حِمْيَر فقَتَلَهُم حَتّى أفْنَاهُم فلمّا وَصَل الى ذى رُعَيْن قال له أيُّها المَلِك انّ لى عِنْدَك بَرَاءَةً مما تُرِيد أنْ

تصنع بى قال وما براءتك وأمانك قال مُرْ خازنك أنْ يُخرج الصحيفة التى استودعتكها يوم كذا وكذا فأمر خازنه فأخرجها فنظر الى خاتمه عليها ثم فضها فاذا فيها

ألا من يشترى سهرًا بنوم * سعيدٌ من يبيتُ قرير عين
فأما جيرُ غدرت وخانت * فعذرة الا له لذى رُعين

ثم قال أيها الملك قد نهيتك عن قتل أخيك وعلمت أنك ان فعلت ذلك أصابك الذى قد أصابك فكتبت هذين البيتين براءة لى عندك مما علمت أنك تصنع بمن أشار عليك بقتل أخيك فقبل ذلك منه وعفا عنه وأحسن جائزته

انّ العَصَا من العُصَيَّة

قال أبو عبيد هكذا قال الاصمعىّ وأنا أحسبه العُصَيّة من العَصَا الا أن يُراد أنّ الشئ الجليل يكون فى بَدْء أمْره صغيرا كما قالوا انّ القَرْم من الأفيل فيجوز حينئذ على هذا المعنى أن يُقال العَصَا من العُصَيَّة قال المُفَضّل أوّل مَن قال ذلك الأفْعَى الجُرْهُمىّ وذلك أنّ نزارًا لمّا حضرته الوفاة جمع بنيه مُضَر وإيادًا وربيعة وأنمارًا فقال يابَنىّ هذه القُبّة الحمراء وكانت من أدم لمُضَر وهذا الفَرَس الأدْهَم والحِباء الأسْوَد لربيعة وهذه الخادم وكانت شَمْطاء لإياد وهذه البَدْرة والمِجْلس لأنمار

يجلس فيـــه فان أشكل عليكم كيف تقتسمون فأتوا الأفعى الجرهمى ومنزله بنجران فتشاجروا فى ميراثه فتوجهوا الى الأفعى الجرهمى فبينما هم فى مسيرهم اليـــه اذ رأى مضر أثر كلأ قد رعى فقال انّ البعير الذى رعى هذا لأعور قال ربيعة انه لأزور قال إياد انه لأبتر قال أنمار انه لشرود فسارُوا قليلا فاذا هم برجل ينشد جمله فسألهم عن البعير فقال مضر أهو أعور قال نعم قال ربيعـــة أهو أزور قال نعم قال إياد أهو أبتر قال نعم قال أنمار أهو شرود قال نعم وهـــذه والله صفة بعيرى فدلوني عليه قالوا والله مارأيناه قال هذا والله الكذب وتعلق بهم وقال كيف أصدقكم وأنتم تصفون بعيرى بصفته فسارُوا حتى قدموا نجران فلمّا نزلوا نادى صاحب البعير هؤلاء أخذوا جملى ووصفوا لى صفته ثم قالوا لم نره فاختصموا الى الافعى وهو حكم العرب فقال الافعى كيف وصفتموه ولم تروه قال مضر رأيته رعى جانبًا وترك جانبًا فعلمت أنه أعور وقال ربيعة رأيت احدى يديه ثابتة الأثر والاخرى فاسدته فعلمت أنه أزور لانه أفسده لشدة وطئه لازوراره وقال إياد عرفت أنه أبتر باجتماع بعره ولو كان ذيالًا لمصع به وقال أنمار عرفت أنه شرود لانه كان يرعى فى المكان الملتف نبته ثم يجوزه الى مكان أرق منه وأخبث نبتا فعلمت أنه شرود فقال للرجل ليسوا بأصحاب بعيرك فاطلبه ثم

سألهـم مَنْ أنتم فأخبروه فرحّب بهـم ثم أخبروه بما جاء بهم فقال أتحتاجون الىّ وأنتم كما أرى ثم أنزلهـم فذبح لهـم شاةً وأتاهم بخمر وجلس لهم الافعى حيث لايرى وهو يسمع كلامهم فقال ربيعة لم أرَ كاليوم لحمًا أطيب منـه لولا أنّ شاته غُذيت بلبن كلبـة فقال مُضر لم أرَ كاليوم خمرا أطيب منـه لولا أنّ حبلتها نبتت على قبر فقال إياد لم أرَ كاليوم رجلاً أسرى منه لولا أنه ليس لأبيه الذى يُدّعى له فقال أنمار لم أرَ كاليوم كلامًا أنفع فى حاجتنا من كلامنا وكان كلامهم بأذنه فقال ماهؤلاء الاّ شياطين ثم دعا القهرمان فقال ماهـذه الخمر وما أمرها قال هى من حبلة غرستها على قبر أبيك لم يكن عندنا شراب أطيب من شرابها وقال للراعى ماأمر هـذه الشاة قال هى عناق أرضعتها بلبن كلبة وذلك أنْ أمّها كانت قد ماتت ولم يكن فى الغنم شاة ولدت غيرها ثم أتى أمه فسألها عن أبيه فأخبرته أنها كانت تحت ملك كثير المال وكان لا يولد له قالت فخفت أنْ يموت ولا ولد له فيذهب الملك فأمكنت من نفسى ابن عمّ له كان نازلا عليه فخرج الأفعى اليهم فقصّ القوم عليـه قصتهم وأخبروه بما أوصى به أبوهم فقال ماأشبه القُبّة الحمراء من مال فهو لمضر فذهب بالدّنانير والأبل الحمر فسُمّى مضر الحمراء لذلك وقال وأمّا صاحب الفرس الأدهم والخباء الأسود فله كلّ

شئ أسْوَد فصارت لربيعة الخَيْـل الدُّهْم فقيل رَبيعة الفَرَس وما أشْبَه الخَادمَ السَّمْطَاء فَهُمَ لأيَاد فصار له الماشيَة البُلْق من الحَبَلَق والنَّقَـد فسُمّي إيَاد السَّمْطَاء وقَضَى لأعْمار بالدَّراهم وبما فَضَل فسمّي أعْمار الفَضْل فَصَـدَرُوا من عنده على ذلك فقالَ الأقْعَى إنّ العَصَا من العُصَيّة وإن خُشَيْنًا منْ أخْشَن ومُساعدة الخاطل تُعَدّ من الباطل فأرسلهنّ مثـلا وخُشَيْن وأخْشَن جَبَلان أحَدُهما أصْغَر من الآخر والخاطل الجاهـل والخَطَل فى الكلام اضْطرابه والعُصَيّة تَصْغير تكْبير مثـل أنا عُذَيْقُها المُرَجَّب وجُذَيْلُها المُحَكَّك والمُراد أنّهم يُشْـبِهُون أبَاهُمْ فى جَوْدة الرَّأى وقيل انّ العَصَا اسمُ فَرَس والعُصَيّة اسم أمّه يُرَاد أنّه يَحْكى الأم فى كَرَم العِرْق وشَرَف العِتْق

خطب يسير فى خطب كبير

قاله قَصير بن سَـعْد اللَّخْمىّ لجَذيمة بن مالك بن نَصْر الذى يُقال له جَذيمة الأبْرَش وجَذيمة الوَضّاح والعرب تقول للّذى به البَرَص به وضَح تَفَاديًا من ذكْر البَرَص وكان جَذيمة مَلَكَ ما عَلَى شاطئ الفُرات وكانت الزَّبّاء مَلكة الجَزيرة وكانت منْ أهل بَاجَرْمَا وتتكلّم بالعربية وكان جَذيمة قد وَتَرَهـا بقَتْل أبيها فلما استجمَعَ أمْرُها وانتَظم شَمْلُ مُلْكهـا أحَبَّت أنْ تَغْزُوَ جَذيمة ثم رأت أنْ تَكْتُب اليه أنّها لَمْ تَجِدْ مُلْكَ النّساء إلاّ قَبيحا

فى السماع وضعفًا فى السلطان وأنها لم تجد لملكها موضعا ولا لنفسها كفؤا غيرك فأقبل الىّ لأجمع ملكى الى ملكك وأصل بلادى ببلادك وتقلد أمرى مع أمرك تريد بذلك الغدر فلما أتى كتابها جذيمة وقدم عليه رسلها استخفه مادعته اليه ورغب فيما أطمعته فيه فجمع أهل الحجا والرأى من ثقاته وهو يومئذ ببقة من شاطئ الفرات فعرض عليهم مادعته اليه وعرضته عليه فاجتمع رأيهم على أن يسير اليها فيستولى على ملكها وكان فيهم قصير وكان أريبًا حازما أثيرا عند جذيمة فالفهم فيما أشاروا به وقال رأى فاتر وغدر حاضر فذهبت كلمته مثلا ثم قال لجذيمة الرأى أن تكتب اليها فان كانت صادقة فى قولها فلتقبل اليك والا لم تمكنها من نفسك ولم تقع فى حبالها وقد وترتها وقتلت أباها فلم يوافق جذيمة ماأشار به فقال قصير

إنى امرؤ لا يميل العجز تروينى * اذا أتت دون شأبى مرة الرزم

فقال جذيمة لا ولكنك امرؤ رأيك فى الكن لا فى الضح فذهبت كلمته مثلا ودعا جذيمة عمرو بن عدى ابن أخته فاستشاره فشجعه على المسير وقال ان قومى مع الزباء ولو قد رأوك صاروا معك فأحب جذيمة ماقاله وعصى قصيرا فقال قصير لايطاع لقصير أمر فذهبت مثلا واستخلف جذيمة عمرو بن عدى على ملكه وسلطانه وجعل عمرو بن عبدالجن معه

على جُنُوده وخُيُوله وسار جذيمـة فى وُجُوه أصحـابه فأخذ على شاطئ الفُرات من الجانب الغَرْبِيّ فلمـا نزل دعا قصـيرا فقال ماالرَّأىْ ياقصير فقال قصير بَبَقَّةَ خَلَّفْتُ الرَّأىَ فذهَبَتْ مَثلا قال وما ظَنُّكَ بالزَّبّاء قال القَوْلُ رَدَاف والحَزْم عَثَراتُه تُخَـاف فذهبت مثلا واسْتَقْبَلَه رُسُل الزَّبّاء بالْهَدَايا والألْطاف فقال ياقصير كيف تَرَى قال خَطْبٌ يَسير فى خَطْب كَبير فذهبت مثلا وستَلْقَـالُ الخُيُول فانْ سَارَتْ أمَامَكَ فالمَرْأة صادقة وان أخَذَت جَنْبَتَيْـكَ وأحَاطَتْ بكَ من خَلْفـكَ فالقَوْم غَادرُون بكَ فارْكَبْ العَصَا فانّه لايُشَقّ غُبَـارُها فذَهَبَت مَثَـلا وكانت العصا فَرَسا لجَذيمة لاتُجَـارَى وإنّى رَاكبُها ومُسَايرُكَ عليها فَلَقيَتْه الخُيُول والكَتَائب فَحَالَتْ بَيْنَـه وبَيْن العَصَا فَرَكبها قَصير ونظر اليه جَذيمة على مَتْن العصا مُوَلّيا فقـال وَيْل أمّه حَزْما على مَتْن العَصَا فَذَهَبَتْ مثـلا وجَرَت به الى غروب الشمس ثم نَفَقَتْ وقد قَطَعَت أرْضا بَعيـدة فبَنَى عليها بُرْجا يقـال له بُرْج العَصَـا وقالت العـرب خَيْرٌ مّاجَاءت به العَصَا فذهبت مثلا وسار جذيمة وقد أحاطت به الخيـل حتى دَخَل على الزّبّاء فرآها على غير أُهْبَه العَرُوس فقـال بَلَغ المَدَى وجَفّ الثَّرَى وأمْرٌ غُدْر أرَى فذهبت مثـلا ودعَتْ بالسـيف والنِطَع ثم قالت انّ دمَاءَ المُلُوكُ شفَاء من الْكَلَب فأمَرَتْ بطَسْت منْ ذَهَب قد أعَدّتْه له فَسَـقَتْه الخَمْرَ حتى

سكر وأخذت الخمر منه مأخذها فأمرت براهشيه فقطعا وقدمت اليه الطست وقد قيل لها إنْ قطر من دمه شئ فى غير الطست طلب بدمه وكانت الملوك لا تقتل بضرب الأعناق إلا فى القتال تكرمة للملك فلما ضعفت يداه سقطتا فقطر من دمه فى غير الطست فقالت لا تضيعوا دم الملك فقال جذيمة دعوا دما ضيعه أهله فذهبت مثلا فهلك جذيمة وجعلت الزباء دمه فى ربعة لها وخرج قصير من الحى الذى هلكت العصا بين أظهرهم حتى قدم على عمرو بن عدى وهو بالحيرة فقال له قصير أثائر أنت قال بل ثائر سائر فذهبت مثلا ووافق قصير الناس وقد اختلفوا فصارت طائفة مع عمرو بن عدى اللخمى وجماعة منهم مع عمرو ابن عبد الجن الجرمى فاختلف بينهما قصير حتى اصطلحا وانقاد عمرو بن عبد الجن لعمرو بن عدى فقال قصير لعمرو بن عدى تهيأ واستعد ولا تطلبن دم خالك قال وكيف لى بها وهى أمنع من عقاب الجو فذهبت مثلا وكانت الزباء سألت كاهنة لها عن هلاكها فقالت أرى هلاكك بسبب غلام مهين غير أمين وهو عمرو بن عدى ولن تموتى بيده ولكن حتفك بيدك ومن قبله ما يكون ذلك فحذرت عمرا واتخذت لها نفقا من مجلسها الذى كانت تجلس فيه الى حصن لها فى داخل مدينتها وقالت ان فجأنى أمر دخلت النفق الى حصنى ودعت رجلا مصورا

مِنْ أَجْوَدِ أَهْلِ بِلادِهِم تصويرا وأحسنهم عَمَلا فجهَّزَتْه وأحسَنَتْ اليه وقالت سِرْ حَتّى تَقْدَمَ على عَمْرِو بن عَدِىّ مُتَنَكِّرا فتَخَالُ بَحْشَمه وتَنْضَمّ اليهم وتخَالطُهم وتُعْلِمُهم ماعنْدَكَ من العِلْمِ بالصُّوَرِ ثم أَثْبِتْ لى عَمْرو ابنَ عدىّ مَعْرِفَةً فَصَوِّرْهُ جالسا وقائما وراكبا ومتفضّلا ومتسلّحا بهيأته ولِبْسته ولَوْنِه فاذا أَحْكَمْتَ ذلكَ فَأَقْبِلْ الىّ فانْطَلَقَ المُصَوِّر حتى قدم على عمرو بن عدى وصَنَعَ ماأَمَرَتْه به الزّباء وبلَغ من ذلكَ ماأَوْصَتْه به ثم رجَعَ الى الزباء بعَمَلِ ماوَجَّهَتْه له من الصُّورة على ماوَصَفَتْ وأَرادَتْ أَنْ تَعْرِف عَمْرو بنَ عدى فلا تَرَاه على حال إلاَّ عَرَفَتْه وحَذِرَتْه وعَلِمَتْ عِلْمَه فقال قصير لعمرو بن عدى اجْدَعْ أَنْفِى واضْرِبْ ظَهْرِى ودَعْنِى وإيَّاها فقال عمرو ماأَنَا بفَاعِلٍ وما أَنْتَ لذلكَ مُسْتَحِقًّا عندى فقال قصير خَلِّ عَنِّى اذًا وخَلَلَكَ ذَمٌّ فذهبت مثلا فقال له عمرو فأَنْتَ أَبْصِر فجَدَعَ قصير أَنفه وأَثَّر آثارا بظَهْره فقالت العرب لامرٍ مّا جَدَعَ قَصِير أَنْفَه وفى ذلكَ يقول المتلمس

وفى طَلَبِ الأَوْتارِ ماحَزَّ أَنْفَـه * قَصِير ورَامَ المَوْتَ بالسيف بَهْس

ثم خَرَجَ قصير كأنّه هاربٌ وأَظْهَرَ أَنّ عَمْرًا فَعَلَ ذلكَ به وأنّه زَعَم أنّه مَكَرَ بخَاله جَذِيمة وغَرَّه من الزَّبّاء فسار قصير حتى قدم على الزباء فقيل لها ان قصيرا بالباب فأَمَرَتْ به فأُدخل عليها فاذا أَنْفُه قد جُدِع وظَهْره

قد ضُرب فقالت مَاالَّذى أرَى بكَ ياقصير قال زَعم عَمرو أنّى قد غَرَرْتُ خالَه وزَيَّنْت له المَصير اليكَ وغَشَشْتُه ومَالأَتُكَ ففَعل بى ماتَرَيْنَ فأقْبَلْتُ اليكَ وعَرَفْت أنّى لاأكُون مَعَ أحَد هو أثْقَلُ عليـه منْكَ فأكْرَمتْـه وأصَابَتْ عنـدَه من الحَزْم والرَّأى ماأرَادَتْ فلَمّا عَرَفَ أنّها استَرْسَلَتْ اليه ووثقَتْ به قال إنّ لى بالعراق أمْوالا كثيرة وطَرائفَ وثيَابًا وعطرًا فابْعَثينى الى العراق لأحْمل مالى وأحْمل اليكَ من بُزُورها وطَرائفها وثيابها وطيبها وتُصيبينَ فى ذلكَ أرْبَاحا عظَامًا وبَعْضَ مَالاغنًى بالمُلُوكَ عنه وكان أكْثَر مايُطْرفُها من التَمْر الصَّرَفَان وكان يُعْجبُها فلَم يَزَلْ يُزَيّن ذلكَ حتى أذنَت له ودفَعَت له أموالا وجَهَّزَت معه عَبيدا فَسَار قصير بما دَفَعَتْ اليه حتى قدم العراق وأتَى الحيرَة مُتَنَكّرا فدَخَل على عَمْرو فأخْبَرَه الخَبَرَ وقال جَهّزْنى بصُنُوف البَزّ والأمْتعة لَعَلّ الله يُمكّن من الزَّبّاء فتُصيبَ ثَأْرَكَ وتَقْتُلَ عَدُوّكَ فأعْطاه حاجَتَه فَرَجَع بذلكَ الى الزّبّاء فأعْجَبَها مارَأَتْ وسَرّها وازْدادَت به ثقَةً وجَهَّزَتْه ثانية فسار حتّى قَدم على عَمْرو فجَهَّزه وعَادَ اليها ثم عَادَ الثالثة وقال لعمرو اجْمَعْ لى ثقَات أصْحابكَ وهَيّئ الغَرَائرَ والمسُوح واحْمل كُلَّ رَجُلَين على بَعير فى غرارَتَيْن فاذا دَخَلوا مَدينَةَ الزّبّاء أقْتُلُ على باب نَفَقها وخَرَجَت الرّجال من الغَرَائر فصَاحُوا بأهْل المدينة فَمَن قَاتَلَهُم قَتَلُوه وان أقْبَلَتْ الزّبّاء تُريد النَفَق جَلّلَتْها بالسَـيف ففَعَل

عَمْرو ذلك وحَمَلَ الرِّجالَ فى الغَرائر بالسلاح وسارَ يكْمُنُ النهارَ ويَسير اللَّيْلَ فلما صار قريبا من مَدينَتها تَقَدّم قصير فبَشَّرَها وأعْلَمَها بما جاء به من المَتاع والطَّرائف وقال لها آخر البَرْ على القَلُوص فأرْسَلَها مَثَلاً وسألَها أنْ تَخْرُج فتَنْظُر الى ماجاء به وقال لها جئتُ بما صاء وصَمَتَ فذَهَبَتْ مثلا ثم خرجت الزَّبّاء فأبْصَرت الابلَ تكاد قَوائمها تَسُوخ فى الأرْض من ثِقَل أحْمالها فقالت ياقصير

ما للجِمال مَشْيُها وَئيـدا * أجَنْدَلاً يَحْمِلْنَ أمْ حَديدا

* أمْ صَرْفَانًا تارزًا شَديدا *

فقال قصير فى نَفْسه

* بَل الرِّجالَ قُبَّضًا قُعُودا *

فدَخَلَت الابلُ المدينةَ حتى كان آخرها بعيرا مَرّ على بَوّاب المدينة وكان بيده مِنْخَسَة فنَخَس بها الغرارة فأصابَتْ خاصرة الرَّجُل الذى فيها فسُمِع منه صَوْتٌ فقال البَوّاب بالرُّوميّة مامعناه شَرٌّ فى الجُوالق فأرْسلها مَثَلا فلما توسّطت الابل المدينة أُنيخَتْ ودَلّ قَصير عَمْرا على باب النَّفَق الذى كانت الزباء تَدْخله وأرَتْه إيّاه قَبْـل ذلك وخَرَجَت الرجال من الغَرائر فصاحُوا بأهْل المدينة ووضَعُوا فيهم السلاح وقام عَمْرو على باب النَّفَق وأقْبَلَت الزّبّاء تُريد النَّفَق فأبْصَرت عَمْرا فعَرَفَتْـه بالصورة التى صُوِّرَت

لها فَصَّت خاتَمها وكان فيه السّم وقالت بيَدى لا بيَد ابن عَدِيّ فَذَهَبَتْ كَلِمَتُها مَثَلا وَتلقّاها عَمْرو فَقَلّها بالسيف وقَتَلها وأصاب ما أصاب من المدينة وأهلها وانْكَفَأ راجعا الى العراق

صارت الفِتْيانُ حُمَّا

هـذا من قول الحَمْراء بنت ضَمْرة بن جابر وذلك أنّ بنى تَميم قَتَلُوا سَعْدَ بنَ هِنْد أخا عَمْرو بن هِنْـد المَلِكُ فَنَـذر عَمْرو لَيَقْتُلَنّ بأخيه مائةً مِنْ بَنى تَميم فجمعَ أهْل مَمْلَكته فسارَ اليهم فَبَلَغَهُمُ الخبرَ فتَفَرّقُوا فى نَواحى بلادهم فأتَى دارَهُمْ فَلَمْ يَجِـد الاّ عَجُوزا كَبِـيرة وهى الحَمْراء بنتُ ضَمْرة فَلَمّا نَظَرَ اليها والَى جُرْتها قال لها انّى لَأَحْسِـبُكِ أعْجَمِيّة فقالت لا والّذى أسْأَلُه أنْ يَخْفِض جَناحَكَ ويَهُدَّ عِمادَكَ ويَضَع وسادكَ ويَسْلُبَكَ بلادَكَ ما أنا بأعْجَمِيّة قال فَمَن أنْت قالت أنا بِنْتُ ضَمْرة بن جابر سادَ مَعَدًّا كابرًا عن كابر وأنا أخْت ضَمْرة بن ضمرة قال فَمَن زَوْجُكِ قالت هَوْذَةُ بن جَرْوَل قال وأيْنَ هو الآن أمَا تَعْرِفين مَكانَه قالت هـذه كَلِمة أحْمَق لو كُنْتُ أعْلَمُ مكانَه حالَ بَيْنَكَ وبَيْنى قال وأىّ رَجُـل هُوَ قالت هذه أحْمَقُ من الاولى أعَنْ هَوْذَة يُسْـئَلُ هُوَ والله طَيِّب العَرْق سَمِينُ العَرْق لا يَنام لَيْلَةَ يَخافُ ولا يَشْبَع لَيْلَة يُضاف يَأكُل ما وَجَد ولا يَسْأل عَمّا فَقَد فقـال عَمْرو أمَا والله لَوْلا أنّى أخاف أنْ تَلِدى مِثْـلَ أبِيكِ

وأخيكَ وزوجكَ لاستبقيتُكَ فقالت وأنتَ والله لا تقتُل الا نساء أعالها ثُدىّ وأسافلها دُمىّ والله ما أدركتَ ثارًا ولا محوتَ عارا وما مَنْ فعلت هذه به بغافل عنكَ ومعَ اليوم غد فأمر باحراقها فلما نظرتْ الى النار قالت الا فتًى مكان عجوز فذهبتْ مثلا ثم مكثت ساعةً فلم يفدها أحد فقالت هيهات صارت الفتيانُ حُمَمًا فذهبت مثلا ثم أُلقيتْ فى النار ولبثَ عمرو عامّة يومه لا يقدر على أحد حتى اذا كان فى آخر النهار أقبلَ راكب يُسمَّى عمّارا تُوضعُ به راحلتُه حتى أناخ اليه فقال له عمرو مَن أنتَ قال أنا رجُل من البراجم قال فما جاء بكَ اليْنا قال سطع الدُّخان وكُنْتُ طويْتُ منذ أيّام فظننْتُه طعاما فقال عمرو انَّ الشَّقىّ وافدُ البراجم فذهبتْ مثلا وأمر به فأُلْقى فى النّار فقال بعضُهم مابلَغنا أنه أصابَ من بنى تميم غيرَه وانما أحرَق النساءَ والصبيان

وفى ذلكَ يقول جرير

وأخزاكُمُ عمرٌو كما قد خزيتُمُ * وأدركَ عمّارًا شَقىَّ البراجمِ

ولذلكَ عُيّرت بنو تميم بحُبّ الطعام لما لَقى هذا الرجل قال الشاعر

اذا ما ماتَ ميّتٌ من تميم * فسَرَّكَ أنْ يعيش فجىءْ بزاد

بخُبز أو بلحْـــم أو بتمْـــرٍ * أو الشَّىْ المُلفَّف فى البجاد

تَراه يُنقّب الآفاقَ حَوْلا * ليأكُل رأس لُقمان بْن عاد

عند جُهَيْنة الخَبَرُ اليَقين

قال هشام بن الكَلْبي كان من حديثه أنّ حُصَينَ بنَ عَمْرو بن مُعاوية ابن كلاب خرج ومعه رَجُلٌ من جُهَيْنة يُقال له الاخْنَس بن كَعْب وكان الاخنس قد أحدث فى قومه حَدَثا فخرج هاربا فلقيه الحُصَيْن فقال مَنْ أنتَ ثكلتْكَ أمُّكَ فقال له الاخنس بَلْ مَنْ أنت ثكلتك أمك فردّد هذا القَوْلَ حتى قال الاخنس أنا الاخنس بن كَعْب فأخْبِرْني مَنْ أنتَ والاّ أنفَذْتُ قَلْبَكَ بهذا السِّنان فقال له الحصين أنا الحصين بن عَمرو الكَلابي ويقال بل هو الحصين بن سُبَيع العَطَفاني فقال له الاخنس فما الذى تريد قال خرجت لِمَا يَخْرُجُ له الفِتْيانُ قال الاخنس وأنا خَرَجْتُ لمثل ذلك فقال له الحصين هَلْ لكَ أنْ نَتعاقَدا أنْ لانَلْقَى أحدًا من عَشيرتك أو عَشيرتي الاّ سَلَبْناه قال نَعَمْ فتعاقَدا على ذلك وكلاهما فاتكٌ يَحْذَر صاحبه فَلَقِيا رَجُلا فَسَلَباه فقال لهما هل لكما أنْ تَرُدّا علىّ بَعْضَ ماأخَذْتُما منّى وأدُلُّكما على مَغْنَم قالا نَعَمْ فقال هذا رَجُل من لَخْم قد قَدِمَ من عند بعض الملوك بمَغنم كثير وهو خَلْفى فى موضع كذا وكذا فَرَدّا عليه بعضَ ماله وطَلَبا اللَّخْمىّ فوجَداه نازلا فى ظلّ شَجَرة وقُدّامه طَعام وشَراب فحَيّاهُ وحيّاهُما وعَرَض عليهما الطَعامَ فكره كلُّ واحد أنْ يَنْزِل قَبْلَ صاحبه فَيَفْتك به فَنَزَلا جميعا فأكلا وشربا مَعَ

اللّخمىّ ثم انّ الاخنس ذهب لبعض شأنه فرجع واللخمىّ يتشحّط فى دمه فقال الجهنى وهو الاخنس وسلّ سيفه لأنّ سيف صاحبه كان مسلولا ويحك ويحك فتكت برجل قد تحرّمنا بطعامه وشرابه فقال اقعد يا أخا جهينة فلهذا وشبهه خرجنا فشربا ساعة وتحدّثا ثم انّ الحصين قال ياأخا جهينة أتدرى ماصعلة وماصعل قال الجهنى هذا يوم شرب وأكل فسكت الحصين حتى اذا ظنّ أن الجهنى قد نسى مايراد به قال ياأخا جهينة هل أنت للطّير زاجر قال وماذاك قال ماتقول هذه العقاب الكاسر قال الجهنى وأين تراها قال هى ذه وتطاول ورفع رأسه الى السماء فوضع الجهنى بادرة السيف فى نحره فقال أنا الزاجر والنّاحر واحتوى على متاعه ومتاع اللخمى وانصرف راجعا الى قومه فمرّ ببطنين من قيس يقال لهما مراح وأمّار فاذا هو بامرأة تنشد الحصين بن سبيع فقال لها من أنت قالت أنا صخرة امرأة الحصين قال أنا قتلته فقالت كذبت مامثلك يقتل مثله أما لو لم يكن الحىّ خلوا ما تكلّمت بهذا فانصرف الى قومه فأصلح أمرهم ثم جاءهم فوقف حيث يسمعهم وقال

وكم من ضيغم وردٍ هموس * أبى شبلين مسكنه العرينُ
علوت بياض مفرقه بعضب * فأضحى فى الفلاة له سكونُ
وأضحت عرسه ولها عليه * بعيد هدوء ليلتها رنينُ

وكَمْ من فارسٍ لاتَزْدريه * اذا شَخَصَتْ لموْقعه العُيُون
كصَخْرَةَ اذْ تُسائلُ فى مَرَاحٍ * وأَعْمَار وعِلْمُهُمـا ظُنُونُ
تُسائل عن حُصَين كُلَّ رَكْبٍ * وعنـد جُهَينةَ الخَبَرُ اليَقين
فَمَن يَكُ سائلا عنـه فعندى * لصَاحبـه البَيَان المستَبين
جُهَينَـةُ مَعْشَرى وهُمُ مُلُوكٌ * اذا طَلَبُوا المَعَالى لم يَهُـونوا

قال الأَصْمَعىّ وابن الأَعْرابى هو جفينة بالفاء وكان عنده خَبَر رجل مقتول وفيه يقول الشاعر

تسائلُ عن أبيها كُلَّ رَكْبٍ * وعنـد جُفَينةَ الخَبَرُ اليَقين

قال فسأَلُوا جُفينـة فأَخْبَرَهُم خَبَرَ القَتيل وقال بعضهم هو حُفَينة بالحاء المهملة يُضْرَب فى معرفة الشئ حقيقة

كِلَاهُما وتَمْرًا

ويُرْوَى كِلَيْهِـما أوّل مَن قال ذلك عَمْرو بن حُمران الجَعْـدى وكان حُمْران رجلا لَسِـنا مَاردًا وأنّه خَطَب صَدُوف وهى امرأة كانت تَأْبد الكَلَام وتَسْجع فى المنطق وكانت ذاتَ مال كثير وقد أتاها قوم كثير يخطُبونها فرَدّتْهم وكانت تتعَنَّت خُطّابَهـا فى المسألة وتقول لا أَتَزَوّج الّا مَنْ يَعْلَم ماأَسْأَلُه عنه ويُجيبُنى بكلام على حَدّه لايَعْدُوه فلما انتهى اليهـا حُمْران قام قائمـا لايجلس وكان لايأتيهـا خاطبٌ الّا جَلَس قبـل

اذنها فقالت ما يمنعك من الجلوس قال حتى يؤذن لى قالت وهل عليك أمير قال رب المنزل أحق بفنائه ورب الماء أحق بسقائه وكل له مافى وعائه فقالت اجلس فجلس قالت له ما أردت قال حاجة ولم آتك لحاجة قالت تسرها أم تعلنها قال تسر وتعلن قالت فما حاجتك قال قضاؤها هين وأمرها بين وأنت بها أخبر وبنجحها أبصر قالت فأخبرنى بها قال قد عرضت وان شئت بينت قالت من أنت قال أنا بشر ولدت صغيرا ونشأت كبيرا ورأيت كثيرا قالت فما اسمك قال من شاء أحدث اسما وقال ظلما ولم يكن الاسم عليه حتما قالت فمن أبوك قال والدى الذى ولدنى ووالده جدى فلم يعش بعدى قالت فما مالك قال بعضه ورثته وأكثره اكتسبته قالت فممن أنت قال من بشر كثير عدده معروف ولده قليل صعوده يغنيه أبده قالت ما ورثك أبوك عن أوليه قال حسن الهمم قالت فأين تنزل قال على بساط واسع فى بلد شاسع قريبه بعيد وبعيده قريب قالت فمن قومك قال الذين أنتمى اليهم وأجنى عليهم وولدت لديهم قالت فهل لك امرأة قال لو كانت لى لم أطلب غيرها ولم أضيع خيرها قالت كأنك ليست لك حاجة قال لو لم تكن لى حاجة لم ألغ ببابك ولم أتعرض لجوابك وأتعلق بأسبابك قالت انك لحمران بن الاقرع الجعدى قال ان ذلك ليقال فزوجته نفسها

وفوّضت اليه أمرها ثم انها ولدت له غلاما فسماه عمرا فنشأ ماردا مفوّها فلما أدرك جعله أبوه راعيا يرعى له الابل فبينا هو يوما اذ رفع اليه رجل قد أضرّ به العطش والسغوب وعمرو قاعد وبين يديه زبد وتمر وتامك فدنا منه الرجل فقال أطعمني من هذا الزبد والتامك فقال عمرو نعم كلاهما وتمرا فأطعم الرجل حتى انتهى وسقاه لبنا حتى روى وأقام عنده أياما فذهبت كلمته مثلا ورفع كلاهما اى لك كلاهما ونصب تمرا على معنى وأزيدك تمرا ومن روى كليهما فانما نصبه على معنى أطعمك كليهما وتمرا وقال قوم من رفع حكى ان الرجل قال أنلني مما بين يديك فقال عمرو أيما أحب اليك زبد أم سنام فقال الرجل كلاهما وتمرا أى مطلوبى كلاهما وأزيد معهما تمرا أو وزدني تمرا

انّ المُنبتّ لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى

المُنبتّ المُنقطع عن أصحابه فى السفر والظهر الدابّة قاله عليه الصلاة والسلام لرجل اجتهد فى العبادة حتى هجمت عيناه أى غارتا فلما رآه قال له ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق انّ المُنبتّ أى الذى يجدّ فى سيره حتى ينبتّ أخيرا سمّاه بما تؤول اليه عاقبته كقوله تعالى «انك ميّت وانهم ميّتون» يُضرب لمن يبالغ فى طلب الشئ ويُفرط حتى ربّما يُفوّته على نفسه

انّ الدّواهى فى الآفات تهترس

ويُروى تَرْتَهِس وهو قَلْبُ تَهْتَرِس من الهَرْس وهو الدَّقّ يعنى أن الآفات يَموج بَعْضُها فى بعض ويَدُقّ بعضُها بعضا كَرَّةً يُضْرَب عنـد اشتداد الزمان واضطراب الفتن وأَصْلُه أَنّ رجلا مَرّ بآخر وهو يقول يارَبّ إمَّا مُهْرَة أو مُهْرًا فأنكَرَ عليه ذلك وقال لايكون الجَنين الاّ مُهْرَة أو مُهْرا فلما ظَهَر الجنين كان مُشَيّأ الخَلْق مُخْتَلفه أى فيه شئ غير شئ فقال الرجل عند ذلك

قد طَرَّقَتْ بجَنين نصفُه فَرَس * ان الدّواهى فى الآفات تهترس

انّ البَلاء مُوكّل بالمَنْطِق

قال المُفَضّل يقال انّ أوّلَ مَن قال ذلك أبو بكر الصّدّيق رضى الله تعالى عنه فيما ذَكَره ابن عباس قال حَدَّثَنى علىّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه لَمّا أُمِرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أَنْ يَعْرِض نَفْسه على قبائل العَرَب خرج وأَنا مَعه فَدَفَعْنا الى مجلس من مجالس العرب فتقدّم أبو بكر وكان نَسّابَةً فسَلَّم فرَدُّوا عليـه السلام فقال ممّن القوم قالوا من رَبيعـة فقـال أَمِن هَامَتها أَم من لَهَازمها قالوا من هَامَتها العُظْمَى قال فأىّ هـامَتها العُظْمَى أَنْتُم قالوا ذُهْـل الأَكْبَر قال أَفِنكم عَوْف الذى يقـال له لاحُرّ بوادى عَوْف قالوا لا قال أَفِنكم بِسْـطَام

ذو اللواء ومنتهى الاحياء قالوا لا قال أفنكم جساس بن مرة حامى الذمار ومانع الجار قالوا لا قال أفنكم الحوفزان قاتل الملوك وسالبها أنفسها قالوا لا قال أفنكم المزدلف صاحب العمامة الفردة قالوا لا قال فأنتم اخوال الملوك من كندة قالوا لا قال فلستم ذهلا الأكبر أنتم ذهل الاصغر فقام اليه غلام قد بقل وجهه يقال له دغفل فقال

انّ على سائلنا أنْ نسألَه * والعبءُ لا تعرفه أوْ تحملَه

يا هذا انك قد سألتنا فلم تكتمنا شيأ فمن الرجل أنت قال رجل من قريش قال بخ بخ أهل الشرف والرآسة فمن أىّ قريش أنت قال من تيم ابن مرة قال أمكنت والله الرامى من ضفا الثغرة أفنكم قصىّ بن كلاب الذى جمع القبائل من فهر وكان يدعى مجمعا قال لا قال أفنكم هاشم الذى هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف قال لا قال أفنكم شيبة الحمد مطعم طير السماء الذى كأنّ فى وجهه قمرا يضىء ليل الظلام الداجى قال لا قال أفن المفيضين بالناس أنت قال لا قال أفن أهل الندوة أنت قال لا قال أفن أهل الرفادة أنت قال لا قال أفن أهل الحجابة أنت قال لا قال أفن أهل السقاية أنت قال لا قال واجتذب أبو بكر زمام ناقته فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دغفل صادف در السيل دراً يصدعه أما والله لو ثبتّ لأخبرتك أنك من

زَمَعَات قريش أَوْ مَاأَنَا بِدَغْفَل قال فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال علىّ قُلْتُ لأبى بكر لقد وَقَعْتَ من الاعرابى على بَاقعة قال أَجَلْ انّ لِكُلّ طَامّة طَامّة وانّ البَلاء مُوَكَّل بالمَنْطِق وفى قصّة المَثَل أمثال قوله (لاحُرّ بوادى عَوْف) يُتَمَثَّلُ به فى هضم من يَتعاظم بنَواحى مَن يَقْدر على قَهْره وقوله (انّ عَلَى سائلنا أن نسأله) ومَحَلّ التَمَثّل به ظاهر وقوله (والعبء لانَعْرفه أو نَحْمِلَه) يُتَمَثَّلُ به فى طَلَب الاختبار وتَرْكِ الاكتفاء بما يَبْدو فان الشئ الذى تُريد حَمْلَه فيكونُ عِبْأ رُبَّما يكون كبيرا فى النَظَر خفيفا فى الوَزْن وربّما كان ثقيل الوَزْن وهو صغير الحَجْم

انْ تَرِد المـاءَ بمـاء أَكْيَسُ

يُتَمَثَّل به عنـد الأَمْر بالاقتصاد فى المَعيشة والمحافَظَة على قَليله وان كان واثقا بحُصُول كثير له فى المستقبل وأَصْلُه فى المسافر عَرَف قُرْبَه من المَنْهَل فَأَسْرَفَ فى استعمال ماحَمَل من الماء

انّمـا يُعَاتِب الأَديم ذو البَشَرَة

المُعَاتَبـة المُعَـاوَدَة وبَشَرة الأَديم ظاهِرُه الذى عليـه الشَّعر أى انّما يُعَـاد الى الدّبَاغ من الأَديم ماسَلِمَتْ بَشَرَتُه يُضْرب لِمَنْ فيـه مُرَاجَعة ومُسْتَعْتَب قال الأَصْمعىّ كُلّ ما كان فى الأَديم مُحْتَمِلٌ ماسَلِمَت البَشَرة فاذا تَعَلَّتْ البَشَرة بَطَل الأَديم ومن هُنا أُخِذ العِتَاب بين الاخوان لذكر

الهفوات ثم الاعتذار أو الاعتراف والمسامحة والعود الى المصافاة فيكون ذلك بمنزلة دبغ الجلد لازالة فضلاته

انّ العصا قُرِعَت لذى الحِلْم

قيل أن أوّل من قُرِعَت له العصا عَمْرو بن مالك بن ضُبَيْعَة أخو سَعْد ابن مالك الكنانى وذلك ان سعدا أتى النعمانَ بنَ المنذر ومعه خيل له قادها وأخرى عرّاها فقيل له لم عرّيت هذه وقُدْتَ هذه قال لم أقُدْ هذه لأمنعها ولم أعرّ هذه لأهبها ثم دخل على النعمان فسأله عن أرضه فقال أما مَطَرُها فَغَزِير وأمّا نَبْتُها فكثير فقال له النعمان انّك لَقَوّال وان شئتَ أتيتُك بما تَعيَا عن جوابه قال نعم فأمر وَصيفا له أن يَلْطِمه فَلَطَمه لَطْمة فقال ماجواب هذه قال سَفيهٌ مأمورٌ قال الْطِمْه أُخْرَى فَلَطَمه قال ماجواب هذه قال لو أُخذ بالأولَى لم يَعُدْ للأُخْرَى وانما أراد النعمان أن يتعدّى سعْد فى المَنْطق فيَتَمثّله قال الْطِمْه ثالثة فَلَطَمَه قال ماجوابُ هذه قال ربٌّ يُؤدّب عَبْدَه قال الطِمْه أخرى فَلَطَمه قال ماجواب هذه قال مَلَكْتَ فأسْجِح فأرْسَلها مثلا قال النعمان أصَبْتَ فامكُث عندى وأعْجَبَه مارأى منه فمكث عنده مامكث ثم بَدَا للنعمان أن يَبْعَث رائدا فبعث عَمْرا أخا سَعْد فأبطأ عليه فأغْضَبَه ذلك فأقسم لئن جاء دَامًّا للكلأ أو حامدًا له ليَقْتُلَنّه فقدم عمرو وكان سعد عند

الملك فقال سعد أتأذن أن أكلمه قال إذن يقطع لسانك قال فأشير اليه قال اذن تقطع يدك قال فأقرع له العصا قال فاقرعها فتناول سعد عصا جليسه وقرع بعصاه قرعة واحدة فعرف أنه يقول له مكانك ثم قرع بالعصا ثلاث قرعات ثم رفعها الى السماء ومسح عصاه بالارض فعرف أنه يقول له لم أجد جدبا ثم قرع العصا مرارا ثم رفعها شيأ واوما الى الارض فعرف أنه يقول ولا نباتا ثم قرع العصا قرعة وأقبل نحو الملك فعرف أنه يقول كله فأقبل عمرو حتى قام بين يدى الملك فقال له أخبرنى هل جدت خصبا أو ذممت جدبا فقال عمرو لم أذم هزلا ولم أحمد بقلا الارض مشكلة لاخصبها يعرف ولا جدبها يوصف رائدها واقف ومنكرها عارف وآمنها خائف قال الملك أولى لك فقال سعد بن مالك يذكر قرع العصا

قرعت العصا حتى تبين صاحبى * ولم تك لولا ذاك فى القوم تقرع
فقال رأيت الارض ليست بممحل * ولا سارح فيها على الرعى يشبع
سواء فلا جدب فيعرف جدبها * ولا صابها غيث غزير فمرتع
فتحتها بها حوباء نفس كريمة * وقد كاد لولا ذاك فيهم يقطع

هذا قول بعضهم وقال آخرون فى قولهم ان العصا قرعت لذى الحلم انّ ذا الحلم هذا هو عامر بن الظرب العدوانى وكان من حكماء العرب

لاتعدل بفهمه فهما ولا بحكمه حكما فلما طعن فى السن أنكر من عقله شيأ فقال لبنيه انه قد كبرت سنى وعرض لى سهو فاذا رأيتمونى خرجت من كلامى وأخذت فى غيره فاقرعوا لى المجن بالعصا وقيل كانت له جارية يقال لها خصيلة فقال لها اذا أنا خولطت فاقرعى لى بالعصا وأتى عامر بخنثى ليحكم فيه فلم يدر ما الحكم فجعل يضحك لهم ويطعمهم ويدافعهم بالقضاء فقالت خصيلة ماشأنك قد أتلفت مالك فخبرها أنه لايدرى ماحكم الخنثى فقالت أتبعه مباله قال الشعبى فحدثنى ابن عباس بها قال فلما جاء الله بالاسلام صارت سنة فيه وعامر هو الذى يقول

أرى شعرات على حاجبى بيضا نبتن جميعا تؤاما
ظللت أهاهى بهن الكلا * ب أحسبهن صوارا قياما
وأحسب أنى اذا ما مشيـ * ـت شخصا أمامى رآنى فقاما

يقال انه عاش ثلثمائة سنة وهو الذى يقول

تقول ابنتى لما رأتنى كأننى * سليم أفاع ليله غير مودع
وما الموت أفنانى ولكن تتابعت * على سنون من مصيف ومربع
ثلاث مئين قد مررن كواملا * وها أنا هذا أرتجى مر أربع
فأصبحت مثل النسر طارت فراخه * اذا رام تطيارا يقال له قع
أخبر أخبار القرون التى مضت * ولا بد يوما أن يطار بمصرعى

قال ابن الاعرابى أوّل مَن قُرِعَت له العَصا عامر بنُ الظرب العَدْوانى وربيعةُ تقول بل هو قَيس بن خالد بن ذى الجَدَّيْن وتَميم تقول بل هو ربيعة بن مُخاشن أحد بنى أَسيد ابن عمرو بن تميم واليَمن تقول بل هو عمرو بن حُمَةَ الدَّوْسى قال وكانت حُكّام تميم فى الجاهلية أَكْثَم بن صَيْفِيّ وحاجب بن زُرارَة والاَقْرَع بن حابس وربيعة بن مُخاشن وضَمْرة بن ضَمْرة غير أنّ ضَمْرة حَكَم فأخذ رِشْوة فغَدَر . وحُكّامُ قَيس عامر بن الظرب وغَيْلان بن سَلَمة الثَقَفى وكانت له ثلاثة أيام يَوْم يحكُم فيه بين الناس ويوم يُنْشد فيه شِعْره ويوم ينظر فيه الى جَماله وجاء الاسلام وعنده عَشْر نسْوة فخيَّره النبى صلى الله عليه وسلم فاخْتار أَرْبَعًا فصارت سنّة . وحُكّام قُرَيش عبد المُطّلب وأبو طالب والعاصى بن وَائل . وحَكيمات العَرَب صَخْرة بنت لُقْمان وهند بنْتُ الخُسّ وجُمْعَة بنت حابس وابنة عامر بن الظرب الذى يقال له ذو الحِلْم قال المُتَلَمِّس يُريدُه

لذى الحِلْم قَبْلَ اليَوْم ما تُقْرَعُ العَصا * وما عُلِّمَ الانْسان الّا لِيَعْلَما

والمَثَل يُضْرب لِمَن اذا نُبِّه انْتَبَه

أيّاكِ أعْنى واسْمَعى ياجَارَة

أول من قال ذلك سَهْل بن مالك الفَزارىّ وذلك أنه خرج يريد النعمان فمرّ ببعض أحْياء طَيِّء فسأل عن سيّد الحَىّ فقيل له حارثة بن لأم

فأمّ رَحْلَه فلم يُصِبْه شاهدا فقالت له أُخْتُه انْزل فى الرَّحْب والسَّعَة فَنَزل فأكْرَمَتْه ولاطَفَتْه ثم خَرَجَت من خِبائها فرأى أجْمَل أهْل دَهْرها وأكْمَلهم وكانت عَقيلةَ قَوْمها وسيّدة نسائها فوقَعَ فى نفسه منها شىءٌ فجعل لايَدْرى كيف يُرْسل اليها ولا مايُوافقها من ذلك فجلس بفناء الخباء يوما وهى تسمع كلامه فجعل ينشد ويقول

يااُخْتَ خَيْرِ البَدْو والحَضَارَهْ * كَيْفَ تَرَيْنَ فى فَتًى فَـزَارَهْ

أصْبَحَ يَهْوَى حُرَّةً مِعْطَارَهْ * اِيّاكِ أعْنِى واسْمَعِى يَاجَارَهْ

فلما سمعت قولَه عَرَفَت أنّه إيّاها يَعْنى فقالت ماذا بقَوْل ذى عَقْل أريب ولا رَأْى مُصيب ولا أنْف نَجيب فأقام مَا أقَامَ مُكْرَمًا ثم ارْتَحل متى شئتَ مُسَلَّمًا ويقال أجابَتْه نَظْمًا فقالت

انّى أقول يافَتَى فَـزَارَهْ * لا أبْتَغى الزَّوْجَ ولا الدّعَارَهْ

ولا فِرَاقَ أهل هذى الجارَهْ * فارْحَلْ الى أهْلكَ باستخارَهْ

فاسْتَحْيا الفَتَى وقال ماأرَدْتُ مُنْكَرًا واسَوْأتَاهُ قالت صَدَقْتَ فكأنها استَحْيَت من تَسَرُّعها الى تُهَمَته فارْتَحَل فأتى النُّعمانَ فحيّاه وأكْرَمَهُ فلما رَجع نَزَل على أخيها فبَيْنَا هو مُقيم عندهم تَطَلَّعَتْ اليه نفسُها وكان جَميلا فأرسَلَتْ اليه أن اخْطُبْنى ان كانَ لكَ الىّ حاجَة يَوْما من الدهْر فانّى سَريعةٌ الى ماتُريد فَخَطَبَها وتَزَوّجها وسارَ بها الى قَوْمه يُضْرَب لِمَن يَتَكَلَّم بكلام ويُريد به شيئا غَيْرَه

انْ كُنْتَ كَذُوبا فَكُنْ ذَكُورًا

يُضْرَب للرَجُل يَكْذِب ثم يَنْسَى فيُحَدِّث بخلاف ذلك

اذا اشْتَرَيْتَ فاذْكُرِ السُوقَ

يعنى اذا اشْتَرَيْتَ فاذكر البَيْع لتَجْتَنِب العُيُوب

بَلَغَ السَـــيْلُ الزُّبَى

هى جَمْع زُبْيَة وهى حُفْرَة تُحْفَر للاسَد اذا أرادُوا صَيْدَه وأصْلُها الرَّابِية لايَعْلُوها الماءُ فاذا بَلَغَها السَيْل كان جَارِفا مُجْحِفا يُضْرَب لمَن جاوَزَ الحَدّ قال المُؤَرِّج حدّثنى سعيد بن سَمَالَة بن حرب عن أبيه عن ابن المُعَمَّر قال أُتِى مُعاذ بن جبل بثلاثة نَفَر قَتَلَهُم أسَد فى زُبْيَة فلم يَدْر كيف يُفْتِيهم فسأل عَلِيًّا رضى الله عنه وهو مُحْتَبٍ بفناء الكَعْبَة فقال قُصّوا عَلَىَّ خَبَرَكُم قارِنا صِدْنا أسَدا فى زُبْيَة فاجْتَمَعْنا عليه فَتَدافَع الناسُ عليه فَرَمَوْا برَجُل فيها فتَعَلَّق الرَجُلُ بآخَرَ وتعلق الآخَرُ بآخَرَ فهَوَوْا فيها ثَلاثَتُهُم فَقَضى فيها عَلِىّ رضى الله عنه أنّ للأوّل رُبعَ الدِيَة وللثانى النصف وللثالث الدِيَة كُلّها فأُخْبِرَ النبىّ صلى الله عليه وسلم بقَضائه فقال لَقَدْ أرْشَدَكَ اللهُ للحَقّ

تَطَلُّب أثرا بَعْدَ عَيْن

العَين المُعَايَنَة يُضْرَب لمن تَرَكَ شيئا يَرَاه ثم تَبِع أثَرَه بعد فَوْت عَيْنه قال البَاهلى أوّلُ مَن قال ذلك مَالكُ بن عمرو العَاملى وفى كتاب أبى عُبَيد مالكُ بن عمرو البَاهلىّ قال وذلك أنّ بعض مُلُوك غَسَّانَ كان يَطْلُب فى عَامِلَةَ ذَحْلا فأخَذ منهم رَجُلَين يقال لهما مالكُ وسَمالُ ابنَا عَمْرو فاحْتَبَسَهُما عنده زَمَانًا ثم دَعَاهُما فقال لَهُما انّى قَاتلٌ أحَدَكُما فأيّكُما أقْتُل فَجَعَل كُلّ واحد منْهُما يقول اقْتُلْنى مَكان أخى فلما رَأى ذلك قَتَل سَمَالا وخَلّى سبيل مَالكُ فقال سَمَالُ حين ظَنّ انه مَقْتُول

أَلا مَنْ شَجَتْ لَيْلَةً عَامِدَه * كما أبَدًا لَيْلَةً وَاحِدَهْ
فأبْلِغْ قُضَاعَةَ انْ جِئْتَهُم * وخُصَّ سَرَاةَ بَنى سَاعِدَهْ
وأبْلِغ نِزَارًا على نَأيِها * بأنّ الرِّمَاح هى العَائِده
وأُقْسِمُ لَوْ قَتَلُوا مالكا * لَكُنْتُ لَهُمْ حَيَّةً رَاصِدَه
بِرَأْسِ سَبِيلٍ على مَرْقَبٍ * ويومًا على طُرُق وَارِدَه
فأُمَّ سَمَالُ فلا تَجْزَعِى * فَلِلْمَوْت ما تَلِد الْوَالِدَهْ

وانصرف مالكُ الى قومه فلبث فيهم زمانا ثم أنّ رَكْبًا مَرُّوا وأحَدُهُم يَتَغَنّى بهذا البيت

وأُقْسِم لو قَتَلُوا مَالِكا * لَكُنتُ لهم حَيَّة راصده

فسمعت بذلك أمّ سمالٍ فقالت يامالكُ قبّح اللهُ الحياةَ بعدَ سمالٍ اخْرُجْ فى الطّلب بأخيكَ فخرج فى الطلب فلقى قاتلَ أخيه يسير فى ناس من قومه فقال مَنْ أحسّ لى الجملَ الأحمر فقالوا لهُ وعرفوه يامالكُ لكَ مئةٌ من الابل فكُفّ فقال لا أطلُب أثرا بعد عَين فذهبت مثلا ثم حمل على قاتل أخيه فقتله وقال فى ذلك

يارَاكبًا بلّغا ولا تدعا * بَنى قُمَيْر وانْ هُمُوا جزعُوا
فليجدُوا مثل ماوجدْتُ فقدْ * كُنْتُ حزينا قدمسّنى وجعُ
لاأسمعُ اللّهوَ فى الحديث ولا * يَنفعُنى فى الفراش مُضْطجعُ
لاوجدَ ثُكلى كما وجدْتُ ولا * وجدَ عجُول أضلّها رُبعُ
ولا كبير أضلّ ناقتَه * يومَ تَوافى الحجيجُ واجتمعوا
يَنظُرُ فى أوْجُه الركاب فلا * يَعرف شيئا والوجْهُ مُلتمعُ
جلّلتُه صارمَ الحديدة كالـ * ـملحِ وفيه سفاسقُ (١) لُمَعُ
بَينَ صُمَيْر وباب جلّق فى * أثوابه من دمائه بقَعُ
أضْربُه باديًا نواجذُه * يَدعُو صَداهُ والرّأس مُنصدِعُ
بَنى قُمَيْر قتلتُ سيّدكُم * فاليومَ لارَبّة ولاجزَعُ
فاليومَ مُنّا على السّواء فانْ * تجوّوا فَدَهْرِى ودَهْرُكم جُرَعُ

(١) السفاسق جمع سفسقة بفتحتين أو كسرتين بينهما سكون فرِيدُ السيف وهى نقط تلمع فى صفائه

جَاوِرِينَا واخْبُرِينَا

قال يونس كان رَجُلَان يَتَعَشّقَان امرأةً وكان أَحَدُهما جَميلا وَسِيما وكان الآخر دَمِيما تَقْتَحِمه العَين فكان الجَميلُ منهما يقول عَاشِرِينا وانْظُرِى الينا وكان الدَميم يقول جَاوِرِينا واخْبُرِينا فكانت تُدْنِى الجميل فقالت لَاخْتَبِرَنَّهما فقالت لكلّ واحد منهما أنْ يَنْحَر جَزُورا فأتَتْهُما مُتَنَكِّرة فَبَدَأَتْ بالجَميل فَوَجَدَتْه عند القِدْر يَلْحَس الدَسَم ويَأْكُلُ الشَحْم ويقول احتفظوا كُلّ بَيْضَاءَ لَيْهْ يَعنى الشَحْم فاسْتَطْعَمَتْه فأَمَرَ لها بِثِيل الجَزُور فَوُضِع فى قَصْعَتِها ثم أَتَتْ الدَميم فاذا هو يَقْسِم لَحْم الجَزُور ويُعْطِى كُلّ مَنْ سأله فَسَأَلَتْه فأمَرَ لها بأَطَايِب الجَزُور فَوُضِع فى قَصْعَتِها فَرَفَعَتْ الذى أَعْطاها كُل واحد منهما على حِدَة فلما أَصْبَحا غَدَوْا اليها فَوَضَعَتْ بين يَدَىْ كُلّ واحد منهما ما أَعْطَاها وأَقْصَت الجَميل وقَرَّبَت الدَميم ويقال انها تَزَوَّجَتْه يُضْرَب فى القَبيح المَنْظَر الجَميل المَخْبَر

الجَرْعُ أَرْوَى والرَشِيفُ أَنْقَعُ

الرَشْف والرَشِيف المَصّ للماء والجَرْع بَلْعُه والنَقْع تَسْكين الماء للعَطش أى أنّ الشَرَاب الذى يُتَرَشَّف قليلا قليلا أَقْطَعُ للعَطَش وأَنْجَع وان كان فيه بُطْء وقوله أَرْوَى أى أَسْرَع رِيًّا وقوله أَنْقَع أى أَثْبَت وأَدْوَم رِيًّا من قولهم سُمٌّ ناقِع أى ثابت يُضْرَب لمَنْ يَقَع فى غَمَمِة فَيُؤْمَرُ بالبُدْرَة

والاقتطاع لما قدر عليه قبل أن يأتيه من ينازعه وقيل معناه ان الاقتصاد فى المعيشة أبلغ وأدوم من الاسراف فيها

الجار ثم الدار

هذا كقولهم الرفيق قبل الطريق وكلاهما يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أبو عبيد كان بعض فقهاء أهل الشام يحدث بهذا الحديث ويقول معناه اذا أردت شراء دار فسل عن جوارها قبل شرائها

حسبك من شر سماعه

أى اكتف من الشر بسماعه ولا تعاينه ويجوز أن يريد يكفيك سماع الشر وان لم تقدم عليه ولم تنسب اليه قال أبو عبيد أخبرنى هشام بن الكلبى ان المثل لأم الربيع ابن زياد العبسى وذلك ان ابنها الربيع كان أخذ من قيس بن زهير بن جذيمة درعا فعرض قيس لأم الربيع وهى على راحلتها فى مسير لها فأراد أن يذهب بها ليرتهنها بالدرع فقالت له أين عزب عنك عقلك ياقيس أترى بنى زياد مصالحيك وقد ذهبت بأمهم يمينا وشمالا وقال الناس ماقالوا أو شاؤا وان حسبك من شر سماعه فذهبت كلمتها مثلا تقول كفى بالمقالة عارا وان كان باطلا يضرب عند العار والمقالة السيئة وما يخاف منها وقال بعض النساء الشواعر

سائل بنا فى قومنا * وليكف من شر سماعه

وكان المُفَضَّل فيما حُكِى عنه يَذْكُرُ هذا الحديث ويُسَمِّى أُمَّ الرَّبيع ويقول هى فاطمة بنتُ الخُرْشُب من بنى أَنْمار بن بَغِيض

حِلْمى أَصَمُّ وأُذْنى غيرُ صَمَّاءِ

أى أُعْرِض عن الخَنا بحِلْمى وان سَمِعْتُه بأُذُنى

حَسْبُكَ من غِنًى شِبَعٌ وَرِىّ

أى اقْنَعْ من الغِنى بما يُشْبعكَ ويُرْويكَ وجُدْ بما فَضَل وهذا المثل لامرئ القيس يَذْكر معزًى كانت له فيقول

اذا مالم تَكُنْ ابـــلٌ مَعْزَى * كَأَنَّ قُـــرُون جِلَّتِهـا العِصِىُّ

فَمَـــلأَ بَيْتَنَا أَقِطا وَسَمْنا * وحَسْبُكَ من غِنًى شِبَعٌ وَرِىُّ

قال أبو عبيد وهذا يحتمل معنيين أحدهما يقول أَعْطِ كلَّ ما كان لكَ وراءَ الشِبع والرِّى والآخرُ القَناعَة باليسير يقول اكتفِ به ولا تَطْلُب ماسِوَى ذلكَ والاوَّل الوَجْه لقوله فى شِعْر له آخَر وهو

ولو أنّما أَسْعَى لأَدْنَى مَعيشَـــةٍ * كفانى ولم أَطْلُبْ قليلٌ من المال

ولكنّما أَسْعَى لمَجْدٍ مُؤَثَّـــلٍ * وقد يُدْرِكُ المَجْدَ المُؤَثَّلَ أَمْثالى

وما المَرْءُ مادامَتْ حُشَاشَةُ نَفْسه * بمُدْرِكِ أَطْراف الخُطوب ولَا آلِ

فقد أَخْبَرَ بِبُعْد هِمَّته وقَدْره فى نَفْسه

الحديث ذو شجون

أى ذو طُرُق الواحد شَجْن بسكون الجيم والشَّواجن أودية كثيرة الشجر الواحدة شاجنة وأصل هـذه الكلمة الاتصال والالتفاف ومنه الشجنة والشجْنة الشجرة المُلتفّة الأغصان يُضرب هذا المثل فى الحديث يُتذكَّر به غيرُه وقد نظم الشيخ ابو بكر على بن الحسين القهستانى هـذا المثل ومثّلا آخر فى بيت واحد وأحسَنَ ماشاء وهو

تذكَّر نجدًا والحديث شُجون * فجُنّ اشتياقا والجُنون فُنون

وأول مَن قال هذا المثل ضَبّة بن أدّ بن طابخة بن الياس بن مُضَر وكان له ابنان يُقال لأحدهما سَعْد وللآخر سُعَيد فنفرَتْ ابل لضَبّة تحت الليـل فوجّه ابنَيْه فى طلبها فتفرّقا فوجدها سَعْد فردّها ومضى سُعَيد فى طلبها فلقيه الحارث بن كَعْب وكان على الغـلام بُرْدان فسأله الحارث اياهما فأبى عليـه فقتله وأخذ بُرْدَيْه فكان ضَبّـة اذا أمسى فرأى تحت الليـل سوادًا قال أسَعْدٌ أم سُعَيد فذهب قوله مثلا يُضرب فى النجاح والخيبة فمكث ضَبّة بذلك ماشاء الله أن يمكث ثم انه حجّ فوافى عُكاظ فلقى بها الحارث بن كَعْب ورأى عليه بُرْدَى ابنه سُعَيد فعرفهما فقال له هل أنْتَ مُخْبرى ماهذان البُرْدان اللّذان عليك قال بلى لقيتُ غُلاما وهُما عليـه فسألتُه اياهُما فأبى علىّ فقتلتُه وأخذتُ بُرْدَيْه هذين

فقال ضَبّة بسيفك هـذا قال نعم فقال فأعطنيه أنظُر اليه فانّى أظُنّه صارما فأعطاه الحارث سيفه فلما أخذه من يده هَزّه وقال الحديث ذُو شُجون ثم ضَربه به حتى قتله فقيل له ياضَبّة أفى الشّهر الحرام فقال سَبَق السّيفُ العَذَل فهو أوّل مَن سارت عنه هذه الامثال الثلاثة قال الفرزدق

لاتأمَنَنّ الحَرْبَ انّ اشتعارَها * كَضَبّةَ اذْ قال الحديث شُجُون

خطبة أبى بكر الصديق رضى الله عنه يوم السّقيفة

حمد الله وأثنى عليه ثم قال

أيُّها النـاس نحنُ المهاجرون أوّلُ الناس اسـلاما وأكرَمُهم أحْسابا وأوْسَطُهم دارًا وأحْسَنُهم وُجُوها وأكثَر الناس ولادَةً فى العَرَب وأمَسُّهم رَحِما برسول الله صلى الله عليه وسلم أسْلَمْنا قَبْلكم وقُدّمنا فى القرآن عليكم فقال تبارك وتعالى والسابقون الأوّلون من المهاجرين والأنْصار الذين اتّبَعُوهم باحسان فنحن المهاجرون وأنتم الانصار اخْوانُنا فى الدّين وشُرَكاؤُنا فى الفَيء وأنْصارُنا على العَدُوّ آوَيْتُم وواسَيْتُم فجزاكم الله خيرا فنحن الأُمَراءُ وأنتم الوُزَراء لاتَدين العَرَب الّا لهذا الحَىّ من قُرَيش فلا تَنْفَسُوا على اخوانكم المهاجرين مامنحهم الله من فضله

خطبة أبي بكر الصـــديق رضى الله عنـــه عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم

أيُّها الناسُ مَن كان يَعْبُد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبدُالله فان الله حَيٌّ لايَموت وان الله قد تَقـدّم اليكم فى أمْره فلا تَدَعُوه جَزَعا وان الله قد اختار لنبيه ماعنـده على ماعندكم وقَبَضه الى ثوابه وخَلّف فيكم كِتابَه وسُنَّةَ نبيه فَمَنْ أخَذَ بهما عُرف ومَن فَرّق بينهما أُنْكر ياأيُّها الذين آمنوا كُونُوا قَوّامين بالقسْط ولا يَشْغَلَنَّكُم الشَـيطانُ بَوْت نبيكم ولا يَفْتِنَنّكم عن دينكم فعاجلوهُ بالذى تُعْجزونه ولا تَسْتَنْظروه فيلحق بكم

عهد أبي بكر رضى الله عنه عند موته

مما رُوى عنـــه رضى الله عنـــه حيث عَهد عنـــد موته وهو بسم الله الرحمن الرحيم هَذا ماعهد به أبو بكر خليفة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند آخر عَهْده بالدُّنيا وأوّل عهده بالآخرة فى الحال التى يُؤْمن فيها الكافر ويَتّقى فيها الفَاجر انّى اسْتَعْمَلْتُ عليكم عُمر بنَ الخطاب فان بَرّ وعَدَل فذلك عِلْمى به ورَأيى فيه وانْ جارَ وبَدّل فلاعِلْم لى بالغَيْب والخَيْر أرَدْتُ ولِكُلّ امْرِئٍ ما اكْتَسَب وسَيَعْلَم الذين ظَلَمُوا أىّ مُنْقَلَب يَنْقَلِبُون

ومما يُؤْثر من هـذه الآداب ويُقَدَّمُ قولُ عُمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنـه فى أول خُطْبَـة خَطَبَها قال العُتْبِىّ لم أر أقَلّ منها فى اللفظ

ولا أكثر فى المعنى حَمِدَ الله وأثنى عليه بما هو أهله وصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال أيُّها الناس انّه والله ما فيكم أحَدٌ أقْوَى عندى من الضعيف حتى آخُذَ الحَقَّ له ولا أضْعَفُ عندى من القَوِىّ حتى آخُذَ الحَقّ منه ثم نَزَلَ

قال أبو الحَسَن قد رَوَيْنا هذه الخطبة التى عَزَاها الى عمر بن الخطاب عن أبى بكر رضى الله عنهما وهو الصحيح قال أبو العَبّاس ومن ذلك رسالَتُــه فى القَضَاء الى أبى موسى الأشْعَرِىّ وهى التى جَمَع فيها جُمَل الاحكام واخْتَصَرها بأجْوَد الكلام وجعل الناسُ بعدَه يَتّخذونها اماما ولا يَجِد مُحِقٌّ عنها مَعْدلا ولا ظالمٌ عن حدودها مَحِيصا

رسالة عمر رضى الله عنـــه فى القضاء لأبى موسى الأشعرى

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عُمَر بن الخطاب أمير المؤمنين الى عبد الله بن قيس سلامٌ عليكَ أما بعد فانّ القضاء فريضــة مُحكَمة وسُــنّة مُتّبَعة فافْهَمْ اذا أُدْلِىَ اليكَ فانّه لاينْفَع تَكَلُّمٌ بحَقّ لانَفاذَ له آسِ بين الناس فى وَجْهكَ وعَدْلكَ ومَجْلسكَ حتى لايَطْمَع شَرِيف فى حَيْفكَ ولا يَيْأس ضَعيف من عَدْلكَ البَيّنة على من ادّعى واليمين على مَن أنكر والصُــلْحُ جائز بين المسلمين الّا صُلْحا أحَلّ حراما أوحَرّم حلالا لايَمْنَعَنّكَ

قضاءُ قضيّته اليومَ فراجعْ فيه عقلَكَ وهُديت فيه لرُشْدكَ ان ترجع الى الحقّ فان الحقَّ قديم ومُراجعـةُ الحق خيرٌ من التمادى فى الباطل الفَهْمَ الفَهْمَ فيما تَلجلج فى صَدْرك مما ليس فى كتاب ولا سُنّة ثم اعْرف الأشْياء والأمْثال فَقِس الأُمُورَ عند ذلك واعْمد الى أقْربها الى الله وأشْبهها بالحقّ واجْعل لمن ادّعى حقًّا غائبا أو بيّنة أمَدًا ينتهى اليه فان أحْضر بيّنته أخذْت له بحقّه والا استحللْتَ عليه القضيّةَ فانه أنْفى للشّكّ وأجْلى للعَمى المسلمون عُدُول بعضُهم على بعض الاّ مجْلُودا فى حَدّ أو مُجرّبا عليه شَهادةُ زُور أو ظَنينا فى وَلاء أو نَسَب فان الله تولّى منكم السّرائر ودرأ بالبيّنات والأيْمان واياكَ والغَلَق والضّجر والتأذّى بالخُصوم والتنكّر عند الخُصومات فانّ الحقّ فى مواطن الحقّ يُعْظم اللهُ به الأجْر ويُحْسن به الذّخْر فمن صحّت نيّتُه وأقْبل على نَفْسه كفاهُ اللهُ ما بَيْنَه وبين الناس ومَن تخلّق للناس بما يَعْلم اللهُ أنّه ليس من نَفْسه شانَه اللهُ فما ظنُّكَ بثَواب غير الله عز وجل فى عاجل رِزْقه وخَزائن رَحْمته والسلام

خطبة لسيدنا علىّ

تحدث ابن عائشة فى اسناد ذكره أنّ عليا رضى الله عنه انتهى اليه أنّ خَيْلا لمُعاوية وَرَدَت الأنْبار فَقَتَلوا عاملا له يقال له حَسّان بن حَسّان فخرج مُغْضَبا يَجُرّ ثَوْبَه حتى أتى النُّخَيْلَة واتّبعه الناسُ فَرَقِيَ رَباوَةً

من الارض فحمد الله وأثنى عليـه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال أما بعد فان الجهادَ بابٌ من أبواب الجنة فمن تَرَكه رَغْبَةً عنـه ألْبَسَـه اللهُ الذّلّ وسِيماءَ الخَسْف وذُيّث بالصَغار وقد دَعَوْتُكم الى حَرْب هؤلاء القوم ليلا ونهـارا وسرّا واعلانا وقلت لكم اغْزُوهم من قَبْل أن يَغْزُوكُم فوالذى نَفْسى بيده ماغُزِى قومٌ قَطُّ فى عُقْر دارهِمْ الاَّ ذَلّوا فتَخاذَلْتُمْ وتَوانَكَلْتُم وتَقُـل عليكم قَولى واتّخَذْتُمُوه وراءَكُم ظِهْرِيًّا حتى شُنّت عليكم الغارات هذا أخو غامد قد وردَت خيلُه الأنْبار وقَتَلُوا حَسّان بن حَسّان ورجالا منهم كثيرا ونسـاء والذى نَفْسى بيده لقد بَلَغنى انه كان يُدْخَل على المرأة المسلمة والمُعاهَدة فَتُنْتَزع أحْجالُهما ورعاثُهما ثم انْصَرفوا مَوْفُورِينَ لم يُكْلَمْ أحَدٌ منهم كَلْمًا فلو أنّ امْرَأ مسلما مات من دُون هـذا أسَـفًا ما كان عندى فيه مَلُوما بل كان به عندى جَدِيرا يا عَجَبا كُلّ العَجَب عَجَبُ مُمِيت القَلْب ويَشْـغَل الفَهْـم ويُكْثِر الاَحْزان من تَضافُر هؤلاء القوم على باطلهم وفَشَلكُمْ عن حَقّكم حتى أصْبَحْتُم غَرَضًا تُرْمَوْن ولا تَرْمُون ويُغار عليكم ولا تَغيرون ويُعْصَى اللهُ عزوجل فيكم وتَرْضَوْن اذا قلت لكم اغْزُوهُمْ فى الشّتاء قُلْتم هـذا أوان قَرّ وصِرّ وان قلت لكم اغزوهم فى الصَيف قلتم هذا حَمارّة القَيظ أنْظِرْنا يَنْصَرم الحَرُّ عَنّا فاذا كنتم من الحَرّ والبَرْد تَفِرُّون فأنتم والله من السَّيْف أفَرّ يا أشْباهَ الرِّجال ولا رجال

ويا طَعام الأَحْلام ويا عُقُول رَبّات الحجال والله لقد أَفْسَدْتم عَلَيّ رأيي بالعصْيان ولقد مَلأْتُم جَوْفي غَيْظا حتى قالت قريش ابن أبي طالب رجلٌ شجاع ولكن لا رَأْيَ له فى الحَرْب لله دَرُّهُم ومن ذا يكون أعلم بها منّي أو أشَدّ لها مراسا فوالله لقد نَهَضْت فيها وما بَلَغْت العشرين ولقد نَيّفْت اليومَ على السّتّين ولكن لا رَأْيَ لمن لا يُطاع يقولها ثلاثا فقام اليه رجُل ومعه أخوه (الرجل وأخوه يُعْرَفان بابْنَيْ عَفيف من الانصار) فقال ياأميرَ المؤمنين أنَا وأخي هذا كما قال الله تعالى ربّ انّي لا أَمْلكُ الاّ نَفْسي وأخي فَرُدّنا بامْرِكَ فوالله لَنَنْتَهينّ اليه ولو حال بَيْنَنا وبينه جَمْرُ الغَضَى وشَوْلُ القَتاد فدعا لهما بخير ثم قال لهما وأينَ تَقَعان مما أريد ثم نَزَل

تواضع عمر بن الخطاب رضى الله عنه

بَلَغ عُمَرَ بنَ الخطاب رضى الله عنه أنّ قَوْمًا يُفَضّلُونه على أبي بكر الصديق رضى الله عنه فَوَثَبَ مُغْضَبًا حتى صعد المنبَرَ فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال أيُّها الناس انّي سَأُخْبركم عَنّي وعن أبي بكر انه لما تُوُفّي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ارْتَدّت العَرَب ومَنَعَتْ شَاتَها وبَعيرَها وأجْمَع رَأْيُنا كُلُّنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أنْ قُلْنا له ياخَليفة رسول الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يُقَاتل العَرَب

بالوحي والملائكة يمدّه الله بهم وقد انقطع ذلك اليوم فالزم بيتك ومسجدك فانه لاطاقة لك بقتال العرب فقال أبو بكر الصديق أوكلكم رأيه على هذا فقلنا نعم فقال والله لأن أخرّ من السماء فتخطفني الطير أحبّ اليّ من أن يكون هذا رأيي ثم صعد المنبر فحمد الله وكبّره وصلّى على نبيّه صلى الله عليه وسلم ثم أقبل على الناس فقال أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حيّ لايموت أيها الناس ألا إنّ كثر أعداؤكم وقلّ عددكم ركب الشيطان منكم هذا المركب والله ليظهرنّ الله هذا الدين على الأديان كلها ولو كره المشركون قوله الحقّ ووعده الصدق بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين والله أيها الناس لو أفردت من جميعكم لجاهدتهم في الله حقّ جهاده حتى أبلى بنفسي عذرا أو أقتل قتلا والله أيها الناس لو منعوني عقالا لجاهدتهم عليه واستعنت عليهم الله وهو خير معين ثم نزل فجاهد في الله حق جهاده حتى أذعنت العرب بالحق

وكتب أبو عُبَيـــدة بن الجَرَّاح ومُعـاذ بن جَبـــل الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يَنْصحانه رضى الله تعالى عنهم

بسم الله الرحمن الرحيم

من أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل الى عمر بن الخطاب سلام عليكَ فانّا نَحْمَد اليكَ الله الذى لااله الا هو (أما بعد) فانّا عَهدنالكَ وأمْر نفسكَ لكَ مُهِمّ فأصْبَحتَ وقد وَلِيتَ أمْرَ هـذه الأمّة أحْمَرِها وأسْودها يَجْلِس بين يديكَ الصَديق والعَدو والشريف والوضيع ولكلّ حصَّةٌ من العدل فانْظُر كيف أنت ياعمر عند ذلكَ وانا نُحَذّرُكَ يومًا تَعْنُو فيه الوجوه وتَجِب له القلوب وتَنْقطع فيه الحُجَج بحُجَّة مَلِكٍ قَهَرهم بجَبَرُوته والخَلْقُ داخرون له يَرْجُون رَحْمَته ويخافون عقابَه وانّا كنّا نتحدّث انّ أمْر هذه الأمَّة يرجع فى آخر زمانها أن يكون اخْوان العَلانيَـة أعداءَ السَريرة وانّا نَعُوذ بالله أنْ تُنْزل كتابَنا سوى المَنْزل الذى نَزَل من قلوبنا فانّا انما كَتَبْنا اليكَ نصيحةً لكَ والسلام فكتب اليهما

بسم الله الرحمن الرحيم

من عمر بن الخطاب الى أبي عبيدة عامر بن الجراح ومعاذ بن جبل سلام عليكما احمد اليكما الله الذى لااله الا هو (أما بعد) فقد جاءنى كتابكما

تَزْعُمان أنه بَلَغكما انّى وَليتُ أمْرَ هذه الأمّة أحْرِها وأسْوَدها يجلس بين يدىّ الصديقُ والعدُوّ والشريف والوضيع وكتبتما أن انْظُر كيف أنتَ ياعُمَر عند ذلك وانه لاحول ولاقوة لعُمر عند ذلك الا بالله كتبتُما تُحَذّرانى ماحُذّرت به الأمَم قَبْلَنا وقديما كان اختلافُ الليل والنهار بآجال الناس يُقَرّبان كلَّ بعيدٍ ويُبْليان كلَّ جديد ويأتيان بكلّ موعود حتى يَصيرالناسُ الى منازلهم من الجنة أو النار ثم تُوَفّى كلُّ نفْس بما كسبت ان الله سريع الحساب كتبتُما تَزْعُمان أنّ أمْرَ هذه الأمّة يَرْجع فى آخر زمانها أن يكون اخْوان العَلانيَة أعْداءَ السَريرة ولَسْتم بذالكَ وليس هذا ذلكَ الزمان ولكن زمانُ ذلكَ حين تَظْهَر الرَغْبَة والرَهْبَة وكتبتُما تَعُوذان بالله أن أُنْزل كتابكما منّى سوى المَنْزل الذى نَزَل من قلوبكما وانما كتبتُما نصيحة لى وقد صَدَقْتُما فتَعَهّدانى منكما بكتاب ولا غِنًى بى عنكما والسلام عليكما

خطبة سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه

انّ لكلّ شئ آفة وان لكل نعمة عاهة وان آفةَ هذه الأمّة وعاهة هذه النعمة عَيّابُون طَعّانون يُظْهرُون لكم ما تُحبُّون ويُسرّون ما تَكْرَهون يقولون لكم وتقولون طَغام مثْل النَعام يَتْبَعون أوّل ناعق أحَبّ مَواردهم اليهم النازح لقد أقْرَرْتم لابن الحطاب بأكثر مما نقَمْتُم علَىّ ولكن وَقَمَكم وقَمَعكم وزَجَركم زَجْرَ النّعام المُخَزّمة والله انّى لأقرب ناصرًا وأعَزّ نَفَرًا

وأمّن ان قُلْتُ هَلُمّ أن تُجاب دَعْوَتى من عمر هل تَفْقدون من حُقُوقكم شيأ فمالى لا أفْعَل فى الحَقّ ما أشاء اذًا فلم كُنْتُ اماما

ومن كلام سيدنا على بن أبى طالب عليه السلام فى التحريض على الحرب كان يقوله لاصحابه فى بعض أيّام صفّين

معاشَر المسلمين استشعروا الخَشْـية وتَجَلْبَبوا السكينـة وعَضُّوا على النَواجذ فانه أنْبَى للسُّيُوف عن الهَام وأمْلُوا اللأمَة وقَلْقلُوا السيوف فى أغْمادها قَبْلَ سَلّها والحَظُوا الخَزْر واطْعَنُوا الشَزْر ونافحُوا بالظُبَا وصِلُوا السُيوفَ بالخُطَا واعلموا أنكم بعَين الله ومع ابن عَمّ رسول الله صـلى الله عليه وآله وسلم فعاودُوا الكَرّ واسْتَحْيُوا من الفَرّ فانه عارٌ فى الاعْقاب ونارٌ يومَ الحساب وطِيبُوا عن أنْفُسكم نَفْسا وامْشُوا الى المَوت مَشْـيا سُجُحًا وعليكم بهذا السَواد الاعْظم والرواق المُطَنَّب فاضربُوا ثَبَجَه فانَّ الشيطان كامنٌ فى كسْره قد قَدَّمَ للوَثْبَـة يدًا وأخّر للنُّكُوص رِجْلا فصَمْدًا صَمْدًا حتى يَنْجلى لكم عَمُود الحَقّ وأنْتُمُ الاعْلَوْن والله مَعَكم ولن يَتِرَكُمْ أعْمالَكُمْ

ومن كلامٍ له عليه السلام

وقد قام اليه رجل من أصحابه فقال نَهَيْتَنا عن الحكومة ثم أمَرْتَنا بها فلم نَدْرِ أىّ الأمْرَين أرْشَد فصَفَق عليه السلام احْدَى يَدَيْه على الأخْرَى ثم قال

هذا جزاءُ مَن تَرَكَ العُقْدة أما والله لَوْ أتى حين أمَرْتُكُمْ بما أمرتكم به حَمَلْتُكم على المَكْروه الذى يَجْعل الله فيه خَيْرًا فان استقَمْتُم هَدَيْتُكم وان اعْوَجَجْتم قَوَّمْتُكم وان أبَيْتُم تَدارَكْتُكُم لكانت الوُثْقَى ولكن بمن والى من أُريد أنْ أداوِىَ بكم وأنتم دائى كناقش الشوكة بالشوكة وهو يعلم أنّ ضلَعَها معها اللهم قد مَلَّتْ أطبّاء هذا الداء الدَوِىّ وكَلَّتْ النَزَعَةُ بأشطان الرَكِىّ أينَ القومُ الذين دُعُوا الى الاسلام فَقَبلوه وقرأوا القرآن فأحْكَموه وهيجُوا الى القتال فولَهُوا وَلَهَ اللِقاح الى أوْلادها وسَلَبُوا السيوفَ أغْمادَها وأخَـذوا بأطراف الارض زَحْفًا زَحْفًا وصَفًّا صَفًّا بَعْضُ هَلَكَ وبَعْضُ نَجَا لا يُبَشَّرُون بالاَحْياء ولا يُعَزَّوْن بالمَوْتَى مُرُه العيون من البُكاء خُمْص البُطون من الصيام ذُبْل الشفاه من الدُّعاء صُفْرُ الاَلْوان من السَهَر على وُجُوههم غَبَرَة الخَاشعين اولئك اخْوانى الذاهبُون فحَقّ لنا أنْ نَظْمأَ اليهم ونَعَضّ الاَيْدى على فراقهم انّ الشّيطانَ يُسَنّى لكم طُرُقَه ويُرِيد أن يَحُلّ دينَكم عُقْدَةً عقدة ويُعْطيكم بالجماعة الفُرْقة فاصْدفُوا عن نَزَغاته ونَفَثاته واقْبلوا النصيحةَ ممن أهْداها اليكم واعْقلوها على أنْفُسكم

ومن كلام له عليه السلام لعُمَر بن الخطاب وقد استشاره فى غَزْوة الفُرس بنَفْسه

انّ هذا الأمر لم يكن نَصْره ولا خذْلانه بكَثْرة ولا قلّة وهو دين الله الذى أظْهَره وجُنْده الذى أعَدّه وأمَدّه حتى بلغ مابلغ وطَلَع حَيْثُما طَلَع ونحن على مَوْعود من الله والله مُنْجز وَعْده وناصر جُنْده ومكانُ القَيّم بالأمر مكانُ النظام من الخَرَز يَجْمعه ويَضُمّه فاذا انْقطع النظام تَفَرّق الخَرَز وذهب ثم لم يَجْتَمع بحَذافيره أبَدًا والعَرَبُ اليومَ وان كانوا قَليلا فَهُمْ كثيرون بالاسلام عَزيزُون بالاجتماع فكن قُطْبًا واسْتَدر الرَّحَى بالعَرَب وأصْلهمْ دُونَكَ نارَ الحَرْب فانكَ ان شَخَصْتَ من هذه الارض انْتَقَضَتْ عليكَ العَرَب من أطْرافها وأقْطارها حتى يكون ما تَدَعُ وراءَكَ من العَوْرات أهَمّ اليكَ مما بين يَدَيكَ

انّ الأعاجم ان يَنْظُروا اليكَ غَدًا يقولوا هذا أصل العرب فاذا قَطَعْتُمُوه اسْتَرَحْتُم فيكون ذلكَ أشَدّ لكَلَبهم عليكَ وطَمَعهم فيكَ فأمّا ماذَكَرْت من مَسير القوم الى قتال المسلمين فانّ الله سُبحانه هو أكْرَه لمَسيرهم منكَ وهو أقْدَر على تَغْيير مايَكْرَه وأمّا ماذَكَرْت من عَدَدهم فانّا لم نَكن نُقاتل فيما مضى بالكَثْرة وانّما كُنّا نُقاتل بالنَصْر والمَعُونة

ومن خطبة له عليه السلام خطبها بصفّين

أما بعد فقد جعل الله لى عليكم حقّا بولاية أمركم ولكم علىّ من الحق مثل الذى لى عليكم فالحقّ أوسع الاشياء فى التواصف وأضيقها فى التناصف لايجرى لأحد الاّ جرى عليه ولا يجرى عليه الاّ جرى له ولو كان لأحد أن يجرى له ولا يجرى عليه لكان ذلك خالصا لله سبحانه دون خلقه لقدرته على عباده ولعدله فى كل ما جرت عليه صروف قضائه ولكنه جعل حقه على العباد أن يطيعوه وجعل جزاءهم عليه مضاعفة الثواب تفضّلا منه وتوسّعا بما هو من المزيد أهله ثم جعل سبحانه من حقوقه حقوقا افترضها لبعض الناس على بعض فجعلها تتكافأ فى وجوهها ويوجب بعضها بعضا ولا يستوجب بعضها الاّ ببعض وأعظم ما افترض سبحانه من تلك الحقوق حق الوالى على الرعيّة وحق الرعيّة على الوالى فريضة فرضها سبحانه لكلّ على كلّ فجعلها نظاما لألفتهم وعزّا لدينهم فليست تصلح الرعية الاّ بصلاح الولاة ولا تصلح الولاة الاّ باستقامة الرعيّة فاذا أدّت الرعيّة الى الوالى حقّه وأدّى الوالى اليها حقّها عزّ الحقّ بينهم وقامت مناهج الدين واعتدلت معالم العدل وجرت على أذلالها السُّنن فصلح بذلك الزمان وطمع فى بقاء الدولة ويئست مطامع الاعداء واذا غلبت الرعيّة والِيَها وأجحف الوالى برعيّته اختلفت هنالك الكلمة وظهرت

مَعالمُ الجَوْر وكَثُر الادْغال فى الدين وتُرِكَت مَحاجّ السُّنَن فعُمِل بالهَوى وعُطِّلَت الاَحكام وكَثُرت علَل النُّفوس فلا يُسْتَوْحَش لعظيم حقّ عُطِّل ولا لعظيم باطل فُعل فهنالكَ تَذِلّ الاَبْرار وتَعزّ الاَشْرار وتَعْظُم تَبِعاتُ الله عند العباد فعليكم بالتَناصُح فى ذلك وحُسْن التعاوُن عليه فليس أحد وان اشْتدّ على رضاء الله حِرْصُه وطال فى العمل اجتهادُه ببالغ حقيقةَ ما اللهُ أهلُه من الطاعة ولكن من واجب حقوق الله على العباد النصيحة بمبلغ جُهْدهم والتعاوُن على اقامة الحق بينهم وليس امرُؤٌ وان عَظُمَت فى الحق منْزلَتُه وتقدَّمَت فى الدين فضيلته بفَوْقَ أن يُعانَ على ما حَمّله اللهُ من حَقّه ولا امْرُؤ وان صَغَّرَتْه النُّفوس واقْتَحَمَتْه العُيون بدون أن يُعينَ على ذلك أوْ يُعانَ عليه

فأجابه عليه السلام رجل من أصحابه بكلام طويل يُكْثِر فيه الثَناءَ عليه ويَذْكُر سَمْعه وطاعتَه فقال عليه السلام انّ من حق مَن عَظُم جلالُ الله فى نفسه وجَلّ موضعُه من قَلْبه أن يَصْغُر عنده لعظَم ذلك كلُّ ماسواه وانّ أحَقّ مَن كان كذلك لَمَنْ عَظُمت نعمُ الله عليه ولَطُف احسانُه اليه فانه لم تَعْظُم نعمُ الله على أحد الا ازْداد حقُّ الله عليه عِظَما وان من أسْخَف حالات الُولاة عند صالح الناس أن يُظَنّ بهم حُبُّ الفخر ويُوضَع أمْرُهم على الكِبْر وقد كَرِهْتُ أن يكون جالَ فى ظَنّكم

أنّى أُحبّ الاطْراء واستماعَ الثناء ولَسْتُ بحَمْد الله كذلك ولو كنتُ أُحبّ أن يقال ذلك لتركْتُـه انحطاطا لله سبحانه عن تَناوُل ما هو أَحق به من العَظمة والكبرياء وربما اسْتَحْلَى الناسُ الثناءَ بعـد البَلاء فلا تُثْنُوا عليّ بجميل ثَناء لاخْراجي نفسي الى الله واليكم من التَّقيّـة في حقوق لم أَفْرُغْ من أدائها وفرائضَ لابُدَّ من امْضائها فلا تُكلّمُوني بما تُكلَّم به الجَبابرة ولا تتحفَّظوا منّي بما يُتحفَّظ به عند أهل البادرة ولا تُخالطوني بالمُصانعة ولا تَظُنّوا بي استثقالا في حقّ قيل لي ولا التماسَ اعْظام لنفسي فانه مَن اسْتَثْقَل الحقّ أن يقالَ له أو العَدلَ أن يُعْرَض عليه كان العمل بهما أثقل عليه فلا تَكُفّوا عن مَقالة بحق أو مَشُورة بعَدْل فانّي لَسْت في نفسي بفَوْق أنْ أُخْطئ ولا آمَنُ ذلك من فعْلي الاّ أن يَكْفِيَ اللهُ من نفسي ماهو أمْلَكُ به مني فانما أنا وأنتم عبيدٌ مملوكون لرَبّ لارَبَّ غيره يَملكُ منّا مالا نَملكُ من أنفسنا وأخْرَجَنا ممّا كُنّا فيـه الى ماصَلَحْنا عليه فأبْدَلَنا بعد الضلالة بالهُدَى وأعطانا البصيرة بعد العَمى

ومن وصية له عليه السلام وصّى بها جيشا بعثه الى العدوّ

فاذا نَزَلْتم بعَـدُوّ أو نَزَل بكُم فليكُن مُعَسْكَرُكم في قَبيـل الأشْراف وسِـفاح الجبال أو أثْناء الأنْهار كيما يكون لكم رِدْءا ودونَكُم مَرَدًّا

وَلْتَكُنْ مُقاتَلَتُكُم من وجه واحد أو اثنين واجعلوا لكم رُقَباء فى صَياصى الجبال ومَناكب الهضاب لئلا يأتيكم العـدوّ من مكان مَخافة أو أمْن واعلموا أنّ مُقدّمة القوم عيونُهم وعيونُ المقدمة طَلائعُهم وايّاكم والتفرُّق فاذا نَزَلتم فانزلوا جميعا واذا ارْتَحَلْتم فارْتَحلوا جميعا واذا غَشيكم الليـلُ فاجعلوا الرماح كَفّة ولا تَذوقوا النَوْم الّا غرارًا أو مَضْمضة

ومن وصـية له عليه السلام كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات وانما ذكرْنا هنا جُملا منها ليُعْلَم بها انه كان يقيم عماد الحق ويَشْرَع أمثلة العدل فى صغير الامور وكبيرها ودقيقها وجليلها

انْطَلق على تَقْوَى الله وحده لاشريكَ له ولا تَرُوعَنّ مسلما ولا تَجْتازَنّ عليه كارها ولا تأخُذَنّ منه أكثَر من حق الله فى ماله فاذا قَدِمْتَ على الحيّ فانْزِلْ بمائهم من غير أن تُخالط أبياتهم ثم امْضِ اليهم بالسكينة والوَقار حتى تقومَ بينهم فتُسَلّم عليهم ولا تُخْدج بالتحية لهم ثم تقول عبادَ الله أرْسَلَنى اليكم ولىُّ الله وخليفتُه لآخُذَ منكم حق الله فى أموالكم فهل لله فى أموالكم من حق فتُؤَدُّوه الى وَليّـه فان قال قائل لا فلا تُراجعْه وان أنْعَم لك مُنْعِمٌ فانْطَلق معـه من غير أن تُخيفَه وتُوعِدَه أو تَعْسِفه أو تُرْهِقه فخُذْ ما أعْطاكَ من ذهب أو فضة فان كان له ماشية أو ابل فلا تَدْخُلْها الا باذنه فانّ أكْثَرَهـا له فاذا أتيتَها فلا تَدْخُل عليها دُخولَ

مُتَسَلِّط عليـه ولا عَنيف به ولا تُنَفِّرَنّ بَهيمـة ولا تُفْزِعَنَّها ولا تَسُوءَنّ صاحبَها فيها واصْـدَع المـالَ صَـدْعين ثم خَيِّرْه فاذا اخْتار فلا تَعَرِّضَنّ لما اخْتارَه ثم اصْـدَع البـاقي صَدْعين ثم خَيِّره فاذا اختار فلا تَعَرَّضَنّ لما اختاره فلا تَزال بذلك حتى يَبْقَى مافيه وَفاءٌ لحق الله في ماله فاقبِضْ حق الله منه فان اسْتَقالَكَ فأقِلْه ثم اخْلِطْهما ثم اصْنع مثْل الذى صَنَعْت أوّلا حتى تأخـذ حق الله فى ماله ولا تأخُـذَنّ عَوْدا ولا هَرِمة ولا مكسورةً ولا مَهْلوسة ولا ذاتَ عَوارٍ ولا تأمَنَنّ عليها الّا مَن تَثِق بدينه رافقا بمال المسلمين حتى يُوَصِّله الى وَلِيّهم فيَقْسمه بينهم ولا تُوَكِّل بها الّا ناصحا شفيقا وأمينا حفيظا غيرَ مُعَنِّف ولا مُجْحِف ولا مُلْغِب ولا مُتْعِب ثم احْدُر الينا ما اجْتَمَع عندكَ نُصَيِّره حيثُ أمَرَ اللهُ فاذا أخَذَها أمينُك فأوْعِزْ اليه أن لايَحُول بيْن ناقة وبيْن فَصيلها ولا يَقْصُر لَبَنَها فيَضُرّ ذلك بوَلَدها ولا يَجْهَدَنَّها رُكوبًا ولْيَعْدِل بيْن صواحباتها فى ذلك وبيْنَها ولْيَرفُقْ على اللاغب ولْيَسْتَأْنِ بالنَقِب والظالع ولْيُوِرْدها ما تَمُرُّ به من الغُدُر ولا يَعْدِل بها عن نَبْت الارض الى جَوادّ الطُرُق ولْيُرَوِّحْها فى الساعات ولْيُمْهِلْها عند النطاف والأعْشاب حتى تأتينا باذن الله بُدْنا مُنْقِيات غيرَ مُتْعَبات ولا مجهودات لنَقْسِمَها على كتاب الله وسُنّة نبيه صلى الله عليه وآله فان ذلك أعظم لأجْرِكَ وأقْرَب لرُشْدِكَ ان شاء الله

وقال عليه السلام وقد سمع رجلا يذم الدنيا أيُّها الذّامُّ للدُّنْيا المُغْتَرّ بغُرُورها المَخْدوع بأباطيلها ثم تَذُمّها أتَغْتَرّ بالدُّنْيا ثم تَذُمّها أنْتَ المُتَجَرّم عليها أمْ هي المتجرّمة عليك متى اسْتَهْوَتْكَ أمْ متى غَرَّتْكَ أبمَصارع آبائك من البِلَى أمْ بمَضَاجع أُمَّهاتك تَحْتَ الثَّرَى كم عَلَّلْتَ بكَفَّيْكَ وكم مَرَّضْتَ بيَدَيْكَ تَبْغي لهم الشِّفَاء وتَسْتَوْصف لهم الأطبّاء لم يَنْفَع أحَدَهم اشْفَاقُكَ ولم تُسْعَف بطَلَبَتك ولم تَدْفَع عنه بقُوَّتك قد مثَّلَتْ لك به الدُّنْيا نَفْسَك وبمَصْرَعه مَصْرَعَك انّ الدُّنْيا دَارُ صِدْق لمَن صَدَقها ودارُ عافيةٍ لمَن فَهِم عنها ودارُ غِنًى لمن تَزَوَّدَ منها ودارُ مَوْعظَة لمن اتَّعَظَ بها مَسْجد أحِبّاء الله ومُصَلَّى ملائكة الله ومَهْبط وَحْي الله ومَتْجَر أولياء الله اكْتَسَبُوا فيها الرَّحْمة وربحوا فيها الجَنّة فَمَنْ ذا يَذُمُّها وقد آذَنَتْ بَيْنَها ونادَتْ بفراقها ونَعَتْ نَفْسَها وأهْلَها فَمَثَّلَتْ لهم ببَلائها البَلاء وشَوَّقَتْهم بسُرُورها الى السُّرُور راحَتْ بعافية وابْتَكَرَتْ بفَجيعة تَرْغيبا وتَرْهيبا وتَخْويفا وتَحْذيرا فَذَمَّها رجالٌ غَدَاةَ النَّدامَة وحَمِدها آخَرُون يوم القيامة ذَكَّرَتْهم الدُّنْيا فتَذَكَّروا وحَدَّثَتْهم فَصَدَقوا ووَعَظَتْهم فاتَّعَظُوا

عهد أمير المؤمنين الامام على كرم الله وجهه ورضى عنه للاشتر النخعى

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أمَرَ به عبـد الله على أمير المؤمنين مالكَ بن الحارث الأشتر فى عَهْده حين ولّاه مصر جباية خَراجها وجهاد عَدُوّها واصْلاح أهْلها وعمارة بلادها أمَرَه بتقْوَى الله وايثار طاعته واتّباع ما أمَر به فى كتابه من فرائضه وسُـنَنه التى لا يَسْعَد الّا باتّباعها ولا يَشْقَى الا مع جُحُودها واضَاعَتها وأنْ يَنْصُر الله سبحانه بيَده وقَلْبه ولسَانه فانه جلّ اسْمُـه قد تَكَفَّل بنَصْر مَن نَصره واعْزاز مَن أعَزّه وأمَرَهُ أن يَكْسر من نفسه عند الشَّهوات وزَعها عند الجَمَحات فانّ النَفْس أمّارَةٌ بالسُوء الّا ما رَحم اللهُ ثم اعْلَم يامالكُ انّى قد وجّهْتُكَ الى بلاد قد جَرَتْ عليها دُوَلٌ قبلك من عَدْل وجَوْر وأن الناس يَنْظُرون من أُمُورك فى مثْل ما كُنْتَ تنظر فيه من أمور الوُلاة قبلك ويقولون فيك كما كُنْتَ تقول فيهم وانما يُسْتَدَلّ على الصالحين بما يُجْرى اللهُ لهم على ألْسنَة عباده فَلْيَكُنْ أحَبّ الذَخائر اليك ذَخيرة العَمَـل الصالح فامْلك هَوَاكَ وشُحّ بنفسك عَمّا لا يَحلّ لكَ فانّ الشُحّ بالنفس الانصاف منها فيما أحَبَّتْ أو كَرِهَتْ وأشْعر قلبَكَ الرَّحْمَةَ للرَعيّـة والمَحَبّة لهم واللُطْف بهم ولا تكوننّ عليهم سَبُعًا ضاريا

تَغْتَنِم أكْلَهم فانهم صِنْفان إمّا أخٌ لكَ فى الدّين وإمّا نظيرٌ لكَ فى الخَلْق يَفْرُط منهم الزَّلَل وتَعْرض لهم العلَل ويُؤْتَى على ايديهم فى العَمْـد والخَطَأ فأعْطهم من عفْوكَ وصَفْحكَ مثْـل الذى تُحِبّ وتَرْضَى أن يُعْطيكَ اللهُ من عفْوه وصَفْحه فانكَ فَوْقَهم ووَالى الامْر عليكَ فَوْقَكَ واللهُ فوق مَن ولّاكَ وقد اسْتَكْفَاكَ أمْرَهُم وابْتَلاكَ بهم ولا تَنْصِبَنّ نفسَكَ لحَرْب الله فانه لايَدَىْ لكَ بنقْمته ولا غِنًى بكَ عن عفوه ورحمتـه ولا تَنْدَمَنّ على عفو ولا تَبَجَّحَنّ بعُقوبة ولا تُسْرِعَنّ الى بادرَة وَجَدْتَ عنها مَنْـدوحة ولا تقولَنّ انى مُؤَمَّرٌ آمر فَأُطاع فان ذلكَ ادْغال فى القلب ومَنْهَكة للدّين وتَقَرُّبٌ من الغيَر واذا أَحْدَثَ لكَ ماأنتَ فيه من سُلْطانكَ أبَّهَةً أو مَخيلَةً فانظر الى عظَم مُلْكَ الله فَوْقكَ وقُدْرته منكَ على مالا تَقْدر عليـه من نفسـكَ فانّ ذلكَ يُطَامن اليكَ من طماحكَ ويَكُفّ عنكَ من غَرْبكَ ويُفىء اليـكَ بما عَزَبَ عنـكَ من عَقْلكَ وأيَالـكَ ومُسَاماة الله فى عَظَمته والتَشَبُّه به فى جَبَرُوته فان الله يُذِلّ كُلّ جَبّار ويُهين كُلّ مُخْتال أنْصف الله وانصف النّاسَ من نفسكَ ومن خاصّة أهلكَ ومَن لكَ فيـه هَوًى من رَعيَّتكَ فانكَ ان لاتَفْعَل تَظْلِم ومن ظَلَم عبـادَ الله كان اللهُ خَصْمه دون عبَاده ومَن خاصَمَه اللهُ أدْحَضَ حُجَّتَـه وكان لله حَرْبا حتى يَنْزع ويَتُوب وليس شئ أدْعَى الى تغيير نعمـة الله وتعجيل نقْمتـه من اقامة

على ظُلْم فان الله سَميعُ دعوةَ المظلومين وهوالظالمين بالمرصاد ولْيَكُنْ أحبّ الامور اليكَ أوْسَطها فى الحق وأعمّها فى العَدْل وأجْمَعها لرضى الرعيّـة فانّ سُخْط العامّة يُجْحِف برضى الخاصّة وانّ سُخْط الخاصّـة يُغْتَفرمع رضَى العـامة وليس أحَدُ من الرعيـة أثْقَل على الوالى مَؤُنَةً فى الرَخاء وأقَلّ مَعُونَةً فى البَـلاء وأكْرَه للانْصاف وأسْأل بالالْحـاف وأقَلّ شُكْرا عند الاعْطاء وأبْطأ عُذْرا عند المَنْع وأخَفّ صَبْرا عند مُلِمّات الدهْر من أهْل الخاصَّة وانما عَماد الدين وجماع المسلمين والعُدّةُ للاعْدَاء العامَّةُ من الاُمّة فليكُن صَفْوُكَ لهم وَمَيْلُكَ معهم وليَكُن أبْعَد رَعيّتك منك وأشْنَأهم عنـدك أطْلَبهم لمَعايب النـاس فانّ فى النـاس عُيُوبا الوالى أحَقّ مَن سَـتَرَها فلا تَكْشفن عما غاب عنكَ منها فانما عليكَ تَطْهير ماظَهَرَ لكَ والله يَحْكُم على ماغاب عنكَ فاسْتُرِ العَوْرة مااسْتَطَعْتَ يَسْـتُرُ اللهُ منكَ ماتُحِبّ سَتْرَهُ من رعيّتكَ اَطْلق عن الناس عُقْدَةَ كُلّ حقْد واقْطَع عنكَ سبب كل وِتْر وتَغابَ عن كل مالا يَصِحُّ لكَ ولا تَعْجَلَنّ الى تصديق ساعٍ فان الساعىَ غاشّ وان تَشَبَّه بالنّاصحين ولا تُدْخلَنّ فى مَشُورَتكَ بَخيلا يَعْـدل بكَ عن الفضل ويَعِـدُكَ الفَقْر ولا جَبَانا يُضْعفكَ عن الامور ولا حَريصا يُزَيّن لكَ الشَّرَهَ بالجَوْر فانّ البُخْل والجُبْن والحرْص غَرائزُ شَتَّى يَجْمَعُها سوءُ الظّنّ بالله انّ شَرّ وُزَرَائكَ مَن كان قبلَكَ للاشْرار وَزيرا

ومن شَرِكَهُمْ فى الآثام فلا يكونَنّ لكَ بطانة فانهم أعْوان الأئمة واخْوان الظَلَمة وأنتَ واجِدُ منهـم خَيْرَ الخَلَف ممن له مِثْلُ آرائهم ونَفَاذهم وليس عليه مِثْل آصارهم وأوْزَارهم ممن لايعُاون ظالما على ظُلْمـه ولا آثما على اثْمه أولئكَ أخَفّ عليكَ مَؤُونَةً وأحْسـن لكَ مَعُونة وأحْنَى عليكَ عَطْفا وأقَلّ لغيرِكَ الْفا فاتَّخِذْ أولئكَ خاصَّةً لخَلَوَاتكَ وحَفَلاتكَ ثم لَيَكُن آثَرَهُم عندكَ أقْوَلَهُم لكَ بمُرِّ الحَقّ وأقلّهُم مُساعدة فيما يكون منكَ مما كَرِه اللهُ لأوْلِيائه واقعًا ذلكَ من هَوالكَ حيث وقَعَ والْصَقْ بأهل الوَرَع والصّدْق ثم رُضْهُمْ على أنْ لايُطْرُوكَ ولا يُحْمِدوكَ بباطل لَمْ تَفْعَلْهُ فانّ كَثْرة الاطْراء تُحْدِث الزَهْو وتُدْنى من العِزَّة ولا يكونَنّ المُحْسِـن والمُسِيء عندكَ بمَنْزلة سَواء فانّ فى ذلكَ تَزْهيدا لأهْل الاحسان فى الاحسان وتَدْريبا لأهـل الاساءة على الاساءة وألْزِم كُلًّا منهم ماألْزَم نفسـه واعْلَمْ أنه ليس شئ بادْعَى الى حُسْـن ظنّ وَالٍ برَعيّته من احْسانه اليهم وتَخْفيفه المَؤُونات عليهم وتَرْكِهِ استكْراهه اياهُم على ماليس له قِبَلَهم فَلْيَكُنْ منـكَ فى ذلكَ أمْر يَجْمع لكَ حُسْنَ الظّنّ برَعيّتكَ فانّ حُسْن الظّنّ يَقْطَع عنكَ نَصَبًا طويلا وانّ أحَقّ مَنْ حَسُنَ ظَنُّكَ به لَمَنْ حَسُنَ بَلاؤُكَ عنده وانّ أحَقّ من ساءَ ظَنُّكَ به لَمَنْ ساءَ بلاؤكَ عنده ولا تَنْقُضْ سُنّةً صالحة عَمِل بها صُدُور هذه الأُمّة واجْتَمَعَتْ بها الألْفة وصَلَحَتْ عليها الرعية ولا تُحْدِثَنّ

سُنَّة تَضُرّ بشئ مما مضى من تلك السُّنَن فيكون الاجْرُ لمن سَنَّها والوِزْر عليك بما نَقَضْتَ منها وأكثر مُدَارسة العُلَماء ومناقشة الحُكماء فى تَثْبيت ماصَلَحَ عليه أمْر بلادك واقامة ماسْتَقام به الناس قَبْلَك واعْلَم أنّ الرعية طبقات لايصلُح بعضُها الا ببعض ولا غنىً ببعضها عن بعض فمنها جُنودُ الله ومنها كُتّاب العامّة والخاصة ومنها قُضَاةُ العدل ومنها عُمّال الانصاف والرِفْق ومنها أهلُ الجزْية والخَرَاج من أهـل الذمّة ومُسْلِمة الناس ومنها التُجّار وأهلُ الصناعات ومنها الطبَقة السُفْلَى من ذَوى الحاجة والمَسْكنة وكُلًّا قد سَمّى اللهُ سَهْمَه ووضَع على حَدّه فريضةً فى كتابه أو سُنّة نبيه صلى الله عليه وآله عَهْدًا منه عندنا محفوظا فالجُنود باذن الله حُصُون الرعية وزَيْن الوُلاة وعزّ الدين وسُبُل الأمْن وليس تَقوم الرعية الا بهم ثم لاقوام للجُنود الا بما يُخْرِج اللهُ تعالى لهم من الخَرَاج الذى يَقْوَوْن به فى جهاد عَدُوّهم ويعتمدون عليه فيما يُصْلحهم ويكون من وراء حاجتهم ثم لاقوامَ لهذَيْن الصنْفين الا بالصّنْف الثالث من القُضَاة والعُمّال والكُتّاب لما يُحكمون من المَعاقد ويَجْمَعون من المنافع ويُؤْتَمنون عليه من خَواصّ الامور وعَوَامّها ولا قوامَ لهم جميعا الا بالتّجّار وذَوى الصّناعات فيما يجتمعون عليه من مَرَافقهم ويُقيمونه من أسْواقهم ويكْفُونهم من التَّرَفّق بأيْديهم مالا يَبْلُغ رِفْق غيرهم ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة

والمسكنة الذين يَحُقُّ رِفْدُهم ومَعُونتهم وفى الله لكُلٍّ سَعَةٌ ولكُلٍّ على الوالى حَقّ بقَـدْر مايُصْلحه وليس يخرج الوالى من حقيقة ماألزَمه الله من ذلك الّا بالاهتمام والاستعانة بالله وتوطين نَفْسه على لزومه الحقّ والصبر عليه فيما خَفّ عليه أو ثَقُل فَوَلّ من جُنُودك أنْصَحَهم فى نَفْسك لله ولرسوله ولامامك وأطْهَرهُـمْ جَيْبًا وأفْضَلَهم حِلْما ممن يُبْطِىء عن الغَضَب ويَسْـتَرِيح الى العُذْر ويَرْأَفُ بالضُعَفاء ويَنْبُو على الاقْوياء ممن لايُثيره العُنْف ولا يَقْعُد به الضّعْف ثم الْصَق بذوى المُرُوآت والاحْساب وأهل البُيوتات الصالحة والسوابق الحَسَـنة ثم أهل النَجْدة والشجاعة والسخاء والسماحة فانهم جِماعٌ من الكَرَم وشُعَب من العُرْف ثم تَفَقّد من أمورهم مايَتفقّده الوالدان من ولدهما ولا يَتَفاقَمَنّ فى نفسك شئ قَوّيْتَهم به ولا تَحْقرَنّ لُطْفا تتعاهَدُهم به وان قَلّ فانّه داعيـةٌ الى بَذْل النَصيحة لك وحُسْـن الظّن بك ولا تَدَع تَفَقُّد لطيف امورهم اتّكالا على جَسيمها فان لليَسـير من لُطْفك مَوْضعا يَنْتَفعُون به وللجَسيم مَوْقعًا لايَسْتَغْنُون عنه وليكن آثَرَ رؤوس جُنْدك عندك مَن وَاساهُم فى مَعُونته وأفْضَـل عليهم من جِدَته بما يَسَعُهم ويَسَـع مَن وراءهم من خُلُوف أهْلهم حتى يكون هَمُّهم هَمًّا واحدا فى جهاد العـدوّ فان عَطْفَك عليهم يُعَطِّف قُلُوبَهم عليك وان أفْضَل قُرّة عين الوُلاة اسْتقامة العَدْل فى البلاد

وظُهور مَوَدّة الرَّعيّة وأنه لاتَظْهر مَوَدّتُهم الا بسلامة صدورهم ولا تصحّ نصيحتهم الا بحيْطتهم على وُلاة أمورهـم وقلّة استثقال دُولهـم وتَرْكُ استبطاء انقطاع مُدّتهم فافْسَحْ فى آمالهم وواصلْ فى حُسْن الثّناء عليهم وتَعْديد ماأبْلَى ذوو البلاء منهم فان كَثْرةَ الذكْر لحُسْن فَعالهم تَهُزّ الشُجاع وتُحَرّضُ الناكلَ ان شاء اللهُ تعالى ثم اعْرف لكُلّ امْرئ منهم ماأبْلَى ولا تُضيفَنّ بلاءَ امرئ الى غيره ولا تُقَصّرَنّ به دون غاية بلائه ولا يَدْعُوَنّكَ شَرَفُ امرئ الى أنْ تُعْظّم من بَلائه ماكان صغيرا ولا ضَعَةُ امْرئ أنْ تَسْتَصْغر من بَلائه ماكان عظيما وارْدُدْ الى الله ورسوله مايُضْلعُكَ من الخُطوب ويَشْتَبه عليكَ من الأمور فقد قال الله سبحانه لقَوْم أحَبَّ ارْشادَهم (ياأيها الذين أمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسولَ وأُولى الأمْر منكم فان تَنازعْتُم فى شئ فَرُدُّوهُ الى الله والرسول) فالرَّدُّ الى الله الأخذ بمُحْكم كتابه والرَّدُّ الى الرسول الأخْذ بسُنّته الجامعة غير المُفَرّقة ثم أخْتَرْ للحُكْم بين الناس أفْضَل رَعيّتكَ فى نَفْسكَ ممّن لاتَضيق به الامور ولا تُمَحّكُه الخُصُوم ولا يَتَمادى فى الزّلّة ولا يَحْصَر عن الفَيْء الى الحَقّ اذا عَرَفه ولا تُشْرف نَفْسُه على طَمَع ولا يَكْتَفى بأدْنَى فَهْم دون أقصاه أوْقَفهم فى الشُبُهات وآخَذَهم بالحُجَج وأقَلّهم تَبَرُّمًا بمراجعة الخَصْم وأصْبَرَهم على تَكْشيف الامُور وأصْرَمَهم عند اتّضاح الحُكم ممن لايَزْدَهيه اطْراء

ولا يَسْتَمِيلَه اغْراء وأولئك قَليل ثم أكْثِرْ تَعاهُد قَضائه وافْسَح له فى البَذْل مايُزِيح عِلَّتَه وتَقِل معـه حاجتُـه الى النـاس وأعْطه من المنزلة لَدَيك مالا يَطْمَع فيه غيرُه من خاصـتك لتأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك فانْظُر فى ذلك نَظَرا بَليغا فانّ هذا الدّين قد كان أسيرا فى أيْدى الاشْرار يُعْمَل فيه بالهَوى وتُطْلب به الدُّنيا ثم انْظُرْ فى أمُور عُمّالك فاسْتَعْمِلْهُم اخْتِبارًا ولا تُوَلِّهِمْ مُحاباةً وأثَرَةً فانهم جِماعُ من شُعَب الجَوْر والخِيانة وتَوَخَّ منهـم أهل التَجْربة والحَياء من أهل البُيوتات الصالحة والقَدَم فى الاسْلام فانهم أكْرَمُ أخْلاقا وأصَحّ أعْراضـا وأقَلّ فى المطامع اشرافا وأبلغ فى عواقب الأمور نَظَرًا ثم أسْبِغ عليهم الأرزاق فان ذلك قوّةٌ لهم على اسْتِصْلاح أنْفُسهم وغِنًى لهـم عن تَناوُل ماتحت أيْديهـم وحُجّة عليهم ان خالَفُوا أمْرَك أو خانُوا أمانَتَك ثم تَفَقَّدْ أعمالَهـم وابْعَث العُيُون من أهـل الصّـدْق والوَفاء عليهـم فانّ تَعاهُدَك فى السرّ لأمورهم حَدْوةٌ لهم على اسـتعمال الأمانة والرفْق بالرَّعيّة وتَحَفّظ من الاعوان فانْ أحَدٌ منهـم بَسَط يَدَه الى خِيانة اجْتَمَعَتْ بها عليـه عندك أخْبار عُيُونك اكْتَفَيْتَ بذلك شاهدًا فَبَسَـطْتَ عليـه العُقُوبة فى بَدَنه وأخَذْتَه بما أصابَ من عمله ثم نَصَبْتَه بمقام المَذلّة ووَسَمْتَه بالخِيانة وقَلَّدْتَه عارَ التُّهَمَة وتَفَقَّدْ أمرَ الخَراج بما يُصْلِح أهلَه فان فى صلاحه وصـلاحهم صلاحًا لمن سِواهم

ولا صَلاحَ لمن سواهم الاّ بهم لانّ الناس كُلّهم عيالٌ على الخَراج وأهْله ولكن نظرُكَ فى عمارة الارض أبْلَغَ من نَظَرِكَ فى اسْتِجْلاب الخَراج لأنّ ذلك لا يُدْرَكُ الاّ بالعمارة ومَن طلبَ الخَراج بغير عمارة أخْرَبَ البلادَ وأهلكَ العباد ولم يَسْتَقِم أمْرُه الاّ قَليلا فانْ شَكَوْا ثِقَلًا أوعلّة أوانْقطاع شِرْب أو بالّة أو احالَة أرض اغْتَمَرها غَرَقٌ أو أجْحَف بها عَطَشٌ خَفَّفْتَ عنهم بما تَرْجو أن يَصْلُحَ به أمْرُهم ولا يَثْقُلَن عليكَ شئٌ خَفَّفْتَ به المُؤْنَة عنهم فانه ذُخْرٌ يَعُودون به عليكَ فى عمارة بَلَدِكَ وتَزْيين ولايَتِكَ مع استجلابكَ حُسْنَ ثنائهم وتَبَجُّحكَ باستفاضة العَدْل فيهم مُعْتمدا فَضْلَ قُوَّتهم بما ذَخَرْتَ عندهم من اجْمامكَ لهم والثقة منهم بما عَوَّدْتَهم من عَدْلكَ عليهم فى رِفْقكَ بهم فربما حَدَثَ من الأمور ماإذا عُوِّلَ فيه عليهم من بَعْدُ احْتَمَلوه طَيِّبَة أنْفُسُهم به فانّ العُمْران يَحْتَمِل ماحَمَّلْتَه وانما يأتى خَراب الأرض من اعْواز أهْلها وانما يُعْوز أهْلَها لاشْراف أنْفُس الوُلاة على الجمع وسُوء ظَنِّهم بالبَقاء وقلّة انتفاعهم بالعِبَر ثم انْظُر فى حال كُتّابكَ فَوَلِّ على أمُورِكَ خَيْرَهم واخْصُص رَسائلَكَ التى تُدْخل فيها مكائدَكَ وأسرارَكَ بأجمعهم لوُجوه صالح الاخْلاق ممن لاتُبْطره الكَرامة فيَجْتَرِئَ بها عليكَ فى خلاف لكَ بحَضْرة مَلأٍ ولا تُقَصِّر به الغَفْلة عن ايراد مكاتَبات عُمّالكَ عليكَ واصدار جَواباتها على الصَواب

عنك فيما يأخذ لك ويعطى منك ولا يضعف عقدا اعتقده لك ولا يعجز عن اطلاق ما عقد عليك ولا يجهل مبلغ قدر نفسه فى الأمور فان الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل ثم لايكن اختيارك اياهم على فراستك واستنامتك وحسن الظن منك فان الرجال يتعرفون لفراسات الولاة بتصنعهم وحسن خدمتهم وليس وراء ذلك من النصيحة والأمانة شئ ولكن اختبرهم بما ولوا للصالحين قبلك فاعمد لأحسنهم فى العامة أثرا وأعرفهم بالامانة وجها فان ذلك دليل على نصيحتك لله ولمن وليت أمره واجعل لرأس كل من أمورك رأسا منهم لايقهره كبيرها ولا يتشتت عليه صغيرها ومهما كان فى كتابك من عيب فتغابيت عنه ألزمته ثم استوص بالتجار وذوى الصناعات وأوص بهم خيرا المقيم منهم والمضطرب بماله والمترفق ببدنه فانهم مواد المنافع وأسباب المرافق وجلابها من المباعد والمطارح فى برك وبحرك وسهلك وجبلك وحيث لايلتئم الناس لمواضعها ولايجترؤون عليها فانهم سلم لاتخاف بائقته وصلح لاتخشى غائلته وتفقد أمورهم بحضرتك وفى حواشى بلادك واعلم مع ذلك ان فى كثير منهم ضيقا فاحشا وشحا قبيحا واحتكارا للمنافع وتحكما فى البياعات وذلك باب مضرة للعامة وعيب على الولاة فامنع من الاحتكار فان رسول الله صلى الله عليه وآله منع منه وليكن البيع بيعا سمحا

بموازين عَدْل وأسْعار لاتُجْحف بالفريقين من البائع والمُبْتاع فمَن قارَف حُكْرَةً بعد نَهْيك اياه فنَكِّلْ به وعاقب فى غير اسْراف ثم الله الله فى الطَبَقة السُّفْلَى من الذين لاحيلةَ لهم والمساكين والمحتاجين وأهـل البُؤْسَى والزَمْنَى فانّ فى هـذه الطبقة قانعًا ومُعْتَرًّا واحْفَظ لله ماسْتَحْفَظَكَ من حَقّـه فيهم واجعل لهم قسْمًا من بَيْت مالك وقسْمًا من غَلَّات صَوافى الاسلام فى كل بلد فان للأَقْصَى منهم مثْل الذى للأَدْنَى وكُلٌّ قد اسْتُرْعيتَ حقّه فلا يَشْغَلَنَّكَ عنهم بَطَرُ فانك لاتُعْـذَر بتَضْييعك التافهَ لاحْكامك الكثيرَ المُهمّ فلا تُشْخِصْ هَمَّكَ عنهم ولا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لهم وتَفَقَّد أمورَ مَن لايَصِلُ اليكَ منهم ممن تَقْتَحمه العيون وتَحْتَقِرُه الرجال ففَرِّغ لأولئك ثِقَتَكَ من أهل الخَشْـية والتواضُـع فلْيَرْفَع اليكَ أمورَهم ثم اعْمَل فيهم بالاعْذار الى الله سبحانه يوم تَلْقاه فانّ هؤلاء من بين الرَعيّة أحْوَجُ الى الانْصاف من غيرهم وكُلٌّ فاعْذِرْ الى الله فى تأدية حقّه اليه وتَعَهَّد أهلَ اليُتْم وذَوى الرِّقَّة فى السِّنّ ممن لاحيلةَ له ولا يَنْصب للمسألة نَفْسه وذلك على الوُلاة ثَقيـل والحَقّ كُلُّه ثَقيـل وقد يُخَفِّفه اللهُ على أقوام طَلَبوا العاقبـةَ فَصَبَّروا أنْفُسَهـم ووَثِقُوا بصدق مَوعُود الله لهم واجْعَلْ لذَوى الحاجات منكَ قِسْمًا تُفَرِّغُ لهم فيـه شَخْصَكَ وتَجْلس لهم مَجْلسًا عامًّا فتتواضَع فيه لله الذى خَلَقَكَ وتُقْعِد عنهم جُنْدَكَ وأعْوانَكَ من أحْراسك

وشُرَطك حتى يُكلّمك متكلّمهم غيرَ مُتَتَعتع فانّى سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله يقول فى غير مَوْطن (لن تُقدَّس أمّةٌ لايُؤْخَذ للضعيف فيها حقُّه من القويّ غير مُتَتَعْتع) ثم احْتَمل الخُرْق منهم والعِىَّ وَنَحِّ عنهم الضيقَ والآنَفَ يَبْسُط اللهُ عليكَ بذلكَ أكْنافَ رحمته ويُوجِبْ لكَ ثوابَ طاعتـه وأعط ماأعْطَيْتَ هنيأ وامْنَعْ فى إجْمال وإعْذار ثم أمورٌ من أُمورك لابُدَّ لكَ من مُباشرتها منها اجابةُ عُمّالك بما يَعْيا عنـه كُتّابُك ومنها اصْـدارُ حاجات الناس يومَ وُرودها عليكَ مما تَحْرَج به صـدورُ أعوانكَ وأمْضِ لكل يوم عَمَلَه فان لكل يوم مافيـه واجعـل لنفسكَ فيما بينـكَ وبين الله تعالى أفضـل تلكَ المواقيت وأجْزَلَ تلكَ الاقسام وان كانت كُلّها لله اذا صَلَحَت فيها النيّـة وسَلمت منها الرعيّـة وليكن فى خاصّـة ماتُخْلص لله به دينَكَ اقامةُ فرائضه التى هى له خاصة فأعْط اللهَ من بَدَنكَ فى لَيْلكَ ونَهارك ووَفِّ ماتَقَرَّبْتَ به الى الله سبحانه من ذلكَ كاملا غيرَ مَثْلُوم ولا منقوص بالغا من بَدَنكَ مابَلَغ واذا قُمْتَ فى صلاتكَ للناس فلا تكونَنّ مُنَفّرا ولا مُضَيّعا فان فى الناس من به العـلّة وله الحـاجة وقد سألتُ رسول الله صـلى الله عليـه وآله حين وَجّهَنى اليَمَن كيف أُصَلّى بهـم فقال (صَلّ بهم كصلاة أضْعَفهم وكُنْ بالمؤمنـين رحيما) وأمّا بعـدُ فلا تطوّلَنّ احتجابَك عن رَعيّتـكَ فانّ

احتجابَ الوُلاة عن الرعية شُعْبة من الضيق وقلّة علْمٍ بالأمور والاحتجاب منهم يَقْطع عنهم علْمَ ما احتجبوا دونه فيَصْغُر عندهم الكبير ويَعْظُم الصغير ويَقْبُح الحَسَن ويَحْسُن القبيح ويُشاب الحق بالباطل وانما الوالى بَشَرٌ لايَعْرف ماتَوارَى عنه النـاسُ به من الأمور وليست على الحق سماتٌ تُعْرَفُ بها ضُروب الصدق من الكذب وانما أنتَ أحد رَجُلين امّا امْرُؤٌ سَخَت نفسُك بالبَذْل فى الحق ففيمَ احتجابُك من واجب حقٍ تُعْطيه أو فعْل كريم تُسْديه أو مُبْتَلًى بالمَنْع فما أسْرَع كَفّ الناس عن مَسألتك اذا أيِسُوا من بَذْلك مع أنّ أكثر حاجات الناس اليك مما لامَؤُونة فيـه عليك من شَكاة مَظْلَمة أو طَلَب انصاف فى مُعامَلة ثم انّ للوالى خاصةً وبطانة فيهم اسْتِئْثار وتَطاوُل وقلة انْصاف فى مُعاملة فاحْسم مادة أولئك بقَطع أسباب تلك الاحوال ولا تُقْطعَنّ لأحد من حاشيَتك وخاصّتك قطيعة ولا يَطْمَعَنّ منك فى اعتقاد عُقْدة تَضُرّ بمن يَليها من الناس فى شِرْب أو عَمَل مشتَرَك يَحْملون مؤونَته على غيرهم فيكون مَهْنَأ ذلك لهم دونَك وعيبُه عليك فى الدنيا والآخرة وألْزم الحقَّ مَن لَزمه من القريب والبعيد وكُن فى ذلك صابرًا محتسبا واقعا ذلك من قرابتك وخاصّتك حيثُ وَقع وابْتَغ عاقبَته بما يَثْقُل عليك منـه فانّ مَغبّة ذلك محمودة وان ظَنّت الرعيـة بك حَيْفا فأصْحِرْ لهم بعُـذْرك واعْدِلْ عنك

ظُنُونَهم باصْحارك فانّ فى ذلك رياضَةً منك لنفسك ورِفْقًا برعيتك واعْذارًا تَبْلُغ به حاجَتَك من تَقْويمهم على الحقّ ولا تَدْفَعَنّ صُلْحا دَعاك اليه عَدُوّك ولله فيه رِضًا فانّ فى الصُّلْح دَعَةً لجُنودك وراحةً من هُمُومك وأمْنا لبلادك ولكن الحَذَر كلّ الحَذَر من عَدُوّك بعد صُلْحه فانّ العَدُوّ رُبّما قارَبَ ليَتَغَفّل فخذ بالحَزْم واتّهِمْ فى ذلك حُسْن الظّنّ وان عَقَدْتَ بَيْنك وبين عَدُوّك عُقْدة أو ألْبَسْتَه منك ذمّة فحُطْ عهدَك بالوَفاء وارْعَ ذمّتَك بالأمانة واجعل نفسك جُنّة دون ماأعطيتَ فانه ليس من فرائض الله شئٌ النّاسُ أشَدُّ عليه اجتماعا مع تَفَرُّق أهْوائهم وتَشَتُّت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعُهود وقد لَزم ذلك المُشْركون فيما بينهم دونَ المسلمين لمَا اسْتَوْبَلُوا من عَواقب الغَدْر فلا تَغْدرَنّ بذمّتك ولا تَخيسَنّ بعَهْدك ولا تَخْتلَنّ عَدُوّك فانه لا يَجْتَرئ على الله الا جاهل شَقِيّ وقد جعل الله عَهْدَه وذمّتَه أمْنًا أفْضاه بين العباد برحمته وحَريما يَسْكُنون الى مَنَعته ويَسْتَفيضون الى جِواره فلا ادْغالَ ولا مُدالَسَة ولا خِداع فيه ولا تَعْقدْ عَقْدًا تَجوز فيه العِلَلُ ولا تُعَوّلَنّ على لَحْن قَوْل بعد التأكيد والتّوْثقَة ولا يَدْعُوَنّك ضيقُ أمْر لَزمَك فيه عَهْدُ الله الى طلب انْفساخه بغير الحقّ فانّ صَبْرَك على ضيق أمر تَرْجُو انْفراجَه وفَضْلَ عاقبَته خيرٌ من غَدْر تَخاف تَبِعَته وأن تُحيط بك فيه من الله طَلِبَةٌ فلا تَسْتَقيل فيها

دُنْيالكَ ولا آخرتكَ اياكَ والدّماءَ وسَفْكَها بغير حلّها فانه ليس شئ أدْعى لنقْمَة ولا أعْظَمَ لتبَعـة ولا أحْرى بزَوال نعْمـة وانقطاع مُدّة من سَفْكَ الدّماء بغـير حَقّها والله سبحانه يتَوَلّى الحَكْم بين العباد فيما تَسافكوا من الدّماء يومَ القيامة فلا تُقَوِّيَنّ سُلْطانَكَ بسَفْكَ دَم حَرام فانّ ذلكَ مما يُضْعفه ويُوهنُه بل يُزيله ويَنْقُلُه ولا عُذْرَ لكَ عند الله ولا عندى فى قَتْل العَمْد لأنّ فيـه قَوَدَ البَدَن وان ابْتُليت بخَطأ وأفْرَط عليكَ سَوْطُكَ أو سيفُكَ أو يدُكَ بعُقُوبة فانّ فى الوَكْزة فما فوقَها مَقْتَلة فلا تَطْمَحَنّ بكَ نَخْوَة سُلْطانكَ عن أن تُؤَدّى الى أولياء المَقْتول حَقّهم واياكَ والاعْجاب بنفسكَ والثقَة بما يُعْجبكَ منها وحُبّ الاطْراء فانّ ذلكَ من أوْثق فُرَص الشّيطان فى نفسه ليَمْحَقَ ما يكون من احسان المحسنين واياكَ والمَنّ على رَعيّتكَ باحسانكَ أو التّزيُّد فيما كان من فعْلكَ أو أن تَعـدَهُم فتُتْبـع مَوْعدَكَ بخُلْفـكَ فانّ المَنّ يُبْطل الاحسـانَ والتّزيُّد يَذْهَب بنور الحقّ والخُلْف يوجب المَقْت عند الله والناس قال الله سبحانه (كَبُرَ مَقْتًا عند الله ان تقولوا مالا تفعلون) واياكَ والعَجَلَةَ بالاُمور قبلَ أوانها أو التّسَقُّط فيها عند امكانها أو اللّجاجَة فيها اذا تَنَكَّرَتْ أو الوَهْنَ عنها اذا اسْتَوْضَحَتْ فَضَعْ كُلَّ أمْر مَوْضعَه وأوْقعْ كُلَّ عَمَل مَوْقعَه واياكَ والاستئثار بما الناسُ فيـه أسْوَةٌ والتّغابىَ عما يُعْنَى به مما قد وَضَحَ للعُيُون فانه مأخوذٌ منكَ

لغيرك وعما قليل تنكشف عنك أغطية الأمور وينتصف منك للمظلوم
أملك حميّة أنفك وسورة حدّك وسطوة يدك وغرب لسانك واحترس
من كل ذلك بكف البادرة وتأخير السطوة حتى يسكن غضبك فتملك
الاختيار ولن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك بذكر المعاد الى
ربك والواجب عليك أن تتذكر مامضى لمن تقدمك من حكومة عادلة
أو سنّة فاضلة أو أثر عن نبينا صلى الله عليه وآله أو فريضة فى كتاب
الله فتقتدى بما شاهدت مما عملنا به فيها وتجتهد لنفسك فى اتباع
ما عهدت اليك فى عهدى هذا واستوثقت به من الحجة لنفسى عليك
لكيلا يكون لك علة عند تسرع نفسك الى هواها وأنا أسأل الله بسعة
رحمته وعظيم قدرته على اعطاء كل رغبة أن يوفقنى وإياك لما فيه رضاه
من الاقامة على العذر الواضح اليه والى خلقه مع حسن الثناء فى العباد
وجميل الأثر فى البلاد وتمام النعمة وتضعيف الكرامة وأن يختم لى ولك
بالسعادة والشهادة انا الى الله راغبون والسلام على رسول الله صلى الله
عليه وآله الطيبين الطاهرين

ومن طريف أخبار بن أبى عتيق أن عثمان بن حيان المرّى لمادخل
المدينة واليا عليها اجتمع الاشراف عليه من قريش والانصار فقالوا له
انك لاتعمل عملا أجدى ولا أولى من تحريم الغناء والرثاء ففعل وأجلهم

ثلاثا فقدم ابن أبي عتيق في الليلة الثالثة فحطّ رحله بباب سلامة الزرقاء وقال لها بدأتُ بكِ قبل أن أصير الى منزلي فقالت أوما تدري ما حدث وأخبرته الخبر فقال أقيمي الى السحر حتى ألقاه فقالت إنّا نخاف أن لا تُغْنيَ شيأ وتُنْكَظ (أي تُعجَل) فقال انه لا بأس عليكِ ثم مضى الى عثمان فاستأذن عليه فأخبره أنّ أحذما أقدمه عليه حُبّ التسليم عليه وقال له انّ من أفضل ما عملت به تحريم الغناء والرثاء فقال انّ أهلك أشاروا عليّ بذلك قال فانكَ قد وُفقتَ ولكني رسول امرأة اليكَ تقول قد كانت هذه صناعتي فتُبتُ الى الله منها وأنا أسألكَ أيُّها الأمير أن لا تحُول بينها وبين مجاورة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال عثمان اذنْ أدعها لكَ قال اذنْ لا يدعها الناس ولكن تدعوها فتنظر اليها فان كانت ممن يُترك تركتها قال فادعُ بها قال فأمرها ابن أبي عتيق فتقشّفت وأخذت سُبحة في يدها وصارت اليه وحدّثته عن مآثر آبائه ففكه لها فقال لها ابن أبي عتيق اقرئي للامير ففعلت فأعجب بذلك فقال لها فاحدي للامير فحرّك حُداؤها ثم قال لها غنّي للامير فجعل يعجب بذلك عثمان فقال له ابن أبي عتيق فكيف لو سمعتها في صناعتها فقال له قُلْ لها فلتقُلْ فأمرها فتغنّت

سَدَدْنَ خَصاصَ الخَيْمِ لمّا دخلْنَه * بكُلِّ لَبانٍ واضحٍ وجَبينِ

فنزل عثمان بن حيان عن سريره حتى جلس بين يديها ثم قال لا والله مامثلك يُخْرَج عن المدينة فقال له ابن أبي عتيق اذًا يقول الناسُ أذنَ لسلامة فى المُقام ومَنع غيرَها فقال له عثمان قد اذنْتُ لهم جميعا

بعض أخبار الحجّاج لما ولى العراق

قال التَّوزى بَيْنما نحن فى المسجد الجامع بالكوفة وأهل الكوفة يومئذ ذَوُو حال حَسَنة يخرج الرجل منهم فى العشرة والعشرين من مواليه اذ أتى آت فقال هذا الحجاج قد قدم أميرا على العراق فاذا به قد دخل المسجد مُعَمَّما بعمامة قد غَطّى بها أكثرَ وَجْهه متقلّدا سيفا متنكّبا قوسا يَؤُم المنبر فقام الناس نحوَه حتى صعد المنبر فمكث ساعة لايتكلم فقال الناس بعضهم لبعض قبح الله بنى أُمَيّة حيث تستعمل مثلَ هذا على العراق حتى قال عُمير بن ضابئ البُرْجُمِىُّ أَلاَ أَحْصِبُه لكم فقالوا أَمْهِلْ حتى نَنْظر فلما رأى عيونَ الناس اليه حَسَرَ اللثام عن فيه ونَهَض فقال

أنا ابنُ جَلَا وطَلّاع الثنايا * متى أضع العمامة تعرفونى

ثم قال ياأهل الكوفة انّى لأرَى رُؤسا قد أينَعَتْ وحان قِطافُها وانى لَصاحبُها وكأنى أنْظُر الى الدّماء بين العمائم واللحَى ثم قال

هذا أوان الشّدّ فاشتَدّى زِيَمْ * قد لَفَّها الليلُ بسَوّاق حُطَمْ

ليس براعى ابلٍ ولا غـــنمْ * ولا بجزّار على ظَهْرِ وَضَمْ

ثم قال

قد لَفّها الليلُ بعَصْلَبيّ * أرْوَعَ خَرّاجٍ من الدوّىّ
* مُهاجرٍ ليس بأعْرابىّ *

وقال

قد شَمَّرَتْ عن ساقها فشُدّوا * وجَدّت الحَرْبُ بكم فجِدّوا
والقَـــوْس فيها وَتَرٌ عُرُدّ * مِثْـلُ ذراع البَكْر أو أشَدّ
* لابُدّ مما ليس منه بُدّ *

إنّى والله ياأهْل العراق مايُقْعقَع لى بالشنان ولا يُغْمَز جانبى كتَغْماز التين ولقـد فُرِرْتُ عن ذكاء وفُتّشْت عن تَجْربة وان أمير المؤمنـين أطال اللهُ بقاه نَثَر كِنانَتَه بين يديه فعَجَم عيدانَها فوَجَدنى أمَرَّها عُودًا وأصلَبَها مَكْسَرا فرَماكم بى لأنّكم طالَ ماأوْضَعْتم فى الفتنة واضطجعتم فى مراقد الضلال والله لأحْزمَنّكم حَزْم السَلَمة ولأضْربَنّكم ضَرْبَ غرائب الابل فانكم لَكأهْل قَرية كانت آمنـة مُطْمئنة يأتيها رزقُها رَغَدًا من كل مكان فكَفَرَتْ بأنْعُم الله فأذاقَها اللهُ لباسَ الجوع والخوف بما كانوا يصـنعون وانّى والله ماأقول الاّ وَفّيت ولا أهُمّ الاّ أمْضَيت ولا أخْلُق الاّ فَرَيْتَ وان أمير المؤمنين أمَرَنى باعطائكم أعْطِياتكم وأنْ أوَجّهكم

لمحاربة عدوكم مع المُهَلَّب بن أبى صُـفْرة وانى أقسم بالله لأجد رجلا تخلّف بعد أخْذ عطائه بثلاثه أيام الاّ ضربتُ عُنُقَه ياغلام اقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين فقرأ

بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالله عبدالملك أمير المؤمنين الى مَن بالكوفة من المسلمين سلام عليكم فلم يَقُل أحد منهم شيأ فقال الحجاج اكفُف ياغلام ثم أقبـلَ على الناس فقال أَسَـلَّم عليكم أمير المؤمنين فلم تَرُدُّوا عليه شـيأ هذا أَدَب ابن نَهْية أمَا والله لأُؤَدِّبَنَّكم غيرَ هذا الأدب أو لَتَسْتَقيمُنّ اقرأ ياغلام كتاب أمير المؤمنـين فلما بلغ الى قوله سـلام عليكم لم يَبْقَ فى المسجد أحَد الا قال وعلى أمير المؤمنين السلام

(زَعَم أبو العباس ان ابن نهية رجل كان على الشُرْطة بالبصرة قَبْل الحجّاج) ثم نزل فوضع للناس أعطياتهم فجعلوا يأخذون حتى أتاه شيخ يَرْعَش كبرًا فقال أيُّها الأمير انّى من الضَعْف على ما ترى ولى ابْنٌ هو أقْوَى على الأسْفار منّى فتَقَبَّلْه بَدَلاً منّى فقال له الحجاج تَفْعَل أيّها الشيخ فلما ولّى قال له قائل أتَدْرى مَن هذا أيها الأمير قال لا قال هذا عُمَير ابن ضابئ البُرْجُمىّ الذى يقول أبوه

هَمَمْتُ ولم أفْعَل وكِدتُ ولَيْتَنى * تَرَكتُ على عثمان تبكى حَلائلُه

ودخل هـذا الشيخ على عثمان مَقْتُولا فوطئ بَطْنَه فكسر ضِلَعَيْن

من أضـلاعه فقال رُدّوه فلما رُدّ قال له الحجّاج أيّها الشيخ هَلّا بعثت الى أمير المؤمنين عثمان بَدَلاً يومَ الدار انّ فى قَتْلك أيها الشيخ لَصَلاحا للمسلمين ياحَرسىُّ اضْربَنْ عُنُقَه فجعل الرجل يَضيق عليه أمْرُه فيرْتحل ويأمُر وَلِيّه أنْ يَلْحَقَه بزاده ففى ذلك يقول عبد الله بن الزبير الاسَدى

تَجَهَّز فامّا أنْ تَزُور ابنَ ضابئٍ * عُمَـيرًا وامّا أنْ تَزُورَ المُهَلَّبَا
هما خُطّتَا خَسْف نجاؤُكَ منهما * رُكُوبُك حَوْليًّا من الثلج أشْهَبَا
فأضْحَى ولو كانتْ خُراسانُ دونَه * رآها مكانَ السوق أو هى أقْرَبَا

خُطْبَةُ طارق قبلَ فُتُوح الأنْدَلُس

لَمّا بَلَغ طارقًا دُنُوّ لُذَريق قام فى أصحابه فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم حثّ المسلمين على الجهاد ورغّبهم ثم قال أيها الناس أين المَفَرّ البَحْرُ من ورائكم والعـدوّ أمَامكم وليس لكم والله الا الصـدق والصبر واعلموا أنكم فى هـذه الجزيرة أضْيَع من الأيتام فى مَأدُبة اللئام وقد استَقْبَلكم عَدُوّكم بجيشـه وأسْلحته وأقْواته مَوْفُورة وأنْتُم لاوَزَر لكم الاّ سُيُوفكم ولا أقْوات الاّ ماتستخلصونه من أيدى عدوّكم وان امتدّت بكم الايام على افتقاركم ولم تُنْجِزوا لكم أمرًا ذهب ريحكم وتعوّضت القلوبُ من رُعْبها عنكم الجُرْأةَ عليكم فادفعوا عن أنفسكم خِذْلانَ هذه العاقبة من أمركم بمُناجزة هذا الطاغية فقد أَلْقَت به اليكم مَدِينَتُه الحصينة وان

انتهاز الفرصـة فيه لمُمْكِن ان سَمَحْتم لانفسكم بالموت وانى لم أحذّركم أمرًا أنا عنه بنجوة ولا حملتكم على خُطّة أرخص متاعٍ فيها النفوس أبدأ بنفسى واعلموا انكم ان صبرتم على الاشق قليلا استمتعتم بالأرفه الألذ طويلا فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسى فما حظّكم فيه بأوفر من حظّى وقد بلغكم ماأنشأتْ هذه الجزيرة من الخيرات العميمه وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الابطال عربانا ورضيكم لمُلوك هذه الجزيرة أصهارا وأختانا ثقةً منه بارتياحكم للطعان واستماحكم بمجالدة الابطال والفرسان ليكون حظّه منكم ثواب الله على اعلاء كلمته واظهار دينه بهذه الجزيرة وليكون مغنمها خالصة لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم والله تعالى ولىُّ انجادكم على مايكون لكم ذكرًا فى الدارين واعلموا أنّى أوّل مُجيب الى مادعوتكم اليه وانى عند مُلتقى الجمعين حاملٌ بنفسى على طاغية القوم لذريق فقاتلُه ان شاء الله تعالى فاحملوا معى فان هلكتُ بعده فقد كُفيتم أمرَه ولم يعوزكم بطل عاقل تُسندون أموركم اليه وان هلكتُ قبل وصولى اليه فاخلفونى فى عزيمتى هذه واحملوا بانفسكم عليه واكتفوا الهمّ من فتح هذه الجزيرة بقتله

صفة الامام العـادل

كتب عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه لما وَلِىَ الخلافة الى الحسن ابن أبى الحسن البصرى أن يكتب اليـه بصفة الامام العـادل فكتب اليه الحسن رحمه الله

اعلم ياأمير المؤمنين ان الله جعل الامام العادل قوامَ كل مائل وقَصْد كل جائر وصَلاح كل فاسد وقوّة كل ضعيف ونَصَفَةَ كل مظلوم ومَفْزَع كل ملهوف والامام العـدل ياأمير المؤمنين كالراعى الشفيق على إبله الرفيق الذى يَرْتاد لها أطيبَ المَرْعَى ويَذُودُها عن مَراتع المَهْلكة ويَحْميها من السباع ويَكْنُفُها من أذَى الحرّ والقَرّ والامام العدل ياأمير المؤمنين كالأب الحانى على ولده يسـعى لهم صغارا ويعلّمهم كبارا يكتسب لهم فى حياته ويدّخر لهم بعـد مماته والامام العدل ياأمير المؤمنين كالأم الشفيقة البَرّة الرفيقة بولدها حَمَلَتْه كُرْها ووضَعته كرها وربَّتْه طفلا تسهر بسَهَره وتَسْكُن بسكونه تُرْضعُه تارةً وتَفْطمُه أخْرَى وتفرح بعافيته وتَغُمّ بشكايتـه والامام العـدل ياأمير المؤمنين وصىّ اليتامى وخازن المساكين يُرَبّى صـغيرَهم ويُمون كبيرهم والامام العدل ياأمير المؤمنين كالقلب بين الجَوانح تَصْلح الجوانح بصـلاحه وتفسُد بفساده والامام العـدل ياأمير المؤمنين هو القائم بين الله وبين عباده يَسْمع كلام الله

ويُسْمعهم ويَنظر الى الله ويُريهم وينقاد الى الله ويقودهم فلا تكن ياأمير المؤمنين فيما مَلّكك الله كعبد ائْتَمَنه سيّدُه واسْتَحْفَظه ماله وعياله فَبَدّد المالَ وشَرّد العيال فأفْقر أهلَه وفَرّق ماله واعلم ياأمير المؤمنين ان الله أنزل الحُدودَ ليَزْجر بها عن الخبائث والفواحش فكيف اذا أتاها مَن يَليها وان الله أنزل القصاص حياةً لعباده فكيف اذا قَتَلَهم من يَقْتَصّ لهم واذكر ياأمير المؤمنين الموتَ وما بعده وقلةَ أشْياعك عنده وأنصارك عليه فتَزَوّد له ولما بَعْده من الفَزَع الاكبر واعلم ياأمير المؤمنين ان لك منزلا غيرَ منزالك الذى أنت فيه يطول فيه ثَواؤُك ويُفارقك أحبّاؤُك يُسْلمونك فى قَعْره فريدا وحيدا فتَزَوّدْ له مايَصْحبك يومَ يَفِرّ المَرْءُ من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبَنيه واذكر ياأمير المؤمنين اذا بُعْثر مافى القُبور وحُصّل مافى الصدور فالأسْرار ظاهرة والكتاب لايُغادر صغيرةً ولا كبيرة الّا أحْصاها فالآنَ ياأمير المؤمنين وأنت فى مَهَل قبل حلول الأجَل وانقطاع الأمَل لاتحكم ياأمير المؤمنين فى عباد الله بُحْكم الجاهلين ولا تَسْلُك بهم سبيل الظالمين ولا تُسَلّط المستكبرين على المستضعفين فانهم لايَرْقُبون فى مؤمن الّا ولا ذمّةً فتبوء بأوزارك وأوزار مع أوزارك وتحمل أثقالك وأثقالا مع أثقالك ولا يَغُرّنّك الذين يَتَنَعّمون بما فيه بُؤْسُك ويأكلون الطيبات فى دُنياهم بإذهاب طيّباتك

فى آخرتك لاتَنْظُر الى قُدْرتكَ اليومَ ولكن انظر الى قدرتكَ غدًا وأنتَ مأسورٌ فى حبائل الموت وموقوف بين يدى الله فى مَجْمع من الملائكة والنبيين والمرسلين وقد عَنَتْ الوجوه للحىّ القيُّوم انّى ياأمير المؤمنين وان لم أَبْلُغْ بعظتى مابَلَغَه أولو النُّهَى من قَبْلى فَلَمْ آلُكَ شفقةً ونُصحا فأَنْزِل كتابَ اليكَ كمُداوى حبيبه يَسْقيه الأدْوية الكريهة لمَا يَرْجُوه له فى ذلك من العافية والصحة والسلام عليكَ ياأمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته

وللفرزدق فى وصف الامام زين العابدين رضى الله تعالى عنه

هـذا الذى تَعْرِف البَطْحاءُ وَطْأَتَه * والبيتُ يعرفه والحِلّ والحَرَمُ
هـذا ابنُ خير عباد الله كلهم * هـذا التَّقىّ النَّقىّ الطاهر العَلَمُ
اذا رأته قريش قال قائلها * الى مكارم هـذا ينتهى الكرم
يُنْمَى الى ذِرْوة العِزّ التى قَصُرت * عن نَيْلها عَرَب الاسلام والعجم
يَكاد يُمسكه عِرْفانَ راحته * رُكْنُ الحَطيم اذا ماجاء يَسْتلم
فى كفّه خَيْزُرانٌ ريحُه عَبِقٌ * من كَفّ أَرْوَع فى عِرْنينه شَمَمُ
يُغْضى حَياءً ويُغْضَى من مَهابَته * فما يُكَلَّم الّا حين يَبْتَسم
يَنْشَقُّ نور الهُدَى من نُور غُرَّته * كالشمس يَنْجاب عن اشراقها القَتَم
مُشْتَقَّة من كِرام القوم نَبْعَتُه * طابَت عَناصره والخِيم والشِّيَم

هذا ابن فاطمة ان كنتَ جاهلَه * بجَدّه أنبياءُ الله قـد ختموا
اللهُ شَـرّفَهُ قِـدْمًا وعظّـمَه * جَرَى بذالكَ له فى لوحـه القَـلَمُ
وليس قَوْلُكَ مَن هـذا بضائره * العُرْبُ تعرف مَن أنكرتَ والعَجَم
كلْتا يديه غياثُ عَمّ نَفْعُهما * يُسْتَوْكَفان ولا يَعْرُوهما عَدَم
سَهْل الخليقـة لا تُخْشَى بَوادرُه * يَزينه اثنان حُسْن الخَلْق والشيَم
حَمّال أثقال أقوام اذا افْتَرَضوا * حُلْو الشَمائل يَحْلو عنده نَعَمُ
ما قال لا قَطُّ الّا فى تَشَـهُّده * لولا التَشَـهُّد كانت لاؤه نَـعَمُ
عَمّ البَرِيّة بالاحسان فانْقَشَعَتْ * عنها الغَياهب والاملاق والعَـدَم
من معشر حُبُّهم دينٌ وبُغْضُهم * كُفْرٌ وقُرْبهـم مَنجى ومُعْتَصَمُ
ان عُدَّ أهـلُ التُقى كانوا أئمّتهم * أو قيل مَن خَيْرُ أهل الأرض قيل هُمُ
لا يَسْتَطيع جوابا بعـد غايتهم * ولا يُدانيهـم قـومٌ وان كَرُمُوا
هُـمُ الغُيوثُ اذا ما أزْمَـةٌ أزَمَتْ * والأُسْدُ أُسْدُ الشَرَى والبأسُ مُحْتَدم
لا يَنْقُص العُسْرُ بَسْطًا من أكُفّهم * سيّان ذلك ان أثْرَوْا وان عَدموا
مُقَدَّمٌ بعـد ذكْر الله ذكْرُهـم * فى كُلّ بَدْء ومَخْتُـوم به الكَلِم
يَأبَى لَهُمْ أنْ يَحُـلَّ الذَّمُّ ساحَتَهُمْ * خُلْقٌ كريمٌ وأيْدٍ بالنَـدَى هُضُمُ
أىُّ الخـلائق ليست فى رقابهـم * لاوّليّـة هـذا أوّلَهُ نَـعَمُ
من يَعْرف الله يَعْرف أوّليّـة ذا * فالدّين من بيت هـذا نالَهُ الأمم

وخطب واصل بن عطاء وكان ألثغ بالراء فكان لذلك يتجنبها فى كلامه

الحمد لله القـديم بلا غاية والباقى بلا نهاية الذى عَلَا فى دُنُوّه ودَنا فى عُلُوّه فلا يَحْويه زمان ولا يحيط به مكان ولا يَؤُودُه حفْظُ ماخَلَق ولم يَخْلُقه على مثال سَبَق بل أنْشَأه ابتداعا وعَدَلَه اصطناعا فأحْسَنَ كُلَّ شئ خَلَقَه وتَمَّ مَشيئَتَه وأوضح حِكْمَتَه فدَلّ على ألوهيّته فسبحانه لامُعَقِّبَ لحُكْمه ولا دافع لقضائه تواضَع كُلُّ شئ لعَظَمتـه وذَلّ كلُّ شئ لسلطانه ووسِعَ كلَّ شئ فَضْلُه لايَعْزُب عنه مِثْقال حبَّـة وهو السميع العليم وأشهد ان لا اله الا الله وحده الها تقـدَّسَت أسماؤه وعَظُمت آلاؤه عَلَا عن صفات كل مخلوق وتَنَزَّه عن شَبيه كل مصنوع فلا تَبْلُغه الأوهـام ولا تُحيط به العقول ولا الافهـام يُعصَى فيَحْـلُم ويُدْعَى فيَسْمَع ويَقْبَـل التوبة من عباده ويَعْفُو عن السـيآت ويَعْلَم مايفعلون وأشْهَدُ شهادةَ حقّ وقَوْل صـدق باخلاص نيّة وصحّة طويّة أنّ محمد بن عبدالله عبده ونَبيُّه وخالصَته وصَفيّه ابْتَعَثَه الى خَلْقه بالبَيّنة والهُدَى ودين الحقّ فَبَلَغ مَأْلُكَتَهُ ونَصَحَ لأمّته وجاهَدَ فى سبيل الله لاتأْخُذُه فى الله لَومةُ لائم ولا يَصُـدُّه عنه زَعْمُ زاعم ماضيا على سُنَّته مُوفيا على قَصْده حتى أتاه اليَقين فصـلى الله على محمد وعلى آل محمد أفضـلَ وأزكى وأتم وأنمى

وأجلّ وأعلى صلاة صلاها على صفوة أنبيائه وخالصة ملائكته وأضعاف ذلك انه حميد مجيد أوصيكم عباد الله مع نفسي بتقوى الله والعمل بطاعته والمجانبة لمعصيته وأحضّكم على ما يدنيكم منه ويزلفكم لديه فان تقوى الله أفضل زاد وأحسن عاقبة في معاد ولا تلهينكم الحياة الدنيا بزينتها وخدعها وفواتن لذاتها وشهوات آمالها فانها متاع قليل ومدة الى حين وكل شئ منها يزول فكم عاينتم من أعاجيبها وكم نصبت لكم من حبائلها وأهلكت ممن جنح اليها واعتمد عليها أذاقتهم حلوا ومزجت لهم سما أين الملوك الذين بنوا المدائن وشيدوا المصانع وأوثقوا الأبواب وكاثفوا الحجاب وأعدوا الجياد وملكوا البلاد واستخدموا التلاد قبضتهم بعملها وطحنتهم بكلكلها وعضتهم بأنيابها وعاضتهم من السعة ضيقا ومن العزة ذلا ومن الحياة فناء فسكنوا اللحود وأكلهم الدود وأصبحوا لا يرى الا مساكنهم ولا تجد الا معالمهم ولا تحس منهم من أحد ولا تسمع لهم نبسا فتزودوا عباد الله فان أفضل الزاد التقوى واتقوا الله يا أولى الألباب لعلكم تفلحون جعلنا الله وإياكم ممن ينتفع بمواعظه ويعمل لحظه وسعادته وممن يستمع القول فيتبع أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الالباب ان أحسن قصص المؤمنين وأبلغ مواعظ المتقين كتاب الله الزكية آياته الواضحة بيناته فاذا تلي عليكم

فَأَنْصِتُوا له وأَسْمِعُوا لعلكم تفلحون أعوذ بالله القَوِىّ من الشيطان الغَوِىّ انّ الله هو السميع العليم قل هو اللهُ أَحد اللهُ الصَمَد لم يَلِدْ ولم يُولَدْ ولم يكن له كفوا أحد ثم قال ـ نَفَعنا اللهُ واياكم بالكتاب الحكيم والوَحْى المُبين وأَعاذَنا واياكم من العذاب الأليم وأَدْخَلَنا واياكم جنّات النعيم

كتاب عبد الله بن مُعاوية بن عبد الله بن جعفر الى بعض اخوانه يعاتبه

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد فقد عاقَنى الشَكّ فى أَمْرِكَ عن عَزيمة الرأى فيكَ وذلكَ أنكَ ابْتَدَأْتَنى بلُطْف عن غير خِبْرة ثم أَعْقَبْتَنى جَفاءً عن غير جَريرة فَاطْمَعَنى أَوَّلُكَ فى اخائكَ وأَيْأَسَنى آخِرُكَ عن وَفَائكَ فَلا أنا فى اليَوْم مُجْمِعٌ لكَ اطّراحا ولا أنا فى غَد وانتظاره منكَ على ثِقَة فسبحان مَن لو شاء كَشَفَ بايضاح الرّأى فى أَمْرِكَ عن عَزيمة الشَكّ فيكَ فاجْتَمَعْنا على ائْتلاف أو افْتَرَقْنا على اختلاف والسلام

وكتب وهو في السجن الى أبي مسلم صاحب الدعوة يستعطفه

بسم الله الرحمن الرحيم

من الأسير في يديه بلا ذنب اليه ولا خلاف عليه (أما بعد) فآتاك الله حفظ الوصية ومنحك نصيحة الرعية وألهمك عدل القضية فانك مستودع الودائع ومولى الصنائع فاحفظ ودائعك بحسن صنائعك فالودائع عارية والصنائع مرعية وما النعم عليك وعلينا فيك بمنزور نداها ولا بمبلوغ مداها فنبه للتفكير قلبك واتق الله ربك وأعط من نفسك من هو تحتك ما تحب أن يعطيك من هو فوقك من العدل والرأفة والأمن من المخافة فقد أنعم الله عليك بأن فوض أمرنا اليك فاعرف لنا لين شكر المودة واغتفار مس الشدة والرضا بما رضيت والقناعة بما هويت فان علينا من سمك الحديد وثقله أذى شديدا مع معالجة الأغلال وقلة رحمة العمال الذين تسهيلهم الغلظة وتيسيرهم الفظاظة وايرادهم علينا الغموم وتوجيههم الينا الهموم زيارتهم الحراسة وبشارتهم الاياسة فاليك بعد الله نرفع كربة الشكوى ونشكو شدة البلوى فتى تمل الينا طرفا وتولنا منك عطفا تجد عندنا نصحا صريحا وودا صحيحا لا يضيع مثلك مثله ولا ينفي مثلك اهله فارع حرمة من أدركت بحرمته واعرف حجة من

فَلَجْت بحُجّتـه فانّ الناسَ من حَوْضكَ رَواء ونَحْن منه ظماء يعشون في الأبراد ونحن نَحْجل في الأقْياد بعد الخير والسَعَة والخَفْض والدَّعة والله المستعانُ وعليه التُكْلان صَريح الأخبار مَنْجى الابْرار الناسُ من دَوْلَتنا في رَخاء ونحن منها في بَلاء حين أمن الخائفون ورَجع الهاربُون رزَقنا اللهُ منكَ التَّحَنُّن وظاهَرَ علينا من التَمَنُّن فانكَ أمينٌ مُسْتَوْدَع ورائدٌ مُصْطَنَع والسلام ورحمة الله

رسالة عبد الحميد الكاتب التي اوصى فيها الكُتَّاب

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد حَفظكم اللهُ ياأهل صناعة الكتابة وحاطَكم ووفّقكم وأرشدكم فان الله عز وجل جعل الناسَ بعـد الأنبياء والمرسلين صـلواتُ الله وسـلامه عليهم أجمعين ومن بَعْـد الملوكُ المكرّمين أصْـنافا وان كانوا في الحقيقة سواءً وصَرَّفهم في صُـنُوف الصناعات وضُروب المحاولات الى أسباب معائشهم وأبواب أرزاقهم فجعلكم معشرَ الكُتّاب في أشْرَف الجهات أهل الأدَب والمُروآت والعلْم والرَزانة بكم تنتظمُ للخلافة محاسنُها وتسـتقيم أمورها وبنصائحكم يُصْلحُ اللهُ للخلق سلطانَهم وتَعْمُر بلْدانُهم لايَسْتَغْني المَلكُ عنكم ولا يُوجَد كافٍ الاَّ منكم فَموْقعُكم من المُلوكُ مَوْقعُ أسْماعهم التي بها يَسْمَعون وأبْصارهم التي بها يُبْصرون وألسنتهم التي

بها ينطقون وأيديهم التى بها يبطشون فأمتعكم الله بما خصكم من فضل صناعتكم ولا نزع عنكم ما أضفاه من النعمة عليكم وليس أحدٌ من أهل الصناعات كلها أحوج الى اجتماع خلال الخير المحمودة وخصال الفضل المذكورة المعدودة منكم أيها الكتاب اذا كنتم على ما يأتى فى هذا الكتاب من صفتكم فانّ الكاتب يحتاج فى نفسه ويحتاج منه صاحبه الذى يثق به فى مهمّات أموره أن يكون حليما فى موضع الحلم فهيما فى موضع الحكم مقداما فى موضع الاقدام محجاما فى موضع الاحجام مؤثرا للعفاف والعدل والانصاف كتوما للأسرار وفيّا عند الشدائد عالما بما يأتى من النوازل يضع الأمور مواضعها والطوارق فى أماكنها قد نظر فى كل فنّ من فنون العلم فأحكمه وان لم يحكمه أخذ منه بمقدار ما يكتفى به يعرف بغريزة عقله وحسن أدبه وفضل تجربته ما يرد عليه قبل وروده وعاقبة ما يصدر عنه قبل صدوره فيعدّ لكل أمر عدّته وعتاده ويهيّئ لكل وجه هيئته وعادته فتنافسوا يامعشر الكتاب فى صنوف الآداب وتفهّموا فى الدين وابدؤا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض ثم العربية فانها تفاق ألسنتكم ثم أجيدوا الخطّ فانه حلية كتبكم وارووا الاشعار واعرفوا غريبها ومعانيها وأيام العرب والعجم وأحاديثها وسيرها فان ذلك معين لكم على ما تسمو اليه هممكم ولا تضيعوا

النَّظر فى الحساب فانه قوام كُتّاب الخَراج وارْغَبُوا بأنْفُسكم عن المَطامع سَنِيّها ودَنِيّها وسَفْساف الامور ومَحاقرها فانها مَذَلّة للرّقاب مَفْسَدة للكُتّاب ونَزّهوا صناعَتكم عن الدَّناءة وارْبَؤُا بأنْفُسكم عن السعاية والنَّميمة وما فيـه أهل الجَهالات واياكم والكِبْر والسُّخْف والعَظَمة فانها عَداوة مُجْتَلَبة من غير إحْنَة وتَحابُّوا فى الله عز وجـل فى صناعتكم وتَواصَوْا عليها بالذى هو ألْيَق لاهل الفضل والعدل والنُّبْل من سَلَفكم وانْ نَبا الزمانُ برجُل منكم فاعْطفوا عليه وواسُوه حتى يرجع اليـه حالُه ويَثُوب اليه أمْرُه وان أقْعَدَ أحدًا منكم الكِبَر عن مَكْسَبه ولقاء اخْوانه فَزُورُوه وعَظّموه وشاوِرُوه واسْتَظْهروا بفَضْـل تَجْربَته وقَديم مَعْرفَته وليَكُن الرجُل منكم على مَن اصْطَنَعه واسْتَظْهر به ليَوْم حاجَته اليه أحْوَطَ منه على وَلَده وأخيـه فان عَرَضَت فى الشُّغْل مَحْمَدَةٌ فلا يَصْرِفُها الّا الى صاحبه وان عَرَضَتْ مَذَمّة فلْيَحْمِلْها هو من دونه ولْيَحْذَر السَّقْطة والزّلّة والمَلَل عند تغيُّر الحـال فان العَيب اليكم مَعشر الكتاب أسْرَعُ منه الى الفرّاء وهو لكم أفْسَد منه لها فقد علمتم أنّ الرجل منكم اذا صَحِبَه مَن يَبْذُل له من نَفْسه مايَجب له عليه من حَقّه فواجبٌ عليه أن يعتقد له من وفائه وشُكْره واحتمـاله ونصيحته وكتمان سرّه وتدبير أمره ماهو جزاءُ حَقّه ويصـدّق ذلك فعْلُه عند الحاجة اليه والاضطرار الى مالديه

فاستشعروا ذلك وفقكم الله من أنفسكم فى حالة الرخاء والشدة والحرمان والمواساة والاحسان والسراء والضراء فنعمت الشيمة هذه لمن وسم بها من أهل هذه الصناعة الشريفة واذا ولى الرجل منكم أو صير اليه من أمر خلق الله وعياله أمر فليراقب الله عز وجل وليؤثر طاعته وليكن على الضعيف رفيقا وللمظلوم منصفا فان الخلق عيال الله وأحبهم اليه أرفقهم بعياله ثم ليكن بالعدل حاكما وللاشراف مكرما وللفيء موفرا وللبلاد عامرا وللرعية متألفا وعن أذاهم متخلفا وليكن فى مجلسه متواضعا حليما وفى سجلات خراجه واستقضاء حقوقه دقيقا واذا صحب أحدكم رجلا فليختبر خلائقه فاذا عرف حسنها وقبيحها أعانه على مايوافقه من الحسن واحتال على صرفه عما يهواه من القبيح بألطف حيلة وأجمل وسيلة وقد علمتم أن سائس البهيمة اذا كان بصيرا بسياستها التمس معرفة أخلاقها فان كانت رموحا لم يهجها اذا ركبها وان كانت شموسا اتقاها من بين يديها وان خاف منها شرودا توقاها من ناحية رأسها وان كانت حرونا قمع برفق هواها فى طرقها فان استمرت عطفها يسيرا فيسلس له قيادها وفى هذا الوصف من السياسة دلائل لمن ساس الناس وعاملهم وجربهم وداخلهم والكاتب لفضل أدبه وشريف صنعته ولطيف حيلته ومعاملته لمن يحاوله من الناس

ويناظره ويفهم عنه أو يخاف سطوته أولى بالرفق لصاحبه ومداراته وتقويم أوده من سائس البهيمة التى لا يجيء جوابا ولا تعرف صوابا ولا تفهم خطابا الا بقدر ما يصيرها اليه صاحبها الراكب عليها ألا فارفقوا رحمكم الله فى النظر واعملوا ما أمكنكم فيه من الروية والفكر تأمنوا باذن الله ممن يحبموه النبوة والاستثقال والجفوة ويصير منكم الى الموافقة وتصيروا منه الى المؤاخاة والشفقة ان شاء الله ولا يجاوزن انرجل منكم فى هيئة مجلسه وملبسه ومركبه ومطعمه ومشربه وخدمه وغير ذلك من فنون أمره قدر حقه فانكم مع ما فضلكم الله به من شرف صنعتكم خدمة لا تحملون فى خدمتكم على التقصير وحفظة لا تحتمل منكم أفعال التضييع والتبذير واستعينوا على أفعالكم بالقصد فى كل ما ذكرته لكم وقصصته عليكم واحذروا متالف السرف وسوء عاقبة الترف فانهما يعقبان الفقر ويذلان الرقاب ويفضحان أهلهما ولا سيما الكتاب وأرباب الآداب وللأمور أشباه وبعضها دليل على بعض فاستدلوا على مؤتنف أعمالكم بما سبقت اليه تجربتكم ثم اسلكوا من مسالك التدبير أوضحها محجة وأصدقها حجة وأحمدها عاقبة واعلموا ان للتدبير آفة متلفة وهو الوصف الشاغل لصاحبه عن انفاذ علمه وروايته فليقصد الرجل منكم فى مجلسه قصد الكافى فى منطقه وليوجز فى ابتدائه وجوابه

ولْيأخُذ بمجامع حُجَجه فان ذلك مصلحة لفعْله ومَدْفعة للشاغل من اكْثاره ولْيضْرع الى الله فى صلة توفيقه وامْداده بتسديده مخافة وُقوعه فى الغَلَط المُضرّ ببدنه وعَقْله وأدَبه فانه انْ ظَنَّ منكم ظانٌّ أو قال قائل انّ الذى بَرَز من جميل صَنْعته وقوّة حركته انما هو بفَضْل حيلته وحُسْن تدبيره فقد تَعَرّض بحُسْن ظنّه أومَقالته الى أن يَكِلَه اللهُ عزوجل الى نفسه فيصير منها الى غير كاف وذلك على مَن تأمّله غيرُ خاف ولا يَقُلْ أحدٌ منكم انه أبْصر بالأمور وأحْمَل لأعْباء التدبير من مُرافقه فى صناعته ومُصاحبه فى خدمته فانّ أعْقل الرجُلين عند ذوى الألباب مَن رَمَى بالعُجْب وراءَ ظهره ورأى انّ أصحابَه أعْقَلُ منه وأجملُ فى طريقته وعلى كل واحد من الفريقين أن يَعْرف فضْلَ نعَم الله جلّ ثناؤه من غير اغترار برأيه ولا تزْكية لنفسه ولا يُكاثر على أخيه أو نظيره وصاحبه وعَشيره وحمْدُ الله واجبٌ على الجميع وذلك بالتواضع لعظمته والتذلُّل لعزّته والتحدّث بنعمته وأنا أقول فى كتابى هذا ماسبق به المَثَل مَن تَلْزَمه النصيحة يَلْزَمه العَمَل وهو جوهر هذا الكتاب وغُرّة كلامه بعد الذى فيه من ذكْر الله عزوجل فلذلك جعلْتُه آخره وتَمّمْتُه به تولّانا الله وايّاكم يامعشر الطَلَبة والكَتَبة بما يتَوَلّى به مَن سَبَق علْمُه باسْعاده وارْشاده فانّ ذلك اليه وبيده والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مُشاورة المَهْدى لاهل بيته فى حَرْب خُراسان

قال ابن عبد ربه فى العقد الفريد

هـذا ماتَراجَع فيـه المهدى ووزراؤُه وما دار بينَهم من تدبير الرأى فى حرب خراسان أيّامَ تَحامَلَت عليهم العُمّال وأعْنَفَت فَمَلَتْهم الدالّة وما تقـدّم لهم من المَكانة على أنْ نَكَثوا بَيْعَتَهم ونَقَضوا مَوْثِقَهم وطَرَدُوا العُمّال والتَوَوْا بما عليهم من الخراج وحَمَل المَهْدىَّ مايُحِبُّ من مصلحتهم ويكَره من عَنَتهم على أن أقال عَثْرَتَهـم واغْتَفَر زَلّتَهم واحْتَمَل دالّتَهـم تَطَوُّلًا بالفضل واتّساعا بالعفو وأخْذًا بالحُجّة ورِفْقا بالسياسة ولذلك لم يَزَل مُذْ حَمّلَه اللهُ أعْباءَ الخلافة وقَلّدَه أمورَ الرَّعيّة رفيقا بمَدار سلطانه بصيرا بأهل زَمانه باسطا للعَدْلة فى رعيّته تَسْكُن الى كَنَفه وتَأْنَس بعَفْوه وتَثِق بحِلْمه فاذا وَقَعَت الأقْضية اللازمة والحقوق الواجبة فليس عنده هَوادة ولا اغْضاء ولا مُداهَنة أثَرَةً للحق وقياما بالعدل وأخْذًا بالحَزْم فدَعا أهلَ خُراسان الاغترارُ بحِلْمه والثقة بعفوه أن كَسَرُوا الخَراج وطَرَدُوا العُمّال وسألوا ماليس لهم من الحق ثم خَلَطوا احتجاجا باعتذار وخُصومة باقرار وتَنَصُّلا باعتلال فلما انتهى ذلك الى المهدى خرج الى مجلس خَلائه وبَعَث الى نَفَر من لُحْمته ووُزرائه فأعْلَمَهم الحال واستفهم الرعية ثم أمَرَ المَوالِىَ بالابتـداء وقال للعباس بن محمد أى عَمّ تَعَقَّبْ قولَنـا وكُنْ حَكَما

بَيْنَنا وأرْسَـل الى وَلَدَيْه مُوسَى وهـارُون فأحْضَرَهما الأمْر وشـارَكَهما فى الرَّأْى وأمَرَ محمد بن اللَّيث بحفْظ مُرَاجَعَتهم واثبات مَقَالتهم فى كتاب

فقال سلّام صاحب المَظَالم

أيُّها المهدى ان فى كل أمر غاية ولكل قوم صناعة استَفْرَغت رأيَهم واسْتَغْرَقَتْ أشغالَهم واسْتَنْفَدَتْ أعمارَهم وذَهَبُوا بها وذَهَبَت بهم وعُرفوا بها وعُرفت بهم ولهـذه الأمور التى جَعَلْتَنا فيهـا غاية وطَلَبْتَ مَعُونتنا عليها أقوام من أبناء الحَرْب وساسة الأمور وقادة الجُنود وفُرسان الهَرَاهز واخوان التَجَارب وأبطال الوقائع الذين رَشَّحَتْهُم سِجَالُها وفيَّأَتْهم ظلالُها وعَضَّتْهم شَدَائدُها وقَرَمَتْهُم نَوَاجذُها فلو عَجَمْتَ ماقبلَهم وكَشَفْتَ ماعندهم لَوَجَدْتَ نَظَائر تُؤَيِّد أمْرَكَ وتَجَارِبَ تُوَافق نَظَرَكَ وأحاديث تُقَوِّى قَلْبَكَ فأمّا نَحْن مَعَاشرَ عُمّالك وأصْحاب دَوَاوينك فحَسْبُنا وكَثيرٌ منّا أن نقوم بثقل ماحَمَّلْتَنا من عَمَلك واسْتَوْدَعْتَنا من أمانَتك وشَغَلْتَنا به من امْضاء عَدْلك وانْفاذ حُكْمك واظْهار حَقّك

فأجابَه المهدى انّ فى كلّ قَوْم حِكْمة ولكُلّ زمان سياسة وفى كُلّ حال تَدْبيرا يُبْطل الآخرُ الأوّل ونحن أعلم بزماننا وتدبير سلطاننا

قال نَعَمْ أيُّها المهـدى أنْتَ مُتَّبَع الرَّأى وَثيق العُقْدة قَوى المُنّـة بليغ الفِطْنة مَعْصوم النّيّة مَحْضور الرَويّة مُؤَيَّد البَديهة مُوَفَّق العَزيمة

مُعَان بالظَفَر مَهْدىّ الى الخَيْر ان هَمَمْتَ ففى عَزْمك مَوَاقع الظّنّ وان اجْتَمَعْت صَدَع فعْلُك مُلْتَبس الشّكّ فاعْزم يَهْد اللهُ الى الصواب قَلْبك وقُلْ يُنْطق اللهُ بالحقّ لسانَك فانّ جُنودك جَمّة وخَزائنك عامرة ونفسك سَخيّة وأمْرك نافذ

فاجابه المهدى انّ المُشاورة والمُناظرة بَابَا رَحْمة ومفْتَاحا بَرَكة لا يَهْلك عليهما رأْىٌ ولا يتَغَيّل مَعَهما حَزْم فأشيروا برأيكم وقولوا بما يَحْضُركم فانى من ورائكم وتوفيقُ الله من وراء ذلك

قال الربيع

أيُّها المَهْدى انّ تصاريف وُجُوه الرَّأْى كثيرة وان الاشارة ببعض مَعَاريض القول يَسيرة ولكن خراسان أرضٌ بعيدة المسافة مُتَراخية الشُّقّة مُتَفاوتة السَبيل فاذا ارْتَأَيْت من مُحْكَم التَدْبير ومُبْرَم التقدير ولُباب الصواب رَأْيًا قد أحكَمَه نَظَرُك وقَلّبه تَدْبيرك فليس وراءَه مَذْهب طاعن ولادُونَه مَعْلَق لُخصومة عائب ثم أجَبْتَ البُرُد به وانطوت الرسل عليه كان بالحَرَى أن لايصل اليهم مُحْكَمُه إلا وقد حدث منهم ما ينقضه فما أيْسَرَ أن ترجع اليك الرسل وترِدَ عليك الكتب بحقائق أخبارهم وشوارد آثارهم ومصادر أمورهم فتُحْدث رأيا غيره وتبتدع تدبيرا سواه وقد انفرجت الحَلَق وتحللت العُقَد واسترخى الحِقَاب وامتدّ الزمان ثم لعلما

موقع الآخرة كمصدر الاولى ولكن الرأى لك أيها المهدى وفقك الله أن تصرف اجالة النظر وتقليب الفكر فيما جمعتنا له واستشرتنا فيه من التدبير لحربهم والحيل فى أمرهم الى الطلب لرجل ذى دين فاضل وعقل كامل وورع واسع ليس موصوفا بهوى فى سوالك ولا متهما فى أثرة عيلك ولا ظنينا على دخلة مكروهة ولا منسوبا الى بدعة محذورة فيقدح فى ملكك ويريض الأمور لغيرك ثم تسند اليه أمورهم وتفوض اليه حربهم وتأمره فى عهدك ووصيتك اياه بلزوم أمرك مالزمه الحزم وخلاف نهيك اذا خالفه الرأى عند استحالة الأمور واشتداد الأحوال التى ينقض أمرُ الغائب عنها ويثبت رأى الشاهد لها فانها اذا فعل ذلك فواتب أمرهم من قريب وسقط عنه مايأتى من بعيد تمت الحيلة وقويت المكيدة ونفذ العمل وأحد النظر ان شاء الله

قال الفضل بن العباس

أيها المهدى ان ولى الامور وسائس الحروب ربما نحى جنوده وفرق أمواله فى غير ماضيق أمر حربه ولا ضغطة حال اضطرته فيقعد عند الحاجة اليها وبعد التفرقة لها عديما منها فاقدا لها لايثق بقوة ولا يصول بعدة ولا يفزع الى ثقة فالرأى لك أيها المهدى وفقك الله أن تعفى خزائنك من الانفاق للاموال وجنودك من مكابدة الاسفار

ومُقارعة الأخطار وتغرير القتال ولاتُسْرع للقوم فى الاجابة الى مايطلبون والعطاء لما يسألون فَيَفْسُـد عليك أدبُهم وتُجرئ من رَعيّتك غيرَهـم ولكن اغْزُهم بالحيـلة وقاتلْهم بالمكيدة وصارِعْهم باللين وخاتلْهم بالرفق وأبْرِق لهم بالقول وأرْعِدْ نحوَهم بالفعل وابعث البُعوث وجَنِّـد الجنود وكَتِّب الكتائب واعقد الألوية وانصب الرايات وأظْهر أنك مُوَجِّه اليهم الجُيوش مع أحْنَق قُوّادك عليهم وأسْوَئِهم أثَرًا فيهم ثم ادسُس الرُسُـل وابْثُث الكُتُب وضَـعْ بَعْضهم على طَمَعٍ من وَعْدك وبَعْضا على خَوف من وَعيدك وأوْقِد بذلك وأشْـباهه نيران التَحاسُد فيهم واغرس أشْجار التَنافُس بينهم حتى تملأ القلوب من الوَحشة وتَنْطوى الصدور على البَغْضة ويَدخـل كُلًّا من كُلّ الحَذر والهَيْبة فانّ مَرام الظَفر بالغيلة والقتال بالحيلة والمُناصبة بالكتب والمُكايدة بالرُسُل والمُقارَعة بالكلام اللطيف المُدْخَـل فى القلوب القَوىّ المَوْقع من النفوس المَعْقود بالحُجج المَوْصول بالحِيَل المَبْنى على اللين الذى يسـتميل القلوب ويسـترق العقول والآراء ويستميل الأهْواء ويسـتدعى المُواتاة أنفَذُ من القتال بظُبات السُيوف وأسنّة الرّماح كما أنّ الوالى الذى يسـتنزل طاعة رعيته بالحِيَل ويُفَرّق كَلِمَة عَدُوّه بالمُكايدة أحْكَم عَمَلًا وألطَف مَنْظَرا وأحْسَنُ سياسةً من الذى لاينال ذلك الّا بالقتال والاتْلاف للاموال والتَغْرير والخَطَر وليَعلَم المهدى

أنه ان وجّه لقتالهم رجلا لم يسر لقتالهم الا بجنود كثيفة تخرج عن حال شديدة وتقدم على أسفار ضيقة وأموال متفرقة وقوّاد غشمة ان أتمنهم استنفدوا ماله وان استنصحهم كانوا عليه لا له

قال المهدى هذا رأى قد أسفر نوره وأبرق ضوءه وتمثل صوابه للعيون ومجد حقه فى القلوب ولكن فوق كل ذى علم عليم ثم نظر الى ابنه علىّ فقال ما تقول

قال على

أيها المهدى ان أهل خراسان لم يخلعوا عن طاعتك ولم ينصبوا من دونك أحدًا يقدح فى تغيير ملكك ويريض الأمور لفساد دولتك ولو فعلوا لكان الخطب أيسر والشأن أصغر والحال أدل لأن الله مع حقه الذى لا يخذله وعند موعده الذى لا يخلفه ولكنهم قوم من رعيتك وطائفة من شيعتك الذين جعلك الله عليهم واليا وجعل العدل بينك وبينهم حاكما طلبوا حقا وسألوا انصافا فان أجبت الى دعوتهم ونفست عنهم قبل أن يتلاحم منهم حال أو يحدث من عندهم فتق أطعت أمر الرب وأطفأت نائرة الحرب ووقرت خزائن المال وطرحت تغرير القتال وحمل الناس محمل ذلك على طبيعة جودك وسجية حلمك واسجاح خليقتك ومعدلة نظرك فأمنت أن تنسب الى ضعف وان يكون ذلك فيما بقى

دربة وان منعتهم ماطلبوا ولم تجبهم الى ماسالوا اعتدلت بك وبهم الحال وساويتهم فى ميدان الخطاب فما أرب المهدى أن يعمد الى طائفة من رعيته مقرين بملكته مذعنين بطاعته لايخرجون أنفسهم عن قدرته ولا يبرؤنها من عبوديته فيملكهم أنفسهم ويخلع نفسه عنهم ويقف على الحيل معهم ثم يجازيهم السوء فى حد المنازعة ومضمار المخاطرة أيريد المهدى وفقه الله الأموال فلعمرى لاينالها ولا يظفر بها الا بانفاق أكثر منها مما يطلب منهم وأضعاف مايدعى قبلهم ولو نالها فحملت اليه أو وضعت بخزائطها بين يديه ثم تجافى لهم عنها وطال عليهم بها لكان مما اليه ينسب وبه يعرف من الجود الذى طبعه الله عليه وجعل قرة عينه ونهمة نفسه فيه فان قال المهدى هذا رأى مستقيم سديد فى أهل الخراج الذين شكوا ظلم عمالنا وتحامل ولاتنا فأما الجنود الذين نقضوا مواثيق العهود وأنطقوا لسان الارجاف وفتحوا باب المعصية وكسروا قيد الفتنة فقد ينبغى لهم أن أجعلهم نكالا لغيرهم وعظة لسواهم فيعلم المهدى انه لو أتى بهم مغلولين فى الحديد مقرنين فى الاصفاد ثم اتسع لحقن دمائهم عفوه ولاقالة عثرتهم صفحه واستبقاهم لما هم فيه من حزبه أو لمن بازائهم من عدوه لما كان بدعا من رأيه ولا مستنكرا من نظره لقد علمت العرب انه أعظم الخلفاء والملوك عفوا وأشدها وقعا

وأصدقها صولة وأنه لا يتعاظمه عفو ولا يتكاءده صفح وان عظم الذنب وجلّ الخطب والرأى للمهدى وفقه الله تعالى أن يحل عقدة الغيظ بالرجاء لحسن ثواب الله فى العفو عنهم وأن يذكر أولى حالاتهم وضيعة عيالاتهم برًّا بهم وتوسعًا لهم فانهم اخوان دولته وأركان دعوته وأساس حقه الذين بعزتهم يصول وبحجتهم يقول وانما مثلهم فيما دخلوا فيه من مساخطه وتعرضوا له من معاصيه وانطووا فيه عن اجابته ومثله فى قلة ماغير ذلك من رأيه فيهم أو نقل من حاله لهم أو تغير من نعمته بهم كمثل رجلين أخوين متناصرين متوازرين أصاب أحدهما خبل عارض ولهو حادث فنهض الى أخيه بالأذى وتحامل عليه بالمكروه فلم يزدد أخوه الا رقة له ولطفا به واحتيالا لمداواة مرضه ومراجعة حاله عطفا عليه وبرًّا به ومرحمة له

فقال المهدى أمّا علىّ فقد كوى سمت اللبان وفض القلوب فى أهل خراسان ولكلّ نبأ مستقر فقال ماترى ياأبا محمد يعنى موسى ابنه

فقال موسى

أيها المهدى لاتسكنن الى حلاوة مايجرى من القول على ألسنتهم وأنت ترى الدماء تسيل من خلل فعلهم الحالُ من القوم ينادى بمضمرة شرّ وخفية حقد قد جعلوا المعاذير عليها سترًا واتخذوا العلل من دونها

حجابا رجاء أن يدافعوا الأيام بالتأخير والأمور بالتطويل فيكسروا حيل المهدى فيهم ويفنوا جنوده عنهم حتى يتلاحم أمرهم وتتلاحق مادتهم وتستقل حربهم وتستمر الأمور بهم والمهدى من قولهم فى حال غرة ولباس أمنة قد فتر لها وأنس بها وسكن اليها ولولا مااجتمعت به قلوبهم وبردت عليه جلودهم من المناصبة بالقتال والاضمار للقراع عن داعية ضلال أو شيطان فساد لرهبوا عواقب أخبار الولاة وغب سكون الأمور فليشذ المهدى وفقه الله ازره لهم ويكتب كتائبه نحوهم وليضع الامر على أشد مايحضره فيهم وليوقن أنه لايعطيهم خطة يريد بها صلاحهم الا كانت دربة الى فسادهم وقوة على معصيتهم وداعية الى عودتهم وسببا لفساد من بحضرته من الجنود ومن ببابه من الوفود الذين أقرهم وتلك العادة وأجراهم على ذلك الارب ولم يبرح فى فتق حادث وخلاف حاضر لايصلح عليه دين ولا تستقيم به دنيا وان طلب تغييره بعد استحكام العادة واستمرار الدربة لم يصل الى ذلك الا بالعقوبة المفرطة والمؤنة الشديدة والرأى للمهدى وفقه الله أن لايقيل عثرتهم ولا يقبل معذرتهم حتى تطأهم الجيوش وتأخذهم السيوف ويستحر بهم القتل ويحدق بهم الموت ويحيط بهم البلاء ويطبق عليهم الذل فان فعل المهدى بهم ذلك كان مقطعة لكل عادة سوء فيهم وهزيمة لكل بادرة

شرٌ فيهم واحتمالُ المهدى فى مَؤُنة غزوتهم هذه تَضَع عنه غزَواتٍ كثيرةً ونَفَقاتٍ عظيمة

قال المهدى قد قال القوم فاحكُم ياأبا الفضل

فقال العباس بن محمد

أيها المهـدى أما (المَوالى) فاَخذوا بفُروع الرأى وسَلَكوا جَنبات الصَواب وتَعدّوا أُمورا قَصَّر بنَظَرهم عنها أنه لم تأتِ تَجارِبُهم عليها وأما (الفضل) فأشار بالأموال أن لاتُنْفق والجنود أن لاتُفرّق وبأن لايعطَى القومُ ماطَلَبُوا ولا يُبْـذَل لهم ماسألوا وجاء بأمرٍ بيْن ذلكَ اسـتصغارًا لأمْرهم واستهانةً بحَرْبهم وانما يَهيج جَسيمات الأمور صغارُها وأما (علىّ) فأشار باللّين وافْراط الرفْق واذا جَرّد الوالى لمن غَمط أمْرَه وسفِهَ حقَّه اللينَ بَحْتًا والخيرَ مَحْضا لم يَخْلطهما بشدّة تَعطف القلوب عن لينـه ولا بشَرٍّ يَحْبسهم الى خيره فقـد ملَّكهم الخَلْع لعُذْرهم ووسّع لهم الفُرْجة لثَنْى أعناقهم فان أجابوا دعوته وقبلوا لينه من غير خوف اضطرهم ولا شدّة فَنَزْوَة فى رؤسهم يستدعون بها البَلاء الى انفسهم ويستصرخون بها رأى المهدى فيهم وان لم يَقْبلوا دعوتَه ويُسرعوا لاجابتـه باللين المحض والخير الصُراح فذلكَ ماعليه الظن بهم والرأىُ فيهم وما قد يُشْـبه أن يكون من مثلهم لانَّ الله تعالى خَلَق الجنـة وجَعل فيهـا من النعيم

المقيم والمُلْك الكبير مالا يَخْطُر على قلب بَشَر ولا تُدْرِكُه الفِكَر ولا تَعْلمه نَفْس ثم دعا الناس اليها ورَغَّبهم فيها فلولا انه خَلَق نارا جعلها لهم رحمةً يسوقُهم بها الى الجنة لَمَا أجابوا ولا قَبِلوا وأما (موسى) فأشار بأن يُعْصَبوا بشدة لا لين فيها وأن يُرْمَوْا بشرّ لا خيرَ معه واذا أصْمَر الوالى لِمَنْ فارق طاعتَه وخالف جماعته الخوفَ مُفْرِدا والشرَّ مجرَّدًا ليس معهما طمع ولا لين يَثْنيهم اشتدت الأمور بهم وانقطعت الحال منهم الى أحد أمرين اما أن تَدْخُلهم الحَمِيّة من الشدة والأَنَفَةُ من الذِّلّة والامتعاضُ من القَهر فيدعوهم ذلك الى التَمادى فى الخلاف والاستبسال فى القتال والاستسلام للموت واما أن يَنْقادوا بالكُرْه ويُذْعِنوا بالقَهْر على بَغْضة لازمة وعداوة باقية تُورث النفاق وتُعْقب الشقاق فاذا أمكَنَتْهم فُرْصة أو ثابَت لهم قُدرة أو قَوِيَت لهم حالٌ عاد أمْرُهم الى أصْعب وأغْلظ وأشد مما كان

وقال فى قول الفضل

أيها المهدى أكْفِى دليل وأوضح برهان وأبْيَن خبر بَانَ قد أجْمع رأيُه وحَزَمَ نظَرُه على الارشاد ببعثة الجيوش اليهم وتوجيه البُعوث نحوَهم مع اعطائهم ماسألوا من الحق واجابتهم الى ماسألوه من العدل

قال المهدى ذلك رأيُ

قال هارون ماخُلطت الشـدة أيها المهدى باللين فصارت الشـدة أمَرَّ فطـام لِما تَكْرَه وعاد اللين أهْـدَى قائد الى ماتُحبّ ولكن أرَى غير ذلك

قال المهدى لقد قلتَ قولا بديعا وخالفتَ فيه أهل بيتك جميعا والمرء مُؤْتَمَن بما قال وظَنين بما ادّعى حتى يأتيَ ببيّنة عادلة وحجة ظاهرة فاخرُج عما قلت

قال هارون

أيها المهدى انّ الحَرْب خُدَعة والاَعاجم قومٌ مَكَرة وربما اعْتَدَلت الحال بهـم واتّفقَتْ الاهواء منهـم فكان باطنُ مايُسِرّون على ظـاهر مايُعْلنون وربما افترقَت الحالان وخالَف القلبَ اللسان فانطوَى القلبُ على محجُوبة تُبْطن واسْتَسَرّ بمَدْخولة لاتُعْلَن والطبيب الرفيق بطبّه البصير بأمْره العـالم بمُقَدَّم يده وموضـع ميسَمه لايَتَعَجّل بالدواء حتى يَقَع على معرفة الداء فالرأىُ للمهدى وفقه الله أن يَفرّ باطنَ أمرهم فَرّ المُسـنَّة ويَمْخَض ظاهرَ حالهم مَخْض السـ

ومُوالاة العُيون حتى تُهْتَـكَ حُجُب عيونهم وتُكْشَف أغْطيـةُ أمورهم فان انْفَرَجَت الحال وأفْضَت الأمور به الى تغيير حال أو داعية ضلال اشتملت الاهواء عليه وانْقـادَ الرجال اليـه وامْتَدّت الاَعْناق نحوه بدين

يعتقدونه وثم يستحلونه عصبهم بشدة لالين فيها ورماهم بعقوبة لاعفو معها وان انفرجت العيون واهتصرت الستور ورفعت الحجب والحال فيهم مريعة والأمور بهم معتدلة فى أرزاق يطلبونها وأعمال ينكرونها وظلامات يدعونها وحقوق يسألونها بماتة سابقتهم ودالة مناصحتهم فالرأى للهدى وفقه الله أن يتسع لهم بما طلبوا ويتجافى لهم عما كرهوا ويشعب من أمرهم ماصدعوا ويرتق من فتقهم ماقطعوا ويولى عليهم من أحبوا ويداوى بذلك مرض قلوبهم وفساد أمورهم فانما المهدى وأمته وسواد أهل مملكته بمنزلة الطبيب الرفيق والوالد الشفيق والراعى المجرب الذى يحتال لمرابض غنمه وضوال رعيته حتى يبرئ المريضة من داء علتها ويرد الصحيحة الى أنس جماعتها ثم ان خراسان بخاصة الدين لهم دالة محمولة وماتة مقبولة ووسيلة معروفة وحقوق واجبة لأنهم أيدى دولته وسيوف دعوته وأنصار حقه وأعوان عدله فليس من شأن المهدى الاضطغان عليهم ولا المؤاخذة لهم ولا التوغير بهم ولا المكافأة باساءتهم لان مبادرة حسم الامور ضغيفة قبل أن تقوى ومحاولة قطع الأصول ضئيلة قبل أن تغلظ أحزم فى الرأى وأصح فى التدبير من التأخير لها والتهاون بها حتى يلتئم قليلها بكثيرها وتجتمع أطرافها الى جمهورها .

قال المهدى مازال هارون يَقَع وَقْع الحيا حتى خَرَج خروج القِدْح من الماء وانْسَلّ انسلال السيف فيما ادّعى فَدَعُوا ماسَبَق موسى فيه انه هو الرأى وثنّى بعده هارون ولكن مَن لأعنّة الخيل وسياسة الحرب وقادة الناس ان أمعن بهم اللّجاج وأفرطت بهم الدالة

قال صالح

لسنا نَبْلُغ أيُّها المهدى بدوام البَحْث وطُول الفِكْر أدْنَى فِراسة رَأيكَ وبَعْض لَحَظات نَظَرك وليس يَنْفَضّ عنك من بُيُوتات العرب ورجال العجم ذُو دين فاضل ورأى كامل وتدبير قوى تُقَلّده حَرْبك وتستودعه جُنْدَك ممن يَحْتَمل الأمانَة العظيمة ويَضْطَلع بالأعْباء الثقيلة وأنْتَ بحمد الله مَيمون النَقيبة مباركُ العَزيمة مَحْمود التَجارب محمود العواقب معصوم العَزْم فليس يَقَع اختيارُك ولايقف نَظَرُك على أحد تُوَلّيه أمْرَك وتُسْند اليه ثَغرك الا أرَاك اللهُ ماتُحبّ وجَمَع لك منه ماتريد

قال المهدى انّى لَأَرْجو ذلك لقَديم عادة الله فيه وحُسْن مَعُونَته عليه ولكن أُحبّ المُوافقة على الرأى والاعْتبارَ للمشاورة فى الأمر المُهِم

قال محمد بن الليث

أهْلُ خُراسان أيها المهدى قَوْمٌ ذَوُو عِزّة ومَنَعة وشَياطين خَدَعة زُرُوع الحَمِيّة فيهم نابتة وملابس الأنفة عليهم ظاهرة فالرَّوِيّة عنهم عازبة

والعجلة عنهم حاضرة تَسْبِق سيولُهم مَطَرَهم وسُيوفُهم عَذَلَهم لأنّهم بين سفْلَة لا يَعْدو مَبْلَغ عُقولهم مَنْظَر عيونهم وبين رُؤَساء لا يُلْجَمون الّا بشدّة ولا يُقْطَمون الّا بالمُرّ وان ولّى المهدى عليهم وضيعا لم تَنْقَدْ له العُظَماء وان ولّى أمْرَهم شريفا تَحامَل على الضُعَفاء وانْ أخّر المهدى أمْرَهم ودافع حَرْبَهم حتى يُصيب لنفسه من حَشَمه ومَواليه أو بَنى عَمّه أو بَنى أبيه ناصحا يتّفق عليه أمْرُهم وثِقَةً تَجْتمع له أمْلاؤُهم بلا أنَفَة تَلْزَمُهم ولا حَمِيّة تَدْخُلهم ولا مُصيبة تُنَفّرهم تَنَفّست الأيام بهم وتراخت الحال بأمرهم فَدَخل بذلك من الفساد الكبير والضّياع العظيم مالا يَتَلافاه صاحبُ هذه الصفة وان جَدّ ولا يَسْتَصْلِحُه وان جَهَد الّا بَعْد دَهْر طويل وشرّ كبير وليس المهدى وفّقه الله فاطما عاداتهم ولا قارعا صَفَاتهم بمثل أحد رَجُلين لا ثالث لهما ولا عَدْلَ فى ذلك بهما أحدُهما لسانٌ ناطق موصول بسَمْعك ويَدٌ مُمَثّلة لعَينك وصَخْرة لا تُزَعْزِع وبُهْمَة لا تُثْنَى وبازلٌ لا يُقْزِعه صوْتُ الجُلْجُل نَقِيّ العِرْض نَزِيه النَفْس جَليل الخَطَر قد اتّضعَتْ الدُنْيا عن قَدْره وسَمَا نحو الآخرة بهمّته فَجَعَل الغَرَض الاقْصى لعَينه نُصْبا والغَرَض الأدنى لقَدَمه مَوْطئا فليس يَقْبَل عَملا ولا يَتَعَدّى أمَلا وهو رأس مَوَاليك وأنْصَح بَنى أبيك رجل قد غُذّى بلطيف كرامتك ونَبَتَ فى ظِلّ دَولتك ونَشَأ على قوائم أدبك فانْ قَلّدْته أمْرَهم وحَمّلْته ثِقْلَهم

واسْنَدْتَ اليه ثَغْرهم كان قُفْلا فَتْحه أمْرُكَ وبابًا أغْلَقه نَهْيُكَ فجعل العَدْل عليه وعليهم أميرا والانصافَ بينَه وبينهم حاكما واذا حَكَم المُنْصَفة وسَلَك المَعْدلة فأعطاهُم مالَهُم وأخذ منهم ماعليهم غَرَس فى الذى لكَ بين صُدورهم وأسكَن لكَ فى السُوَيْداء داخلَ قلوبهم طاعةً راسخةَ العُرُوق باسقةَ الفُرُوع مُتَمائلةً فى حَواشى عَوامّهم مُتَمَكّنَة من قُلُوب خَواصّهم فلا يبقى فيهم رَيْبٌ اَلَا نَفْوه ولا يلزمهم حق الا أدّوه وهذا أحَدُهما والآخَرُ عُودُ من غَيْضَتكَ ونَبْعَةٌ من أُرُومَتكَ فَتِىّ السِّنّ كَهْلُ الحِلْم راجح العقل محمود الصَّرامة مأمون الخلاف يُجَرّد فيهم سَيْفَه ويَبْسُط عليهم خَيْرَه بقدر مايستحقون وعلى حسب مايَسْتَوْجبون وهو فُلان أيها المهدى فسلّطْه أعَزّكَ اللهُ عليهم ووَجّهْه بالجُيُوش اليهم ولا تَمْنَعْكَ ضَراعة سنّه وحَداثة مَوْلده فانّ الحِلْمَ والثِقَة مع الحَداثة خَيْرٌ من الشّكّ والجَهْل مع الكُهُولة وانما أحْداثُكُمْ أهلَ البيت فيما طَبَعكم اللهُ عليه واختَصّكم به من مكارم الأخلاق ومحامد الفَعال ومَحاسن الأمور وصواب التدبير وصَرامة الأنفس كفراخ عتاق الطَيْر المُحكمة لأخْذ الصَيْد بلا تَدْريب والعارفة لوُجوه النَفْع بلا تأديب فالحلم والعلم والعزم والحزم والجود والتُؤَدَة والرِفْق ثابتٌ فى صُدوركم مَزْروع فى قُلوبكم مُسْتَحْكِم لكم مُتكامل عندكم بطَبائع لازمة وغَرائزَ ثابتة

قال معاوية بن عبد الله

فتاءُ أهل بيتك أيها المهـدى فى الحلم على ماذُكر وأهلُ خراسان فى حال عزّ على ماوُصف ولكن انّ وَلّى المهدى عليهم رَجُلا ليس بقديم الذكر فى الجنود ولابنَبيه الصوت فى الحروب ولا بطويل التجربة للامور ولا بمعروف السياسـة للجيوش والهيبـة فى الاعداء دخل ذلك أمران عظيمان وخَطَران مَهُولان أحدُهما ان الاعداء يَغْتَمِزونها منه ويحتقرونها فيه ويجترؤون بها عليه فى النهوض به والمقارعة له والخلاف عليه قبل الاختبار لامْره والتَكَشّف لحاله والعلم بطباعه والأمر الآخر أنّ الجُنود التى يقود والجيوش التى يسوس اذا لم يختبروا منـه البأس والنَجْدة ولم يعرفوه بالصّيت والهَيْبة انكسرت شجاعتهم وماتت نَجْدَتهم واستأخرت طاعتهم الى حين اختبارهم ووقوع معرفتهم وربما وقع البَوار قبل الاختبار وبباب المهدى وفقه الله رجل مَهيب نَبيه حَنيك صَيّتٌ له نَسَب زالٌ وصَوتٌ عالٍ قد قاد الجيوش وساس الحروب وتألّف أهـل خراسان واجتمعوا عليه بالثّقة ووثقوا به كل الثّقة فاولّاه المهدى أمرهم لكفاه الله شرهم قال المهـدى جانَبْتَ قَصْـد الرَميّة وأبَيْتَ الّا عَصَبيّة اذ رَأى الحَدَث من أهـل بيتنا كرأى عَشَرة حُلَماء من غيرنا ولكن أين تركتم ولىّ العهد

قالوا

لم يمنعنا من ذكره الا كونه شبيه جده ونسيج وحده ومن الدين وأهله بحيث يقصر القول عن أدنى فضله ولكن وجدنا الله عز وجل حجب عن خلقه وستر دون عباده علم ماتختلف به الأيام ومعرفة ماتجرى عليه المقادير من حوادث الأمور وريب المنون المختزمة لحوالى القرون وماضى الدول فكرهنا شسوعه عن محلة الملك ودار السلطان ومقر الامامة والولاية وموضع المدائن والخزائن ومستقر الجنود ومعدن الجود ومجمع الأموال التى جعلها الله قطبا لدار الملك ومصيدة لقلوب الناس ومثابة لاخوان الطمع وثوار الفتن ودواعى البدع وفرسان الضلال وأبناء الموت وقلنا ان وجه المهدى ولى عهده فحدث فى جيوشه وجنوده ماقد حدث بجنود الرسل من قبله لم يستطع المهدى ان يعقبهم بغيره الا أن ينهد اليهم بنفسه وهذا خطر عظيم وهول شديد ان تنفست الأيام بمقامه واستدارت الحال بامامه حتى يقع عوض لايستغنى عنه أو يحدث أمر لابد منه صار مابعده مما هو أعظم هولا وأجل خطرا له تبعا وبه متصلا

قال المهدى

انا طب أيسر مما تذهبون اليه وعلى غير مانصفون الأمر عليه نحن أهل البيت نجرى من أسباب القضايا ومواقع الأمور على سابق من

العلم ومحتوم من الأمر قد أنبأت به الكتب ونبأت عليه الرسل وقد تناهى ذلك بأجمعه الينا وتكامل بحذافيره عندنا فبه نُدبّر وعلى الله نتوكل انه لابد لولىّ عهدى وولىّ عهد عقبى بعدى أن يقود الى خراسان البعوث ويتوجه نحوها بالجنود أما الأول فانه يقدّم اليهم رسله ويُعمل فيهم حيله ثم يخرج نشطا اليهم حنقا عليهم يريد أن لايدع أحدا من اخوان الفتن ودواعى البدع وفرسان الضلال الا توطّأه بحرّ القتل وألبسه قناع القهر وقلده طوق الذل ولا أحدا من الذين عملوا فى قصّ جناح الفتنة واخماد نار البدعة ونصرة ولاة الحقّ الا أجرى عليهم دِيَم فضله وجداول نهله فاذا خرج مُزمعًا به مُجمعًا عليه لم يسر الا قليلا حتى تأتيه ان قد عملت حيله وكدحت كتبه ونفذت مكايده فهدأت نافرة القلوب ووقعت طائرة الأهواء واجتمع عليه المختلفون بالرضى فيميل نظرًا لهم وبرًّا بهم وتعطّفا عليهم الى عدوّ قد أخاف سبيلهم وقطع طريقهم ومنع حجّاجهم بيت الله الحرام وسلب تجّارهم رزق الله الحلال وأما الآخر فانه يوجه اليهم ثم تعتقد له الحجة عليهم باعطاء مايطلبون وبذل مايسألون فاذا سمعت الفرق بقراباتها له وخنع أهل النواحى بأعناقهم نحوه فأصغت اليه الأفئدة واجتمعت له الكلمة وقدمت عليه الوفود قصد لأول ناحية نجعت بطاعتها وألقت

بأزمّتها فالبسها جناح نعمته وأنزلها ظل كرامته وخصّها بعظيم حبائه ثم عمّ الجماعة بالمعدلة وتعطّف عليهم بالرحمة فلا تبقى فيهم ناحيةٌ دانية ولا فرقة قاصية الا دخلت عليها بركته ووصلت اليها منفعته فأغنى فقيرها وجبر كسيرها ورفع وضيعها وزاد رفيعها ماخلا ناحيتين ناحية يغلب عليها الشقاء وتستميلهم الأهواء فتستخفّ بدعوته وتبطئ عن اجابته وتتثاقل عن حقّه فتكون آخر من يبعث وأبطأ من يوجّه فيصطلى عليها موجوده ويبتغى لها علّة لايلبث أن يجدّ بحقّ يلزمهم وأمر يجب عليهم فتستلحمهم الجيوش وتأكلهم السيوف ويستحرّبهم القتل ويحيط بهم الأسر ويفنيهم التتبّع حتى يخرب البلاد ويوتم الأولاد وناحية لايبسط لهم أمانا ولا يقبل لهم عهدا ولا يجعل لهم ذمّة لانّهم أولُ من فتح باب الفرقة وتدرّع جلباب الفتنة وربض فى شقّ العصا ولكنه يقتل أعلامهم ويأسر قوّادهم ويطلب هرّابهم فى لجج البحار وقلل الجبال وحميل الأودية وبطون الأرض تقتيلا وتغليلا وتنكيلا حتى يدع الديار خرابا والنساء ايامى وهذا أمرٌ لانعرف له فى كتبنا وقتا ولا نصحّح منه غير ماقلنا تفسيرا وأما موسى ولىّ عهدى فهذا أوان توجّهه الى خراسان وحلوله بجرجان وما قضى الله له من الشخوص اليها والمقام فيها خيرٌ للمسلمين مغبّةً له باذن الله عاقبة من المقام

بحيث يغمر فى لجج بحورنا ومدافع سيولنا ومجامع أمواجنا فيتصاغر عظيم فضله ويتدأب مشرق نوره ويتقلل كثير ماهو كائن منه فمن يصحبه من الوزراء ويختار له من الناس

قال محمد بن الليث

أيها المهدى انّ ولىّ عهدك أصبح لأُمّتك وأهل ملّتك عَلَما قد تَنَنّت نحوه أعناقُها ومدّتْ سَمْتَه أبصارَها وقد كان لقُرْب دراه منك ومحلّ جواره لك عُطْل الحال غُفْل الأمْر واسعَ العُذْر فأما اذا انفرد بنفسه وخَلا بنَظَره وصار الى تدبيره فان من شأن العامة أن تَتَفَقّد مَخارج رأيه وتَسْتَنْصت لمواقع آثاره وتَسْأل عن حوادث أحواله فى برّه ومَرْحَمته واقْساطه ومَعْدَلته وتدبيره وسياسته ووزرائه وأصحابه ثم يكون ماسَبَق اليهم أغْلَبَ الاشياء عليهم وأمْلَكَ الأمور بهم وألْزَمها لقلوبهم وأشدَّها استمالةً لرأيهم وعَطْفا لأهْوائهم فلا يَفْتَأُ المهدى وفّقه الله ناظرا له فيما يُقَوّى عَمَد مَمْلكته ويسَدّد أركانَ ولايته ويستجمع رضاءَ أمّته بأمر هو أزْيَنُ لحاله وأظْهَر لجماله وأفضل مَغَبّة لأمره وأجل موقعا فى قلوب رعيته وأحمد حالا فى نفوس أهل ملّته ولا أدفعَ مع ذلك باستجماع الأهواء له وأبْلَغ فى استعطاف القلوب عليه من مَرْحَمة تَظْهر من فعْله ومَعْدَلة تنتشر عن أثَره ومَحَبّة للخير وأهْله وان يختار

المهـدى وفقـه الله من خيـار أهـل كل بَلْدة وفُقَهاء أهل كل مِصْر أقواما تَسْكُن العامّة اليهـم اذا ذُكروا وتَأْنَس الرعيةُ بهم اذا وُصِفوا ثم تُسَهّل لهم عِمارةَ سُبُل الاحسان وفَتْح باب المعروف كما قد كان فُتِح له وسُهّل عليه

قال المهدى صدقت ونصحت ثم بعث فى ابنه موسى فقال أىْ بُنَىّ انك قد أصْبَحْت لسَمْت وجوه العامة نُصْبًا ولَثْنَى أعْطاف الرعية غايةً فسَنَتُكَ شاملة واساءتك نائية وأمرُكَ ظاهر فعليك بتقوى الله وطاعته فاحتمِلْ سُخْط الناس فيهـما ولا تَطْلُبْ رضاهُم بخلافهـما فانّ الله عز وجل كافيكَ مَن أسْخَطَه عليكَ ايثارُكَ رضاه وليس بكافيكَ من يُسْخطه عليـكَ ايْثارُكَ رضا مَن سواه ثم اعلم أنّ لله تعالى فى كل زمان فَتْرةً من رسله وبَقايا من صَفْوة خَلْقه وخَبايا لنُصْرة حَقّه يُجَدّد حَبْلَ الاسـلام بدعواهم ويُشَيّد أركانَ الدين بنُصْرتهم ويَتّخذ لأوْليـاء دينه أنْصارًا وعلى اقامة عَدْله أعْوانا يَسُـدّون الخَلَل ويُقيمون المَيـل ويَدْفَعون عن الارض الفسادَ وانّ أهل خراسان أصْبَحوا أيْدى دولتنا وسُـيوف دَعْوتنـا الذين نَسْتَدفع المَكارهَ بطاعتهم ونَسْتصرف نُزولَ العَظـائم بمُناصَحتهـم ونُدافع رَيْب الزمان بعَزائمهم ونُزاحم رُكْن الدهر ببصائرهـم فَهُـم عِمـاد الارض اذا أرْجَفَتْ لُفُفُها وخَوْف الاعداء اذا

برزت صفحتها وحصون الرعية اذا تضايقت الحال بها قد مضت لهم وقائع صادقات ومواطن صالحات أخمدت نيران الفتن وقسمت دواعي البدع وأذلت رقاب الجبارين ولم ينفكوا كذلك ماجروا مع ريح دولتنا وأقاموا فى ظل دعوتنا واعتصموا بحبل طاعتنا التى أعز الله بها ذاتهم ورفع بها صنعتهم وجعلهم بها أربابا فى أقطار الارض وملوكا على رقاب العالمين بعد لباس الذل وقناع الخوف واطباق البلا ومحالفة الاسى وجهد البأس والضر فظاهر عليهم لباس كرامتك وأنزلهم فى حدائق نعمتك ثم اعرف لهم حق طاعتهم ووسيلة دالتهم وماتة سابقتهم وحرمة مناصحتهم بالاحسان اليهم والتوسعة عليهم والاثابة لمحسنهم والاقالة لمسيئهم أى بنى ثم عليك العامة فاستدع رضاها بالعدل عليها واستجلب مودتها بالانصاف لها وتحسن بذلك لربك وثق به فى عين رعيتك واجعل عمال العذر وولاة الحجج مقدمة بين عملك ونصفة منك لرعيتك وذلك ان تأمر قاضى كل بلد وخيار أهل كل مصر أن يختاروا لأنفسهم رجلا تولية أمرهم وتجعل العدل حاكما بينه وبينهم فان أحسن حمدت وان أساء عذرت هولاء عمال العذر وولاة الحجج فلا يسقطن عليك مافى ذلك اذا انتشر فى الآفاق وسبق الى الاسماع من انعقاد ألسنة المرجفين وكبت قلوب الحاسدين واطفاء نيران الحروب وسلامة عواقب الامور

ولا يَنْفَكَّنَّ فى ظلّ كرامتك نازلا وبعُرَا حَبْلك مُتَعَلّقا رَجُلان أحدُهما كَرِيمة من كرائم رِجَالات العَرَب وأعْلام بيُوتات الشَّرف له أدب فاضل وحِلْم راجح ودين صحيح والآخر له دين غيرُ مَعْمُوز ومَوْضع غير مَدْخول بَصيرٌ بتَقْليب الكلام وتَصْريف الرأى وانْحاء العَرَب ووَضْع الكُتُب عالم بحالات الحروب وتصاريف الخُطوب يَضَع آدابا نافعة وآثارًا باقيـة من مَحَاسنك وتَحْسين أمرك وتَحْلية ذكرك فتَسْتَشيره فى حَرْبك وتُدْخله فى أمرك فَرَجُـلٌ أصَبْتَه كذلك فهو يأوى الى مَحَلّتى ويَرْعَى فى خُضْرة جنانى ولا تَدَعْ أن تختار لك من فقهاء البُلْدان وخيار الأمْصار أقواما يكونون جيرانك وسُمّارك وأهلَ مُشاورتك فيما تُورد وأصحابَ مُناظَرتك فيما تُصْدر فَسر على بَرَكة الله أصْحَبَك الله من عَوْنه وتوفيقه دليلا يَهْدى الى الصواب قَلْبَك وهاديًا يُنْطق بالخير لسانَك وكتب فى شهر ربيع الآخر سنة سبعين ومائة ببغداد

وقال ابراهيم بن المهدى يرثى ابنه وكان مات بالبصرة

نَأَى آخَرَ الايام عنـك حبيب * فلاعـين سَحّ دائم وغُـرُوب
دَعَتْـهُ نَوًى لايُرْتَجَى أوْبَةٌ لها * فَقَلْبُكَ مَسْلُوبٌ وأنت كئيب
يَؤُب الى أوطـانه كلُّ غائب * وأحمـدُ فى الغُيّاب ليس يَؤُب
تَبَدَّلَ دارا غـيرَ دارى وجيرةً * سِوَاىَ وأحْداث الزمان تَنُوب

أقام بها مُسْتَوطنا غيرَ أنه * على طول أيام المُقام غَريب
كأنْ لم يَكُنْ كالغُصْن في مَيْعَة الضُّحى * سَقاهُ النَّدى فاهتزّ وهو رَطيب
كأنْ لم يكن كالدُّرّ يَلْمَع نُوره * بأصْدافه لَمّا تَشُنْه نُقُوب
كأن لم يكن زَيْنَ الفناء ومَعْقل النســـاء اذا يومٌ يكونُ عَصيب
ورَيْحان صَدْري كان حين أشُمّه * ومُؤْنس قَصْري كان حين أغيب
وكانت يَدي مَلْأى به ثم أصْبَحَتْ * بحَمْد الهى وهى منه سَليب
قَليلا من الأيام لم يُرْوَ ناظري * بها منه حتى أعْلَقَتْه شُعوب
كظلّ سَحاب لم يُقِمْ غيرَ ساعة * الى أن أطاحَتْه فَطاح جَنوب
أوالشمس لما من غَمام تَحَسَّرَتْ * مَساءً وقد وَلَّتْ وحانَ غُروب
سَأَبْكيكَ ما أبْقَتْ دُموعي والبُكَى * بعَيْنَيَّ ماءً يابْنَ يُحيب
وما غارَ نَجْمٌ أو تَغَنَّتْ حَمامةٌ * أواخْضَرَّ في فَرْع الأرَاكَة قَضيب
حَياتي مادامَتْ حَياتي فانْ أمُتْ * تَوَيْتُ وفي قلبي عليكَ نُدُوب
وأضْمَرُ ان أنْفَدْتُ دمعي لوعةً * عليكَ لها تحتَ الضُّلوع وَجيب
دَعَوْتُ أطبّاءَ العراق فلم يُصب * دواءَكَ منهم في البلاد طَبيب
ولم يَمْلكُ الآسُون دَفْعًا لمُهْجَة * عليها لأشْراكَ المَنُون رَقيب
قَصَمْتَ جَناحي بَعْدَما هَدَّ مَنْكبي * أخُولَ فَرَأْسي قد عَلاه مَشيبُ
فأصْبَحْتُ في الهُلّاكِ الاّ حُشاشةً * تُذاب بنار الحُزْن فهي تَذُوب

تَوَلَّيْتُمَا فى حقْبَـــة فَتَرَكْتُمَا * صَـــدًى يَتَوَلَّى تارةً ويَثُوب
فلا مَيْتَ الّا دونَ رُزْئِكَ رُزْؤُه * ولوفُتِّتَتْ حُزْنًا عليـــه قُلوب
وانى وانْ قَدَّمْتَ قَبْـلى لَعَـالِمٌ * بأنى وان أبطأتُ منكَ قريب
وانّ صَـباحًا نَلْتَقى فى مَسـائه * صَـباحٌ الى قلبى الغَداةَ حَبيب

المأمون وراثى البرامكة

قال خادم المأمون طَلَبَنى أمير المؤمنين ليلةً وقد مضى من الليل ثُلُثُه فقال لى خُذ معكَ فلانا وفلانا وسَمَّاهُما لى أحَدُهما علىّ بن محمد والآخر دينار الخادم واذهبْ مُسْرِعا لَما أقول لكَ فانه بَلَغَنى أنّ شيخا يَحْضُر ليلا الى آثار دُور البَرامكة ويُنْشد شعرا ويذكرهم ذكرا كثيرا ويَنْدُبهم ويبكى عليهم ثم ينصرف فامضِ أنت وعلىّ ودينار حتى تَرِدُوا تلكَ الخرِبات فاسْتَتروا خَلْف بعض الجُدُر فاذا رأيتم الشيخ قد جاء وبكى ونَدَب وأنشد أبياتا فَأْتُونى به قال فَأَخَذْتُهما ومَضَيْنا حتى أتَيْنا الخَرِبات فاذا نحن بغُلام قد أتى ومَعَهُ بِساطٌ وكرسىّ حديد واذا شيخ قد جاء وله جَمال وعليه مَهابة ولُطْف فجلس على الكرسى وجعل يبكى وينتحب ويقول هذه الابيات

ولما رأيتُ السَّيْفَ جَنْدَلَ جَعْفَرًا * ونادى منادٍ للخليفـــة فى يَحْيَى
بَكَيتُ على الدُّنْيا وزاد تأسُّفى * عليهم وقلتُ الآن لاتنفع الدنيا

مع أبيات أطالها فلما فرغ قبضنا عليه وقلنا له أجب أمير المؤمنين ففزع فزعًا شديدا وقال دعونى حتى أوصى بوصيّة فانى لا أوقن بعدها بحياة ثم تقدّم الى بعض الدكاكين واستفتح وأخذ ورقةً وكتب فيها وصيّة وسلّمها الى غلامه ثم سرْنا به فلما مَثل بين يدى أمير المؤمنين قال حين راهُ مَن أنتَ وبمَ استوجبتْ منكَ البرامكة ماتفعلُه فى خرائب دُورهم قال الشيخ ياأمير المؤمنين انّ للبرامكة أيادىَ خضرةً عندى أفتأذَن لى أن أحدّثكَ بحالى معهم قال قُلْ فقال ياأمير المؤمنين أنا المُنذر بن المُغيرة من أولاد الملوك وقد زالت عنّى نعْمتى كما تزول عن الرّجال فلما ركبنى الدّين واحتجْت الى بيع ماعَلَى رأسى ورُؤوس أهْلى وبيْتى الذى وُلدْت فيه أشاروا علَىّ بالخروج الى البرامكة فخرجتُ من دمشْق ومعى نيّفٌ وثلاثون رجلا من أهْلى ووَلَدى وليس معنا مايُباع ولا مايُوهَب حتى دخلْنا بغْداد ونزلْنا فى بعض المساجد فدَعوْت ببعض ثيابٍ كنتُ أعْددْتُها لأستتر بها فلبسْتُها وخرجْت وتركْتهم جياعا لاشىَ عندهم ودخلْتُ شوارع بغداد سائلا عن البرامكة فاذا أنا بمسجدٍ مزخرفٍ وفى جانبه شيخ بأحْسن زىّ وزينة وعلى الباب خادمان وفى الجامع جماعةُ جُلوس فطمعْتُ فى القوم ودخلتُ المسجدَ وجلستُ بين أيديهم وأنا أقدّم رِجْلا وأؤخر أُخرى والعَرق يسيل منى لانها لم تكن صناعتى

واذا الخادمُ قد أقبـلَ ودعا القومَ فقاموا وأنا مَعهُم فَدَخلُوا دارَ يحيى ابن خالد فدخلتُ معهم واذا يحيى جالسٌ على دَكّة له وَسْط بُسْتان فَسَلَّمْنا وهو يَعُدُّنا مائة وَواحدًا وبين يَدَيه عَشَرة من وَلَده واذا بمائة واثنى عشر خادما قد أقبلوا ومع كل خادم صينيَّة من فضّة على كل صينية ألْفُ دينار فَوضَعوا بين يَدَيْ كل رَجُل منّا صينيةً فرأيتُ القاضيَ والمشايخ يَضَعُون الدنانير فى أكمامهم ويَجْعَلون الصينيَّات تحتَ آباطهم ويقوم الاوّل فالاول حتى بَقيتُ وحدى لا أجْسُر على أخْذ الصينية فَعَزَمَنى الخادم فَسَرْتُ وأخَذْتُها وجعلتُ الذَهَبَ فى كُمّى والصينيةَ فى يَدى وقُمْتُ وجعلت أتَلَفَّتُ الى وَرَاءى مَخَافَةَ أن أُمْنَع من الذَهاب فَوَصَلْتُ وأنا كذلكَ الى صَحْن الدار ويحيى يُلاحظُنى فقال للخادم ائتنى بهذا الرَجُل فأتانى فقال مالى أرالكَ تَتَلَفَّت يَمينا وشمالًا فَقَصَصْتُ عليه قصّتى فقال للخادم ائتنى بوَلَدى موسى فأتاه به فقال له يابُنَىّ هذا رَجُلٌ غريبٌ خُذْه اليكَ واحْفَظْه بنفسكَ ونِعْمتكَ فقَبَض موسى وَلَدُه على يَدى وأدْخَلَنى الى دار من دُوره فأكْرَمَنى غايةَ الاكرام وأقَمْتُ عنده يَوْمى ولَيْلَتى فى ألَذّ عَيْش وأتَمّ سُرور فلما أصْبَح دَعا بأخيه العباس وقال له الوزير أمَرَنى بالعَطْف على هذا الفَتى وقد عَلِمْتَ اشتغالى فى بَيْت أمير المؤمنين فاقبضْه اليكَ وأكْرِمْه ففَعَلَ ذلكَ وأكْرَمَنى غاية الاكرام ثم لما كان من الغد

تَسَلَّنى أخوه أحمد ثم لم أزَلْ فى أيْدى القوم يَتَدَاوَلُونَنى مدةَ عشرة أيام لا أعْرف خَبَرَ عيالى وصبْيانى أفى الامْوات هُمْ أمْ فى الاحْياء فلما كان اليوْم الحادى عشر جاءنى خادمُ ومَعَهُ جماعة من الخَدَم فقالوا قُمْ فاخْرُجْ الى عيالك بسلام فقلت واويلاه سُلِبْتُ الدنانير والصينيّة وأُخْرَجُ على هذه الحالة انّا لله وانا اليه راجعون فَرُفِع السِّتْر الاوّل ثم الثانى ثم الثالث ثم الرابع فلما رَفَع الخادم السِّتْرَ الاخير قال لى مهما كان لكَ من الحوائج فارْفعْها الىَّ فانى مأمورٌ بقَضاء جميع ما تأمُرُنى به فلما رُفِع السِّتْر الأخير رأيتُ حُجْرة كالشمس حُسْنا ونورًا واسْتَقْبلنى منها رائحةُ النَّدّ والعود ونَفحات المِسْك واذا بصبْيانى وعيالى يَتَقَلَّبون فى الحرير والدّيباج وحُمِلَ الىَّ مائةُ ألف درْهَم وعَشَرة آلاف دينار ومَنْشورًا بضَيْعَتَين وتلك الصينية التى كنت أخَذْتُها بما فيها من الدَّنانير والبَنادق وأقمْت يا أمير المؤمنين مع البرامكة فى دورهم ثلاثَ عشرةَ سنة لا يعلَمُ الناسُ أمِنَ البرامكة أنا أم رَجُلٌ غريب فلما جاءتهم البَليّة ونَزَل بهم يا أمير المؤمنين من الرشيد مانزل أجْحَفَنى عَمْرو بن مَسْعدة وألْزَمَنى فى هاتين الضيعتين من الخَراج مالا يَفى دَخْلُهما به فلما تَحامَل علىَّ الدَّهْر كنتُ فى آخر الليل أقْصد خَرِبات دُورهم فأنْدُبُهم وأذْكر حُسْن صُنْعهم الىَّ وأبكى على احسانهم فقال المأمون عَلَىَّ بعمرو بن مسعدة فلما أُتِى به قال له تَعْرف

هذا الرَجُلَ قال يا أمير المؤمنين هو بعض صنائع البرامكة قال كم ألزمتَه في ضَيْعَتَيْه قال كذا وكذا فقال له رُدَّ اليه كُلَّ ما أخَذْتَه منه فى مُدّته وأفْرِغْهما له ليكونا له ولعَقِبه من بعده قال فَعَلَا نحيبُ الرَجُل فلما رأى المأمونُ كَثْرَةَ بكائه قال له ياهذا قد أحْسَنّا اليكَ فما يُبْكيكَ قال ياأمير المؤمنين وهذا أيضا من صَنيع البرامكة لو لم آتِ خرباتهم فأبكيهم وأندُبهم حتى اتّصل خَبَرى الى أمير المؤمنين فَفَعَل بى ماقَعَل من أين كنتُ أصل الى أمير المؤمنين قال ابراهيم بن مَيْمون فرأيتُ المأمون وقد دَمعَتْ عَيْناهُ وظهر عليه حُزْنُه وقال لَعَمْرى هذا من صنائع البرامكة فعليهم وابلٌ وإيّاهُم فاشكُرْ ولهم فأوفِ ولاحسانهم فاذْكُرْ

رسالة سهل بن هارون فى البخل

بسم الله الرحمن الرحيم

أصلحَ اللهُ أمركم وجَمع شملكم وعَلّمكم الخير وجعلكم من أهله قال الاحْنَف بن قَيْس يامعشرَ بنى تَميم لاتُسْرعوا الى الفتْنة فانّ أسْرَعَ الناس الى القتال أقلُّهم حياء من الفرار وقد كانوا يقولون اذا أردتَ أن ترى العُيوب جَمّةً فتأمّلْ عَيّاباً فانه انما يَعيب الناسَ بفَضْل مافيه من العَيب ومن أعْيَب العَيْب أن تَعيب ماليس بعَيب وقبيحٌ أن تَنْهى مُرشِدا وأن تُعَرّى بمُشْفق وما أردنا بما قلنا الا هدايتكم وتقويمكم واصلاحَ فاسدكم

وابقاءَ النعمةَ عليكم وما أخطأنا سبيلَ حُسْنِ النيّة فيما بيننا وبينكم وقد تَعْلمون أنّا ماأوْصَينا كم الا بما اخْتَرْناه لكم ولأنْفُسنا قبلكم وشُهرنا به فى الآفاق دونكم ثم نقول فى ذلك ماقال العَبْد الصالح لقومه (وما أريد أن أُخالفكم الى ماأنهاكُمْ عنه ان أُريد الا الاصْلاحَ مااستطعتُ وما توفيقى الا بالله عليه توكلتُ) فما كان أحقّنا منكم فى حُرْمتنا بكم أن تَرْعَوا حقّ قَصْدنا بذلك اليكم على مارَعَيْناه من واجب حَقّكم فلا العُذْرَ المبسوط بَلَغْتم ولا بواجب الحُرمة قُمتم ولو كان ذكرُ العيوب يُراد به نَفْرُ لَرأَيْنا فى أنفُسنا من ذلك شُغْلًا عَبْتُمونى بقَوْلى لحادمى أجيدى العجين فهو أطْيَبُ لطُعْمه وأزْيَد فى رَيْعه وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه أمْلكوا العجين فانه أحدُ الرَّيْعَيْن وعبتمونى حين ختمت على مافيه شئ ثمين من فاكهة رَطْبة نَقيّة ومن رَطْبة غريبة على عَبْد نَهِم وصَبِيّ جَشِع وأمَة لَكْعَاءَ وزَوْجة مُضيعة وعبْتُمونى بالخَتْم وقد خَتَم بعض الائمة على مِزْوَد سويق وعلى كيس فارغ وقال طينَةٌ خيرٌ من طَيَّة فأمْسَكْتم عَمّن خَتَم على لاشئ وعِبْتُمْ مَن خَتَم على شئ. وعبتمونى أن قلتُ للغلام اذا زدتَ فى المَرَق فزِدْ فى الانضاج ليَجْتَمِع مع التأدُّم باللحم طِيبُ المَرَق وعبتمونى بخَصْف النَعْل وبتَصْدير القَميص وحين زَعَمْتُ أنّ المَخْصوفة من النَّعْل أبْقَى وأقْوَى وأشْبَه بالشَّدّ وأنّ التَرْقيع من الحَزْم والتَفْريط من

التضييع وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصف نعله ويرقع ثوبه ويقول لو أهدى الىّ ذراعٌ لقبلتُ ولو دُعيتُ الى كُراعٍ لأجبتُ وقالت الحكماء لاجديدَ لمَنْ لم يلبس الخلق وبعث زياد رجلا يرتادُ له محدثا واشترط عليه أن يكون عاقلا فاتاه به مُوافقا فقال له أكنت به ذامعرفة قال لا ولكنى رأيتُه فى يوم قائظ يلبس خلقًا ويلبس الناسُ جديدا فتفرّست فيه العقلَ والأدبَ وقد علمتُ أنّ الخلقَ فى موضعه مثلُ الجديد فى موضعه وقد جعل الله لكل شئ قدرًا وسَما به موضعا كما جعل لكل زمان رجالًا ولكل مقام مَقالا وقد أحيا الله بالسُّمّ وأماتَ بالدواء وأغصّ بالماء وقد زَعموا أنّ الاصلاح أحدُ الكاسبَيْن كما زعموا أن قلّة العيال أحدُ اليسارَيْن وقد جبر الأحنف بن قيس يدَ عَبْز وأمر مالكُ بن أنس بفرك النعل وقال عُمر بن الخطاب مَن أكل بَيضةً فقد أكل دجاجة ولبس سالم بن عبدالله جلْدَ أضحيةٍ وقال رجل لبعض الحكماء أريد أن أهدى اليك دجاجة فقال ان كان لابدّ فاجعلها بَيوضًا وعبتمونى حين قلت من لم يعرف مواضعَ السَرَف فى الموجود الرخيص لم يعرف مواضعَ الاقتصاد فى المُمْتنع

الكفاية وأشدّ من الكفاية فلما صرتُ الى تفـ

والى التوفير عليها من وضيعة الماء وجدتُ فى الأعضاء فضلا عن الماء

فعلت أن لو كنتُ سلكت الاقتصادَ فى أوائله لخرج آخره على كفاية أوله ولكانَ نصيب الآخر كنصيب الأول فعبتمونى بذلك وشنّعتم علىّ وقد قال الحسَنُ وذكر السَرَف أما انه ليكون فى الماء والكلأ فلم يرضَ بذكر الماء حتى أردفه الكلأ وعبتمونى أن قلت لا يغترّنّ أحدُكم بطول عُمره وتقويس ظَهْره ورقة عَظْمه ووَهَن قُوّته وأن يرى نحوه أكثرَ ذُرّيته فيدّعوه ذلك الى اخراج ماله من يده وتحويله الى ملك غيره والى تحكيم السَرَف فيه وتسليط الشهوات عليه فلعلّه يكون مُعمّرا وهو لا يدرى ومَمْدودا له فى السنّ وهو لا يَشْعُر ولعلّه أن يُرزَق الولَد على اليأس ويَحْدُث عليه من آفات الدهر ما لا يَخْطُر على بال ولا يُدركه عقلٌ فيَسْتَرِدّه ممن لا يَرُدّه ويُظهر الشكوى الى من لا يَرحَمُه أصعبَ ما كان عليه الطلب وأقبحَ ما كان به أن يطلُبُ فعبتمونى بذلك وقد قال عمرو ابن العاص اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا وعبتمونى بأن قلت بأنّ السَرَف والتبذير الى مال المواريث وأموال الملوك وأنّ الحفْظَ للمال المُكْتَسَب والغنَى المُجْتَلَب والى مَن لا يُعرّض فيه بذهاب الدين واهْتضام العِرْض ونَصَب البَدَن واهتمام القلب أسرعُ ومَن لم يَحْسُب نَفَقَتَه لم يَحْسُبْ دَخْلَه ومَن لم يَحْسُب الدَخْل فقد أضاع الأصل ومن لم يَعْرِف للغنَى قَدْرَه فقد أذن بالفقر وطاب نفسا

بالذُّلّ وعبتموني بأن قلت انّ كَسْبَ الحلال يَضْمَن الانْفاقَ في الحلال وانّ الخبيث يَنْزع الى الخبيث وانّ الطَّيّب يَدْعو الى الطَّيّب وانّ الانفاق في الهوى حجابٌ دونَ الهوى فَعِبْتُمْ عليّ هـذا القول وقد قال معاوية لم أرَ تَبْـذيرا قطّ الّا والى جَنْبه تضييع وقد قال الحَسَـن ان أرَدْتم أن تَعْرفوا من أيْنَ أصابَ الرجلُ مالَهَ فانظروا فيما ذا يُنْفقُه فان الخبيث انما يُنْفَقُ في السَّرَف وقلت لكم بالنَّفقة عليكم وحُسْن النظر منى لكم وأنتم في دار الآفات والجوائحُ غيرُ مأمونات فانْ أحاطَتْ بمال أحدكم آفةٌ لم يَرْجع الى نفسه فاحذروا النقَم واختلافَ الامكنـة فانّ البَليّة لاتجرى في الجميع الا بمَوْت الجميع وقد قال عُمَر بن الخطاب رضى الله عنـه في العبد والأمَة والشاة والبَعير فَرّقوا بين المَنايا وقال ابن سيرين لبعض البَحْريّين كيف تصـنعون بأموالكم قالوا نُغَرّقُها في السُّفُن فان عَطِب بعضُ سَلِمَ بعضُ ولولا أنّ السَّلامة أكثر ماحَمَلْنا أموالَنـا في البحر قال ابن سيرين يَحْسَبها خَرْقاء وهى صَناع وعبتموني بأن قلت لكم عند اشْفاقى عليكم ان للْغنَى لَسُكْرًا وللمال لَنَزْوة فمن لم يَحفظ الغنَى من سُكْره فقـد أضاعَه ومن لم يَرْتَبط المال بخَوف الفقر فقـد أهْمَله فعبتموني بذلك وقد قال زيد بن جَبَلة ليس أحد أقْصَر عقلا من غَنِيّ أمِنَ الفقر وسُكْرُ الغنى أكثرُ من سُكْرِ الخَمْر وقد قال الشاعر في يحيى بن خالد بن بَرْمَكَ

وهُوبُ تلادِ المالِ فيما يَنوبُه * مَنوعٌ اذا مامَنْعُه كان أحْزَما

وعبتمونى حين زعمتم أنى أقدّم المالَ على العلْم لأنّ المالَ به يُفادُ العلم وبه تقوم النفس قبلَ أن تَعْرِف فَضْلَ العلم فهو أصل والاصل أحقّ بالتفضيل من الفَرْع فقلتم كيف هذا وقد قيل لرئيس الحكماء الأغنياءُ أفضلُ أم العُلَماء قال العلماء قيل له فما بالُ العلماء يأتون أبوابَ الاغنياء أكثر ما يأتى الاغنياء أبوابَ العلماء قال ذلك لمعرفة العلماء بفضْل المال وجَهْل الاغنياء بحقّ العلم فقلتُ حالُهما هى القاضية بينهما وكيف يَسْتَوى شئٌ حاجَةُ العامّة اليه وشئٌ يُغْنى فيه بَعْضُهم عن بعض وكان النبى صلى الله عليه وسلم يأمر الاغنياء باتّخاذ الغَنَم والفقراء باتخاذ الدّجاج وقال أبو بكر رضى الله عنه انى لأُبْغض أهلَ بَيْتٍ يُنْفقُون نَفَقَة الايّام فى اليَوْم الواحد وكان أبو الأسْود الدُّؤَلى يقول لولده اذا بَسَط اللهُ لك الرزْق فابْسُطْ واذا قَبَضَ فاقْبِضْ وعبتمونى حين قلتُ فَضْل الغنَى على القوت انما هو كفضل الآلَة تكون فى البَيْت اذا احْتيج اليها اسْتُعْمِلَت وان استغنى عنها كانت عُدّة وقد قال الحُصَين بن المُنْذر وَدِدْتُ أنّ لى مثل أُحُد ذَهَبًا لاأنْتفع منه بشئٍ قيل له فما كنتَ تَصْنَع به قال لكثرة من كان يَخْدُمُنى عليه لانّ المالَ مَخْدوم وقد قال بعض الحكماء عليك بطلب الغنَى فلو لم يكن فيه الا أنه عزٌّ فى قلبك وذلٌّ

فى قلب عدوك لكان الحظ فيه جسيما والنفع فيه عظيما ولسنا ندع سيرة الانبياء وتعليم الخلفاء وتأديب الحكماء لأصحاب اللهو ولستم على تردون ولا رأيى تفندون فقدموا النظر قبل العزم وأدركوا مالكم قبل أن تدركوا ما لكم والسلام عليكم

وكتب الجاحظ الى بعض اخوانه فى ذم الزمان

بسم الله الرحمن الرحيم

حفظك الله حفظ من وفقه للقناعة واستعمله بالطاعة كتبت اليك وحالى حال من كثفت غمومه وأشكلت عليه أموره واشتبه عليه حال دهره وتحرج أمره وقل عنده من يثق بوداده أو يتحمد مغبة اخائه لاستحالة زماننا وفساد أيامنا ودولة أنذالنا وقدما كان من قدم الحياء على نفسه وحكم الصدق فى قوله وآثر الحق فى أموره ونبذ المشتبهات عليه من شؤونه تمت له السلامة وفاز بوفور حظ العافية وحمد مغبة مكروه العاقبة فنظرنا اذ حال عندنا حكمه وتحولت دولته فوجدنا الحياء متصلا بالحرمان والصدق آفة على المال والقصد فى الطلب بترك استعمال القحة واخلاق العرض من طريق التوكل دليلا على سخافة الرأى اذ صارت الحظوة الباسقة والنعمة السابغة فى لؤم المشيئة وسناء الرزق من جهة محاشاة الرخاء وملابسة معرة العار ثم نظرنا فى تعقب المتعقب

لقولنا والكاشر لحجتنا فأقمنا له علما واضحا وشاهدا قائما ومنارا بينا اذ وجدنا من فيه السفولية الواضحة والمثالب الفاضحة والكذب المبرح والخلف المصرح والجهالة المفرطة والركاكة المستخفة وضعف اليقين والاستنبات وسرعة الغضب والجراءة قد استكمل سروره واعتدلت أموره وفاز بالسهم الأغلب والحظ الأوفر والقدر الرفيع والجواز الطائع والأمر النافذ ان زل قيل حكم وان أخطأ قيل أصاب وان هذى فى كلامه وهو يقظان قيل رؤيا صادقة من نسمة مباركة فهذه حجتنا والله على من زعم انّ الجهل يخفض وانّ النوك يردى وانّ الكذب يضر وأنّ الخلف يزرى ثم نظرنا فى الوفاء والامانة والنبل والبلاغة وحسن المذهب وكمال المروءة وسعة الصدر وقلة الغضب وكرم الطبيعة والفائق فى سعة علمه والحاكم على نفسه والغالب لهواه فوجدنا فلان بن فلان ثم وجدنا الزمان لم ينصفه من حقه ولا قام له بوظائف فرضه ووجدنا فضائله القائمة له قاعدة به فهذا دليل أنّ الطلاح أجدى من الصلاح وأن الفضل قد مضى زمانه وعفت آثاره وصارت الدائرة عليه كما كانت الدائرة على ضده ووجدنا العقل يشقى به قرينه كما أنّ الجهل والحمق يحظى به خدينه ووجدنا الشعر ناطقا على الزمان ومخبرا عن الايام حيث يقول

تحامق مع الحمقى اذا مالقيتهم * ولافهم بالجهل فعل أخي الجهل
وخلط اذا لاقيت يوما مخلطا * يخلط في قول صحيح وفي هزل
ذا رأيت المرأ يشقى بعقله * كما كان قبل اليوم يسعد بالعقل

فبقيت أبقاك الله مثل من أصبح على أوفاز ومن النقلة على جهاز لايسوغ له نعمة ولا تطعم عينه غمضة في أهاويل يباكره مكروهها ويراوحه عقابيلها فلو أن الدعاء أجيب والتضرع سمع لكانت العدة النظمى والرجفة الكبرى فليت أي أخي ماأستبطئه من النفخة ومن فجأة الصيحة قضي فحان وأذن به فكان فوالله ماعذبت أمة برجفة ولا ريح ولا سخطة عذاب عيني برؤية المغايظة المذمنة والاخبار المهلكة كأن الزمان يوكل بعذابي أو ينصب بأيامي فما عيش من لايسر بأخ شفيق ولا يصطبح في أول نهاره الا برؤية من يكرهه ويغمه بطلعته فقد طالت الغمة وواظبت الكربة واداهمت الظلمة وخمد السراج وتباطأ الانفراج

وكتب الجاحظ الى محمد بن عبد الملك يستعطفه

بسم الله الرحمن الرحيم

أعاذك الله من سوء الغضب وعصمك من سرف الهوى وصرف ماعارك من القوة الى حب الانصاف ورجح في قلبك ايثار الأناة فقد خفت أيدك الله أن أكون عندك من المنسوبين الى ترق السفهاء ومجانبة

سُبُل الحُكماء وبعد فقد قال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت

وانّ امْرَأً أمْسَى وأصْبَحَ سالما * من الناس الا ماجَنَى لَسَعيد

وقال الآخر

ومَن دَعا النـاسَ الى ذَمّه * ذَموه بالحقّ وبالباطـــل

فان كنتُ اجْتَرَأْت عليـكَ أصْلَحَكَ الله فلم أجْـتَرِئْ الا لأنّ دوامَ تَغافُلكَ عَنّى شَبيهٌ بالاهمال الذى يورث الاغْفال والعفوُ المُتتابع يُؤْمن من المكافأة ولذلك قال عُيَيْنَة بن حِصْن بن حُذَيفة لعُثمان رحمه الله عُمَر كان خَيْرًا لى منـكَ أرْهَبَنى فاتّقَـانى وأعطانى فأغنـانى فان كنتَ لاتَهَبُ عقابى أيّدكَ الله لخدْمة فَهَبْه لأياديكَ عندى فانّ النعمةَ تَشْفَع فى النقْمة والا تفعلْ ذلكَ لذلكَ نَعُـد الى حُسْن العـادة والا فافعلْ ذلكَ لحُسْن الأُحْدوثة والا فأنْت ماأنتَ أهـلُه من العفو دون ماأنا أهلهُ من استحقاق العُقُوبة فسـبحانَ مَن جعلكَ تَعْفُو عن المُتَعَمّد وتتجـافَى عن عقاب المُصرّ حتى اذا صِرْتَ الى مَن هَفْوَتُه ذكْر وذَنْبُه نسْـيان ومَن لايَعرف الشّكر الا لكَ والانعام الا منكَ هَجمْتَ عليـه بالعُقُوبة واعلَمْ أيدكَ الله أنّ شَيْنَ غضـبكَ عَلَى كَزَيْن صَفْحكَ عنى وأنّ مَوْتَ ذكْرى مع انقطاع سَبَبى منكَ كحَياة ذكرِكَ مع اتّصال سَبَبى بكَ واعلم أنّ لكَ فِطْنَةَ عَليم وغَفْلَةَ كريم والسلام

وصف الجاحظ لقريش وبني هاشم

قد عَلِم الناس كيف كَرَم قُرَيش وسَخاؤها وكيف عُقولها ودَهاؤها وكيف رأيُها وذكاؤها وكيف سياستُها وتدبيرها وكيف ايجازها وتحْسيرها وكيف رَجاحة أحْلامها اذا خَفّ الحليم وحدّة أذهانها اذا كلّ الحديد وكيف صَبرُها عند اللقاء وثباتُها فى اللأْواء وكيف وفاؤها اذا استُحْسن الغَدْر وكيف جودُها اذا حُبَّ المالُ وكيف ذكْرُها لأحاديث غَد وقلّة صُدودها عن جهة القَصْد وكيف اقْرارُها بالحقّ وصَبْرُها عليه وكيف وصْفُها له ودُعاؤها اليه وكيف سَماحَة أخلاقها وصَوْنُها لأعْراقها وكيف وصَلوا قديمَهم بحَديثهم وطَريقَهم بتَليدهم وكيف أشْبَه عَلانيتَهم سِرُّهم وقولَهم فعلُهم وهل سلامة صدر أحدهم الا على قدر بُعد غَدره وهل غَفْلَتُه الا فى وزن صِدْق ظَنّه وهل ظَنُّه الا كيَقين غيره

دُرّتا زَيْن لمُرّتَيْ عَيْن

حكى عن محمد بن عبدالرحمن الهاشمى قال كانت عَتّابة أُمّ جعفر ابن يحيى تَزُور أُمّى وكانت لبيبة من النساء حازمة فصيحة بَرْزة يُعْجبُنى أن أجِدَها عند أمى فأستَكْثر من حديثها فقلت لها يوما ياأم جعفر ان بعض الناس يُفَضّل جعفرا على الفضل وبعضهم يفضل الفضل على جعفر فأخبرينى فقالت مازلْنا نَعْرف الفضل للفضل فقلت ان

أكثر الناس على خلاف هذا فقالت هاءنا أُحَدِّثُكَ واقْضِ أنتَ وذلكَ الذى أردتُ منها فقالتْ كانا يوما يلعبان فى دارى فدخل أبوهما فدعا بالغذاء وأحْضَرَهما فَطَعِما مَعه ثم آنَسَهُما بحديثه ثم قال لهما أتلعبان بالشَّطْرَنْج فقال جعفر وكان أجْرَأهما نعم قال فهل لاعَبْتَ اخالكَ بها قال جعفر لا قال فالْعَبا بها بينَ يَدَىّ لأرَى لمَن الغَلَب فقال جعفر نعم وكان الفضل أبْصَرَ منه بها فجىء بالشطرنج فَصُفَّتْ بينهما وأقبلَ عليها جعفر وأعْرَض عنها الفضل فقال له أبوه مالَكَ لاتُلاعب أخالكَ فقال لا أُحبّ ذلكَ فقال جعفر انه يَرَى أنه أعلمُ بها فيأنَفُ من مُلاعَبَتى وأنا ألاعبُه مُخاطَرَةً فقال الفضل لا أفعل فقال أبوه لاعبْه وأنا مَعَكَ فقال جعفر رضيتُ وأبَى الفضل واستعفَى أباهُ فأعْفاه ثم قالت لى قد حَدَّثْتُكَ فاقْضِ فقلتُ قد قَضَيْتُ للفضل بالفضل على أخيه فقالت لو عَلِمْتَ أنكَ لاتُحْسِن القضاءَ لَمَا حَكَّمْتُكَ أفلا ترى أنّ جعفرا قد سَقَط أربَع سَقَطات تَنَزَّه الفضل عنهنّ فَسَقَط حين اعترفَ على نفسه بانه يَلْعب بالشطرنج وكان أبوه صاحبَ جِدّ وسقط على الْتزام مُلاعَبة أخيه واظْهار الشَّهْوة لغَلَبه والتَعَرُّض لغَضَبه وسقط فى طلب المُقامَرة واظهار الحِرْص على مال أخيه والرابعة فاصِمَة الظَهْر حين قال أبوه لأخيه لاعِبْه وأنا معكَ فقال أخوه لا وقال هو نعم فَناصَبَ صَفًّا فيه أبوه وأخوه

فقلتُ أحسنْت والله وانكَ لأقْضَى من الشَّعْبِيّ ثم قلت لها عَزَمْتُ عليكِ أخبرينى هل خَفِى مثْلُ هذا على جعفر وقد فَطَن له أخوه فقالت لولا العزيمة لما أخْبَرْتُكَ انّ أباهُما لمّا خرج قلت للفضل خاليةً به ماَمَنَعكَ من ادْخال السُرور على أبيكَ بمُلاعبة أخيكَ فقال أمْران أحدُهما لو أنى لاعَبْتُه لَغَلَبْتُه فأخْجَلْتُه والثانى قول أبى لاعبْه وأنا معكَ فما يَسُرّنى أن يكون أبى معى على أخى ثم خَلَوْت بجعفر فقلت له يسأل أبوكَ عن اللعب بالشطرنج فَيَصْمُت أخوكَ وتعترف وأبوكَ صاحب جدّ فقال انى سَمِعْت أبى يقول نعْم لَهْوُ البال المَكْدُود وقد عَلِم ماتَلْقاه من كدّ التَعَلُّم والتأدُّب ولم آمَن أن يكون بَلَغَه أنّا نَلْعَب بها ولا أن يُبادر فَيُنْكر فبادرْت بالاقْرار اشْفاقا على نفسى وعليه وقلتُ ان كان تَوْبيخ فَدَيْتُه من المُواجَهة به فقلتُ له يابنىّ فَلِمَ تقول أُلاعبُه مُخاطرةً كأنكَ تُقامر أخالكَ وتستكثر ماله فقال كَلّا ولكنه يَسْتَحْسن الدَواة التى وهَبَها لى أميرُ المؤمنين فَعَرَضْتُها عليه فأبَى قبولَها وطَمِعْت أن يُلاعبَنى فأُخاطره عليها وهو يَغْلبُنى فَتَطيب نفسُه بأخْذها فقلت لها ياأُمّاه ما كانت هذه الدواة فقالت انّ جعفرا دَخل على أمير المؤمنين فرأى بين يديه دواة من العقيق الاحمر مُحَلاة بالياقوت الازرق والاصفر فرآه يَنْظُر اليها فَوَهَبها له فقلت ايه فقالت ثم قلت لجعفر هَبْكَ اعتذَرْت بما سمعتُ

فما عُذْرُكَ من الرضا بمُناصَبَة أبيك حين قال لاعبْه وأنا معك فقلتَ أنتَ نَعَمْ وقال هو لا فقال عَرَفْت انه غالبُني ولو فتر لَعِبُه لتغالبتُ له مع مالَه من الشَّرَف والسُّرور بتحيُّز أبيه اليه قال محمد بن عبدالرحمن فقلت بَخٍ بَخٍ هذه والله السيادة ثم قلت لها ياأُمّاه أكان منهما مَن بَلَغ الحُلُم فقالت يابنيّ أين يُذْهَب بك أُخْبِرُكَ عن صَبيَّيْن يَلْعَبان فتقول أكان منهما من بلغ الحلم لقد كنا نَنْهى الصَّبيّ اذا بَلَغ العَشْر وحَضَر من يُسْتَحيى منه أن يَبْتَسم

دُرَّتا زَيْنٍ لقُرَّتَيْ عَيْن

يحكى أنّ الفضل بنَ سهل أرسلَ وَهْب بن سعيد الى فارس مُحاسبًا لعُمّالها فَبَلَغَه أنه خانَ فَعَزَله وسَخط عليه وبعث به الى أخيه الحَسَن ابن سهل لينظر فى أمره فأحسّ وهب بن سعيد بالشّر فأوصى الى رَجل من أهل واسطَ ثقةٍ مُوسرٍ يَتَحَرَّف بالجزارة ويَتَّجر فى الجُلود فأعطاهُ مالا عظيما وضَمّ اليه وَلَدَيْه الحَسَنَ وسليمان وهما صغيران ثم توجَّه وهبُ الى بَغْداد فَغَرق وهَلَكَ غَرَقًا فلما بلغ ذلكَ الوصيَّ أخبر به الغُلامَيْن وقال اختارا حرفةً تَحْتَرفان بها وان اخترتُما الجزارةَ وبيعَ الجُلود بَصَّرْتكما بذلكَ ولكما عندى مالٌ سأشترى لكما به ضِياعًا تَسْتَظْهران بها على أحْداث الزمان فقالا مالَنا ولحَرف العوامّ وصناعاتهم وانما حرفة أمثالنا

جَزْر أعناق الرّجال فى القَراطيس فَسمع الجزار كلامًا لاعَهْد له بسَماع مثله فَنَبَّههما الوصىّ ورأى بَرًّا ليس من سوقه فضمّ اليهما مَن يؤدّبهما ويُصْلح من شأنهما فلما اشتدّا قالا لوصيّهما انّ واسطَ لاتَنى لنا بما نَرومه من العلْم ونُؤَمّله من الرّآسة فقال لهما الوصى انّ مثلَكما لايُوَلّى عليه فَرُانى بأمْركما أُطِعْ فقالا له جَهّزْنا الى مُعْتَرَض العلماء ومستقرّ الخلفاء فجهزهما الى بَغْداد ودَفع اليهما من المال ما أحبّاه وذَكر الصُولى أنه دفع اليهما مالَهُما كلَّه فلما صارا الى بغداد نالا ما أمّلا من الرآسة والعلم ثم كتبا معًا فى دار المأمون فى حال غُلُوميّتهما وصغَر سنّهما ورأى المأمون يوما أحدَهما فى الدار يمشى فقال له من أنتَ ياغلام فقال أنا الناشئ فى دولَتك المُعْتَذى بنعمتك المكرَّم بخدْمتك عبدُك وابن عبدك سليمان ابن وهب فقال المأمون أحسنتَ ياغلام ثم ان المأمون دعا سليمان ابن وهب وهو غلام فأمرَه أن يكتُب بين يديه كتابا لم يبلُغْ قدرُه أن يكتُبَ مثلَه فحرّره على ما أراد المأمون على أحْسَنِ خطّ وأصح ضَبْطٍ وأسهل لفظ وأجود معنًى فَسُرّ به المأمون سرورا ظهر عليه فلما خرج سليمان كتب اليه بعض اخوان أبيه يقول

أبولَكَ كَلَفَكَ الشأو البعيد كما * قدْمًا تكلّفه وهْبُ أبو حَسَنِ
فلستَ تُحْمد ان أدركتَ غايتَه * ولستَ تُعْذَر مسبوقا فلا تَهِنِ

ولم تزل أمورهما تنمى حتى نالا الوزارة وحكى أنّ ابن يزيد بن محمد المُهَلَّبي وفَد على سليمان بن وَهْب حين استُوزر فَسُرَّ به وعَرف له فضلَه وأجْلَسَه الى جانبه فأنشده قولَه

وَهَبْتم لنا يا آل وَهْب مَوَدَّةً * فأبقتْ لنا مالًا ومجدًا يُؤَثَّل
فمن كان للآثام والذُّلّ أرضُه * فأرضُكمُ للاجْر والعزّ مَنْزل
رأى الناسُ فوقَ المجد مقدارَ فضلكم * فقد سألوكم فوق ما كان يُسْئل
يُقَصّر عن مَسعاتكم كلُّ آخرٍ * وما فاتكم ممن تقدَّم أوّل
بلغتُ الذى قد كنتُ آمُلُه لكم * وان كنت لم أبلُغ بكم ما أؤمّل

فقطَع عليه سليمانُ انشادَه وقال لاتقل ذلك أصلحك الله وانك عندى كما أنشدنى عمارةُ بنُ عَقيل بن بلال بن جَرير حيث قال

أُقَهْقِهُ مسرورا اذا أنتَ سالمٌ * وأبكى من الاشواق حين تغيب

فقال له المُهَلَّبي فليَسمع الوزير من آخر الشعر ما يَحْقِر أوّله فقال هات فانشأ يقول

ومالى حقٌّ واجب غيرَ أننى * بجودكمُ فى حاجتى أتوسّل
وانكمُ أفضلتمُ وبرزتمُ * وقد يَسْتَتِمُّ النعمةَ المتفضل
وأوليتمُ فعلا جميلا مقدّما * فعودوا فانّ العود بالخيرِ أجملُ
فكم مُلْحِفٍ قد نال مارام منكمُ * ويمنعُنا عن مثل ذالكَ التجمُّل

وعوّدتمونا قبلَ أن نسألَ الغنَى * ولا وجه للمعروف والوجهُ يُبْذَلُ

فقال سليمان والله لاتبرح حتى أقضي حوائجك كائنةً ما كانت ولولم أفد مما أنالني أمير المؤمنين الا شكرك لرأيت بذلك جنابي مُمرعا وزرعي مُرتعا ثم وقع له في رقاع كثيرة كانت معه بجميع ماأراد

وقال أبو الطيّب يمدح أبا شُجاع فاتكًا

وكان يلقب بالمجنون

لاخيلَ عندكَ تُهديها ولامالُ * فليُسعد النُطْقُ ان لم تُسعد الحالُ

واجْزِ الاميرَ الذي نُعماهُ واجبةٌ * بغير قول ونُعمَى الناس أقوالُ

فربما جَزَت الاحسانَ مُوليَه * خَريدةٌ من عَذارى الحَيّ مكسالُ

وان تكن مُحكماتُ الشكل تمنعني * ظهورَ جَرْي فلي فيهنّ تَصْهال

وما شَكَرْتُ لأنّ المالَ فَرَّحَني * سيّان عندي اكثارٌ وإقلال

لكن رأيتُ قبيحًا أن يُجادَلنا * وأننا بقضاء الحق بُخّال

فكنتُ مُنبتَ رَوْضِ الحَزْنِ باكرَه * غيثٌ بغير سباخ الارض هَطّال

غيثٌ يُبَيّن للنُظّار موقعُه * أنّ الغُيوثَ بما تأتيه جُهّال

لايُدرِكُ المجدَ الاّ سَيّدٌ فَطِنٌ * لِمَا يَشُقّ على السّادات فَعّال

لا وارثُ جَهلتْ نُعماه ماوهبتْ * ولا كسوبٌ بغير السيف سَئّال

قال الزمانُ له قولا فأفهمه * أنّ الزمان على الامساكِ عَذّال

تدرى القنـاةُ اذا اهتزّت براحته * أنّ الشّقيّ بها خيـــلٌ وأبطال
كفاتكٌ ودُخول الكاف مَنْقَصَةٌ * كالشمس قُلْتُ ومالِلشمس أمثال
القائدُ الأسْـدَ غَذّتْها بَرائنُـــه * بمثْلها من عداهُ وهى أشْـــبال
القاتل السيفَ فى جسم القتيل به * وللسُّـــيوف كما للناس آجالُ
تَغـير عنه على الغارات هَيْبَتُـه * ومالَهُ بأقاصى البِـرّ أهْـمَال
له من الوَحْش ما اختارت أسنّتُه * عَـــيْرٌ وهَيْقٌ وخَنْسـاءُ وذَيّال
تُمسى الضُّـيُوف مُشَهّاةً بعَقْوَته * كأن أوقاتها فى الطيب آصال
لو اشـتهتْ لَحْمَ قاريها لَبـادَرها * خَرَاذلٌ منه فى الشِيزَى وأوْصال
لا يعرف الرُّزْءَ فى مال ولا ولد * الا اذا احتفز الضـيفانَ تَرْحال
يُرْوِى صَدَى الارض من فَضْلات ما شَربوا
مَحْضُ اللِّقَـــاح وصَافى اللَّون سَلْسال
تَقْرى صَوَارِمُه الساعاتِ عَبْطَ دَم * كأنما السّاعُ نُزّال وقُفّال
تجرى النفوس حوالَيْـه مُخَلّطةً * منها عُـــدَاةٌ وأغنامٌ وآبالُ
لا يُحْرِم البعدُ أهلَ البعد نائلَه * وغيرُ عاجزة عنـــه الأُطَيْفَال
أمضَى الفريقين فى أقرانه ظُبَةً * والبيضُ هاديةٌ والسُّمْرُ ضُـلّال
يُريكَ مَخْـبَرُه أضعافَ مَنْظَره * بين الرجال وفيها الماء والآل
وقد يُلَقّبُه المجنونَ حاسِـدُه * اذا اختلطْنَ وبعضُ العقل عُقّال

يَرْمى بها الجيشَ لابدٌّ لَهُ ولها * من شَقّه ولو انّ الجيشَ أجبال
اذا العدَى نَشِبَت فيهم مَخالبُـه * لم يَجْتَمِـع لهـم حِلمٌ وريبال
يَروعُهم منـه دهرٌ صَرْفُه أبدًا * مُجاهِرٌ وصُروف الدهر تَغْتال
أنا له الشرفَ الأعلى تَقَدُّمُه * فَما الذى بتَوَقّى ما أتَى نالُوا
اذا المُلوكُ تحلّت كان حليتَـه * مُهَنَّـدٌ وأصَمُّ الكعب عَسّال
أبو شجاع أبو الشُّجْعان قاطبةً * هَوْلٌ تَمَتْـه من الهَيجاء أهوال
تَمَلَّكَ الحمـدَ حتى ما لمُفْتَخِر * فى الحمـد حاءٌ ولا ميمٌ ولا دال
عليه منـه سرابيلُ ضاعفةٌ * وقد كفاه من المأذىّ سِرْبال
وكيف أسْتُرُما أولَيْتَ من حَسَنٍ * وقد غمرتَ نَوالا أيُّها النّال
لَطَّفْتَ رأيَكَ فى بِرّى وتكرمتى * انّ الكريم على العَلْياء يَحْتال
حتى غـدوتَ وللاخبار تَجْوال * وللكواكب فى كفّيـكَ آمال
وقد أطالَ ثَنائى طُولُ لابسه * انّ الثناء على التِنْبال تِنْبال
ان كنتَ تكْبُرأن تختال فى بَشَرٍ * فانّ قدرَكَ فى الأقدار يختال
كأنّ نفسكَ لاتَرْضـاكَ صاحبَها * الا وأنتَ على المفضال مفضال
ولا تَعُـدّكَ صَـوّانا لمهجتها * الا وأنت لها فى الرَّوْع بَذّال
لولا المَشَـقّة ساد الناسُ كلُّهـم * الجودُ يُفقِر والاقْـدام قَتّال
وانما يَبْلغ الانسانُ طاقتَـه * ما كُلُّ ماشِـيَةٍ بالرِّجْل شِمْلال

انا لفى زمن ترك القبيح به * من أكثر الناس احسان واجمال
ذكر الفتى عمره الثانى وحاجته * ماقاته وفضول العيش أشغال

قال أبو الطيب المتنبى يرثى أبا شجاع فاتك

الحزن يقلق والتجمل يردع * والدمع بينهما عصى طيع
يتنازعان دموع عين مسهد * هذا يجىء بها وهذا يرجع
النوم بعد أبى شجاع نافر * والليل مغمض والكواكب طلع
إنى لأجبن من فراق أحبتى * وتحس نفسى بالحمام فأشجع
ويزيدنى غضب الأعادى قسوة * ويلم بى عتب الصديق فأجزع
تصفو الحياة لجاهل أو غافل * عما مضى منها وما يتوقع
ولمن يغالط فى الحقائق نفسه * ويسومها طلب المحال فتطمع
أين الذى الهرمان من بنيانه * ما قومه ما يومه ما المصرع
تتخلف الآثار عن أصحابها * حينا ويدركها الفناء فتتبع
لم يرض قلب أبى شجاع مبلغ * قبل الممات ولم يسعه موضع
كنا نظن دياره مملوءة * ذهبا فمات وكل دار بلقع
واذا المكارم والصوارم والقنا * وبنات أعوج كل شئ يجمع
المجد أخسر والمكارم صفقة * من أن يعيش بها الكريم الأروع
والناس أنزل فى زمانك منزلا * من أن تعاينهم وقدرك أرفع

بَرِّد حشاىَ ان استطعتَ بلفظة * فلقد تَضُرّ اذا تشاء وتَنفع

ما كان منكَ الى خليلٍ قبلها * ما يُستَراب به ولا ما يُوجع

ولقد أرالكَ وما تُلِمّ مُلِمّةٌ * الا نفاها عنكَ قلبٌ أصْمَع

ويدٌ كأنّ قتالها ونوالها * فرضٌ يَحُقّ عليكَ وهو تبرّع

يامَن يُبدّل كل يومٍ حُلّةً * أنّى رضيتَ بحُلّةٍ لا تُنزَع

مازلتَ تخلعها على مَن شاءها * حتى لبستَ اليومَ مالا تخلع

مازلت تدفع كل أمرٍ فادحٍ * حتى أتى الامرُ الذى لا يُدفَع

فظللتَ تنظر لارماحكَ شُرَّعٌ * فيما عراكَ ولا سيوفكَ قُطَّع

بأبى الوحيدَ وجيشُه متكاثرٌ * يبكى ومن شَرّ السلاح الأدمع

واذا حصلتَ من السلاح على البكا * فَلَشالُ رُعتَ به وخَدلٌ تقرع

وصلتْ اليكَ يدٌ سواءٌ عندها * ألبازُ الأشهبُ والغرابُ الأبقع

مَن للمحافل والخوافل والسُّرَى * فقدتْ بفقدكَ نيّرا لا يطلع

ومَن اتخذتَ على الضُّيوف خليفةً * ضاعوا ومثلُكَ لا يكاد يُضيّع

قُبحًا لوجهكَ يا زمانُ فانه * وجهٌ له من كل لُؤمٍ بُرقُع

أيموت مثلُ أبى شُجاعٍ ذا ندًى * ويعيش حاسدُه الخصىُّ الأوكع

أيدٍ مُقطّعةٌ حوالَى رأسه * وقفًا يصيح بها ألا مَن يصفع

أبقيتَ أكذبَ كاذبٍ أبغيتَه * وأخذتَ أصدقَ من يقول ويسمع

وتركت أنتن ريحة مذمومة * وسلبت أطيب ريحة تتضوّع
فاليوم قرّ لكل وحش نافر * دمه وكان كأنه يتطلّع
وتصالحت تمر السياط وخيله * وأوت اليها سوقها والأذرع
وعفا الطراد فلا سنان راعف * فوق القناة ولا حسام يلمع
ولّى وكلّ مخالم ومنادم * بعد اللزوم مشيّع ومودّع
من كان فيه لكل قوم ملجأ * ولسيفه فى كل قوم مرتع
إن حلّ فى فرس ففيها ربّها * كسرى تذلّ له الرقاب وتخضع
أو حلّ فى روم ففيها قيصر * أو حل فى عرب ففيها تبّع
قد كان أسرع فارس فى طعنة * فرسا ولكنّ المنيّة أسرع
لاقلّبت أيدى الفوارس بعده * رمحا ولا حملت جوادا أربع

وللمتنبى يمدح سيف الدولة ويذكر بناءه قلعة الحدث

على قدر أهل العزم تأتى العزائم * وتأتى على قدر الكرام المكارم
ويعظم فى عين الصغير صغارها * وتصغر فى عين العظيم العظائم
يكلف سيف الدولة الجيش همّه * وقد عجزت عنه الجيوش الخضارم
ويطلب عند الناس ماعند نفسه * وذلك مالا تدّعيه الضراغم
يقدّى أتمّ الطير عمرا سلاحه * نسور الملا أحداثها والقشاعم
وما ضرّها خلق بغير مخالب * وقد خلقت أسيافه والقوائم

هل الحدث الحمراء تعرف لونها * وتعلم أى الساقيين الغمائم
سقتها الغمام الغر قبل نزوله * فلما دنا منها سقتها الجماجم
بناها فأعلى والقنا تقرع القنا * وموج المنايا حولها متلاطم
وكان بها مثل الجنون فأصبحت * ومن جثث القتلى عليها تمائم
طريدة دهر ساقها فردتها * على الدين بالخطى والدهر راغم
تفيت الليالى كل شئ أخذته * وهن لما يأخذن منك غوارم
وكيف ترجى الروم والروس هدمها * وذا الطعن آساس لها ودعائم
وقد حاكموها والمنايا حواكم * فما مات مظلوم ولا عاش ظالم
أولئك يحرون الحديد كأنهم * سروا بجياد مالهن قوائم
اذا برقوا لم تعرف البيض منهم * ثيابهم من مثلها والعمائم
خميس بشرق الارض والغرب زحفه * وفى أذن الجوزاء منه زمازم
تجمع فيه كل لسن وأمة * فما تفهم الحداث الا التراجم
فلله وقت ذوب الغش ناره * فلم يبق الا صارم أو ضبارم
تقطع مالا يقطع الدرع والقنا * وفر من الابطال من لا يصادم
وقفت وما فى الموت شك لواقف * كأنك فى جفن الردى وهو نائم
تمر بك الابطال كلمى هزيمة * ووجهك وضاح وثغرك باسم
تجاوزت مقدار الشجاعة والنهى * الى قول قوم أنت بالغيب عالم

ضَمَمْتَ جَنَاحَيْهِم على القلب ضَمَّةً * تَمُوتُ الخَوافِي تحتَها والقوادم

بضَرْبٍ أتى الهامات والنصرُ غائب * وصار الى اللَّبَّات والنصرُ قادم

حَقَرْتَ الرُّدَيْنِيَّات حتى طرحتَها * وحتى كأنّ السيف للرُّمح شاتم

ومَن طلبَ الفتحَ الجليلَ فانما * مفاتيحُه البيضُ الخفافُ الصوارم

تَنَرْتَهُمُ فوق الأَحَيْدبِ نَثْرَةً * كما نُثرت فوق العَروس الدراهم

تَدُوسُ بك الخيلُ الوُكورَ على الذُّرَى * وقد كُثِرَتْ حولَ الوُكور المَطَاعم

تَظُنّ فِراخُ الفَتْخ أنكَ زُرْتَها * بأُمَّاتها وهي العِتاق الصَّلادم

اذا زَلِقَتْ مَشْيَتُها ببطونها * كما تتمشّى فى الصَّعيد الأراقم

أفى كل يوم ذا الدُّمُسْتُقُ مُقْدِم * قفاهُ على الاقدام للوجه لائم

أيُنْكِر ريحَ الليث حتى يَذُوقَه * وقد عَرَفَتْ ريحَ الليوث البهائم

وقد جَمَعَتْه بابْنِه وابن صِهْره * وبالصِّهر جَحْلات الأمير الغواشم

مَضَى يَنْكُر الاصحابَ فى فَوْته الظُّبا * بما شَغَلَتْها هامُهم والمعاصم

ويَفْهَم صوتَ المَسْرَفيّة فيهمُ * على أنّ اصواتَ السُّيوف أعاجم

يُسَرُّ بما أعطاكَ لا عن جَهالَةٍ * ولكنّ مَغْنوما نَجا منكَ غانم

لكَ الحمدُ فى الدُّرِّ الذى لى لَفْظُه * فانكَ مُعْطيه وانىَ ناظم

وانى لَتَعْدو بى عطاياكَ فى الوَغَى * فلا أنا مذموم ولا أنت نادم

على كلّ طيّار اليها برِجْله * اذا وقعَت فى مَسْمَعَيْه الغماغم

ألا أيها السيف الذى لستَ مُغْمَدًا * ولا فيكَ مُرْتَابٌ ولا منكَ عاصم
هنيئًا لضرب الهام والمجد والعُلا * وراجيكَ والاســـلام أنكَ سالم
ولم لا يَقِى الرحمنُ حَـدّيكَ ما وَقَى * وتَفْليقُـــه هامَ العِدَى بكَ دائم

بعض حكم المتنبى

ذَلّ مَن يَغْبِطُ الذليلَ بعَيْشٍ * رُبَّ عَيْشٍ أخَفّ منه الحِمام
كل حِلْمٍ أتى بغير اقْتِدار * حُجّـــةٌ لاجئٌ إليها اللئام
مَن يَهُنْ يَسْهُل الهوان عليه * ما لِجُـــرْحٍ بمَيّتٍ إيلام

وقال أيضا

أفاضِلُ الناس أغراضٌ لِذَا الزَمَن * يَخْلو من الهَمّ أخْلاهُمْ من الفِطَن

وقال أيضا

واذا أتَتْكَ مَذَمّتى من ناقِصٍ * فهى الشهادةُ لى بأنّى كامل

وقال أيضا

ومَن يُنْفِق السّاعاتِ فى جَمْعِ مالِه * مخافةَ فَقْرٍ فالذى فَعَـــل الفقر

وقال أيضا

ومن نَكَدِ الدنيا على الحرّ أن يَرَى * عَـدُوًا له ما من صَـــداقته بُدّ
وأُكْبِرُ نفسى عن جَزاءِ بغيبـــةٍ * وكلُّ اغتيابٍ جُهْدُ مَن لاله جُهْد

وقال أيضا

من الحلم أن تستعمل الجهلَ دونهَ * اذا اتَّسعَت فى الحلم طُرْقُ المظالم

وقال أيضا

اذا لم تكن نفسُ النسيب كأصله * فماذا الذى تُغْنى كِرامُ المَناصب

وقال أيضا

والهَمّ يَخْتَرِم الجسيم نحافةً * ويُشيب ناصيةَ الصَّبىّ ويُهرِم

ذو العقل يَشْقَى فى النعيم بعقله * وأخو الجهالة فى الشقاوة يَنْعَم

لا يَسْلَمِ الشرف الرفيع من الاذَى * حتى يُراق على جوانبـــه الدَمُ

والظُلم من شِيَم النُفوس فان تجدْ * ذا عفّـــةٍ فلعـــلّةٍ لا يَظـــلِم

ومن البلية عَذْلُ مَن لا يَرْعَوِى * عن جهله وخطاب من لا يَفهم

والذُّلُّ يُظهِـر فى الذليـل مودّةً * وأودّ منـــه لِمَن يَوَدّ الأرْقَـم

ومن العَـداوة ما يَنـالُكَ نفعُـه * ومن الصَـداقة ما يَضُـرُّ ويؤلِم

وقال أيضا

يرى الجُبَناءُ أنّ العجز عقلٌ * وتلك خديعة الطبع اللئيم

وكُلُّ شَجاعةٍ فى المرء تَغْنَى * ولا مثلَ الشجاعة فى حكيم

وكم من عائبٍ قولا صحيحا * وآفَتُـه من الفهم السـقيم

وقال أيضا

والاسَى قبل فُرْقة الروح عجزٌ * والاسى لا يكون بعد الفراق

والغـنَى فى يد اللئيم قبيحٌ * قَدْرَ قُبْحِ الكريم فى الاملاق

وقال أيضا

واذا كانت النُفوس كِبارًا * تَعِبَتْ فى مُرادِها الاجسام

وقال أيضا

ولو كان النساء كَمَنْ فَقَدْنا * لَفُضِّلَتْ النساءُ على الرجال

وما التأنيث لاسمِ الشمس عَيْبٌ * ولا التذكيرُ فخرٌ للهـلال

فان تَفُق الانامَ وأنت منهم * فانّ المسكَ بعضُ دم الغزال

وقال أيضا

مَن كان فوقَ محل الشمس موضعُه * فليس يَرْفَعُـه شئٌ ولا يَضَـع

فقـد يُظَنّ شُجاعا مَن به خَرَقٌ * وقـد يُظَنّ جبانًا مَن به زَمَع

انّ السـلاحَ جميعُ الناس تحمِلُه * وليس كلُّ ذوات المخْلَب السبُع

وقال أيضا

وما الخَوْف الا ما تَخَوّفَه الفتى * ولا الأَمْن الا ما رآه الفتى أَمْنا

وقال أيضا

وحيدٌ من الخِلّان فى كل بلدة * بذا قضَت الايام مابين أهلها * مصائب

وقال أيضا

وفى ثَعَبٍ مَن يَحْسُدُ الشمسَ ضوءَها * ويَجْهَدُ أن يأتى لها بضريب

وقال أيضا

ومَن صَحِبَ الدنيا قليلا تقلَّبت * على عينه حتى يرى صدقَها كَذِبا
ومَن تَكن الأُسْد الضَّوارى جُدُودَه * يكن ليلُه صُبْحًا ومَطْعَمُه غَصْبا

وقال أيضا

أَعيذُها نظَراتٍ منكَ صادقةً * أن تَحْسَبَ الشحمَ فيمن شحمُه وَرَمُ
وما انتفاعُ أخى الدنيا بناظره * اذا استوت عنده الانوار والظُّلَمُ
اذا رأيتَ نُيوبَ الليث بارزةً * فلا تَظُنَّنَّ أنّ الليثَ يبتسم
وبيننا لو رعيتم ذاكَ معرفةٌ * انّ المعارفَ فى أهل النُّهى ذِمَم
شرُّ البلاد مكانٌ لاصديقَ به * وشرما يكسبُ الانسانُ مايَصم
وشر ماقَنَصَتْه راحتى قَنَصٌ * شُهْبُ البُزاة سواءٌ فيه والرَّخَم

وقال أيضا

لعلّ عَتْبَكَ محمودٌ عواقبُه * وربما صَحَّت الاجسام بالعلل
لانّ حِلْمَكَ حِلْمٌ لاتُكَلِّفُه * ليس التكحُّلُ فى العينين كالكحل

وقال أيضا

وليس يَصِحُّ فى الافهام شىءٌ * اذا احتاجَ النهارُ الى دليل

وقال أيضا

وما كَيْدُ الحسادِ شيءٌ قصـــدتُه * ولكنه مَن يَرْحَـــم البحرَ يَغْرَق

واطراقُ طرف العين ليس بنافعٍ * اذا كان طرفُ القلب ليس بمُطْرِق

وقال أيضا

أيدرى ما أرابكَ مَن يُريب * وهل تَرْقَى الى الفَلَكِ الخُطوب

وقال أيضا

وما قَتَـلَ الاحرارَ كالعفو عنهـم * ومَن لكَ بالحر الذى يَحْفظ اليَـدا

اذا أنتَ أكرمْتَ الكريمَ ملكتَه * وان أنت أكرمتَ اللئـــيمَ تَمَرَّدا

ووضْعُ النَدى فى موضع السيف بالعُلَى * مُضِرٌّ كوضْع السيف فى موضع الندى

وقال أيضا

وأتعبُ مَن ناداكَ مَن لا يُجيبه * وأغيظ مَن عاداكَ مَن لا تُشاكِل

وقال أيضا

على قَدْر أهل العَزْم تأتى العزائمُ * وتأتى على قدر الكرام المكارم

وقال أيضا

وما الحُسْنُ فى وجه الفتى شرفا له * اذا لم يكن فى فعـله والخـلائق

وما بلدُ الانسـان غـيرُ الموافق * ولا أهـلُه الأدْنَوْنَ غيرُ الاصادق

وقال أيضا

واذا لم تجدْ من الناس كفؤا * ذاتُ خِدْر تَمَنَّتِ الموتَ بعـلا

واذا الشـيخُ قال أُفٍّ فمَـلّ حياةً وانما الضَعْفَ مَـلّا
آلةُ العَيش صِحّـةٌ وشبابٌ * فاذا وَلّيـا عن المـرء ولّى

وقال أيضا

واذا ما خلا الجبـان بأرض * طلب الطعنَ وحْـدَه والنزالا
مَن أرادالتماسَ شئ غـلابًا * واغْتصابا لم يلتمسْه سُـؤالا
كـلُّ غادٍ لحاجَـةٍ يتمنى * أن يكون الغضـنفرَ الرِّئبالا

وقال أيضا

الرأىُ قبلَ شَجاعة الشُجعان * هو أولٌ وهى المحـلّ الثانى
ولربما طَعَن الفـتى أقرانَه * بالرأى قبل تَطاعُن الأقران
لولا العُقول لكان أدنى ضَيْغَم * أدنى الى شرفٍ من الانسان

وقال أيضا

وعادَ فى طَلَب المَثْرولةُ تاركُهُ * انا لَنَغْفُل والأيام فى الطلب
وما قَضى أحدٌ منها لُبانَتَـه * ولا انتهى أَرَبٌ الا الى أرب
ومن تَفَكّر فى الدنيا ومُهجتِه * أقامَه الفكر بينَ العَجْز والتعب

وقال أيضا

اذا كنتَ تَرْضى أن تعيش بذلّة * فلا تَسْتَعِدَّنّ الحسامَ اليمانيا
فما يَنْفَع الأُسْدَ الحياءُ من الطَوَى * ولا تُتَّقَى حـتى تكونَ ضواريا

اذا الجود لم يُرزَق خلاصا من الأذى * فلا الحمد مكسوبا ولا المالُ باقيا

وللنفس أخلاقٌ تَدُلّ على الفتى * أكان سَخاء ما أتى أم تَساخيا

وقال أيضا

فما الحـــدثانُ عن حِلْمٍ بمانعَـــةٍ * قد يوجَد الحلم فى الشُّبّان والشيب

وقال أيضا

وما الصارم الهندىّ الا كغيره * اذا لم يُفارِقْه النجاد وغمـــدُه

وقال أيضا

اذا ساءَ فعلُ المرءِ ساءت ظُنونُه * وصَـدَّقَ ما يَعْتادُه من تَوَهُّـم

وأَحْـــلُمُ عن خِلّى وأعـــلمُ أنه * متى أَجْزِه حلما على الجهل يَنْدَم

لَمَنْ تطلُب الدنيا اذا لم تُرِد بها * ســـرورَ مُحِبٍّ أو اساءَةَ مُجْرِم

وقال أيضا

انما تَنْجَح المقالة فى المَـــرْ * ءِ اذا وافقَتْ هوًى فى الفؤاد

وقال أيضا

وكُلُّ امرئٍ يُولِى الجميـــلَ مُحَبَّبٌ * وكُلُّ مكانٍ يُنْبِتُ العِـــزَّ طَيِّبُ

ولو جازَ أن يَحْوُوا عُلاكَ وهبتَها * ولكن من الاشياء ما ليس يوهب

وقال أيضا

ما كـــل ما يتمنى المرءُ يدركُه * تجرى الرياح بما لا تشتهى السفن

وقال أيضا

غيرَ أن الفتى يُلاقى المنايا * كالحات ولا يلاقى الهوانا

واذا لم يكن من الموت بُدٌّ * فمن العجز أن تكون جبانا

كل مالم يكن من الصَّعْب فى الأنـ * ـفس سَهْلٌ فيها اذا هو كانا

وقال أيضا

لولا المَشَقّة ساد الناسُ كلُّهم * الجود يُفْقِر والاقدام قَتّال

وقال أيضا

ولم أرَ فى عُيوب الناس شيأ * كنَقْص القادرين على التمام

وقال أيضا

وللسِّرّ منى موضع لا يناله * نديمٌ ولا يُفضى اليه شرابُ

أعَزّ مكانٍ فى الدُّنا ظَهْرُ سابحٍ * وخيرُ جَليسٍ فى الزمان كتاب

وقال أيضا

ومَن جَهِلَتْ نفسُه قدرَه * رآى غيرُه منه مالا يرى

وقال أيضا

أين الذى الهَرَمان من بنيانه * ما قومُه مايومُه ما المصرَع

تتخلّف الآثار عن أصحابها * حينًا ويدركها الفناء فتتبع

وقال أيضا

ولم تزل قِلّة الانصاف قاطعةً * بين الانام ولو كانوا ذوى رَحم

وقال أيضا

ذَرِينى أَنَلْ مالا يُنَال من العُلَى * فَصَعْبُ العلى فى الصعب والسهل فى السهل

تُرِيدِينَ لِقْيان المعالى رَخيصةً * ولا بُدَّ دونَ الشهد من إبر النحل

قال أبو فراس الحمدانى يصف قتال سيف الدولة لاهل قنسرين وقبائل العرب

ولما سار سيفُ الدين سِرْنا * كما هيَّجْتَ آسادًا غضابا

أسنَّتُه اذا لاقَى طعانا * صوارمه اذا لاقَى ضرابا

دعانا والأسنة مُشْرَعات * فكنَّا عند دعوته الجوابا

صَنائع ذاقَ صانعُها ففاقتْ * وغَرْسٌ طاب غارسُه فطابا

وكنَّا كالسهام اذا أصابت * مرامِيَها فرامِيها أصابا

فلما اشتدّتْ الهيجاء كُنَّا * أشدّ مخالبًا وأحدّ نابا

وأمنع جانبًا وأعزّ جارًا * وأوفَى ذمّةً وأقلّ عابا

سقينا بالرماح بنى قُشَير * ببطن العنتر السُّمّ المُذابا

وسرنا بالخيول الى نُمَيْر * تجاذبُنا أعنّتها جذابا

ولما أيْقَنوا أن لا غياثٌ * دَعَوْه للغوثة فاستجابا

وعادَ الى الجميل لهم فعادوا * وقد مدّوا لما يهوَى الرقابا

أمَرَّ عليهمُ خوفا وأمْنًا * أذاقهمُ به أرْنًا وصابا

أحَلَّهُم الجزيرةَ بعـــدَ يأسٍ * أخُو حـلمٍ اذا ملَكَ العقـابا
ديارهـم انتَزَعْنـاها اقْتسارا * وأرضُهُمُ اغتصبناها اغتصابا
ولو رُمْنـا حمَيناهـا البوادى * كما تَحْمى أسـودُ الغاب غابا
اذا ماأرسل الأُمَراءُ جيشـا * الى الأعداء أرسـلنا الكتابا
أنا ابنُ الضاربين الهـامَ قدْمًا * اذا كَرِه المُحامون الضـــرابا
ألم تعـلَمْ ومثلُكَ قال حقـا * بأنى كنتُ أقْتَحِمُ الشهـــابا

كتب أبو بكر الخوارزمى الى تلميذه قد ظهر عليه الجُدَرى

وصَلَنى خبر الجُدَرى فنال منى وهَيج حَزَنى وراعَ قلبى وأسهر عينى وهذه العلّة وان كانت مُوجِعَه وفى رأى العَين فظيعة شنيعة فانها الى السلامة أقرب وطريقُها الى الحياة أقصَد لأنّ عينَ الطبيب تقع عليها وظاهرُ الداء أسلم من باطنه وبارزُ الجُرْح أهون من كامنه ولَعَمْرى أنها تورثُ سوادَ اللون وتَذْهَبُ من الوجه بديباجَة الحُسْن ولكن ذلك يسيرٌ فى جنب السلامة للروح اللطيفة والنفس الشريفـة ولستُ أستطيع لكَ غيرَ الدُّعاء لاأسأل صحتَكَ الا ممن خَلَق علتَّكَ وأرى لكَ أن تُحْسن ظنَّكَ بربّكَ وتستغفر من ذنبكَ وتجعل الصدقة شَفيعَكَ واليقين طبيبَكَ وتعلم أنه لادواءَ أدْوَأُ من أجَل ولا دواءَ أشفَى من مَهَل ولا فِراشَ أوطأُ من أمَل شَفاكَ الله تعالى وحَسْبُكَ به طبيبا

المقامة الحرزية للبديع الهمذانى

حدثنا عيسى بن هشام قال لما بلغت بى الغربة باب الأبواب ورضيت من الغنيمة بالاياب ودونه من البحر وثاب بغاربه ومن السفن عساف براكبه استخرت الله فى القفول وقعدت من الفلك بمثابة الهلك ولما ملكنا البحر وجن علينا الليل غشيتنا سحابة عد من الامطار جبالا وتحود من الغيم جبالا بريح ترسل الامواج أزواجا والامطار أفواجا وبقينا فى يد الحين بين البحرين لاتملك عدة غير الدعاء ولا حيلة الا البكاء ولا عصمة غير الرجاء وطوينا ها ليلة نابغية وأصبحنا نتباكى ونتشاكى وفينا رجل لايخضل جفنه ولا تبتل عينه رخى الصدر منشرحه نشيط القلب فرحه فعجبنا والله كل العجب وقلنا له ما الذى آمنك من العطب فقال حرز لايفرق صاحبه ولو شئت أن أمنح كلا منكم حرزا لفعلت فكل رغب اليه وألح فى المسألة عليه فقال لن أفعل ذلك حتى يعطينى كل واحد منكم دينارا الآن ويعدنى دينارا اذا سلم قال عيسى بن هشام فنقدناه ماطلب ووعدناه ماخطب وأبت يده الى جيبه فأخرج قطعة ديباج فيها حقة عاج قد ضمن صدرها رقاعا وحذف كل واحد منا بواحدة منها فلما سلمت السفينة وأحللنا المدينة اقتضى الناس ماوعدوه فنقدوه وانتهى

الامرُ الىَ فقال دَعوه فقلتُ لكَ ذلكَ بعدَ أن تُعْلِمَنى سرّ حالكَ قال أنا من بلاد الاسكندرية فقلت كيف نَصرَكَ الصبرُ وخَذَلَنا فأنشأ يقول

وَيْكَ لولا الصبرُ ما كنتُ ملأتُ الكيسَ تبرا
لَن يَنالَ المجدَ مَن ضا * ق بما يَغْشاه صَدْرا
ثم ماأعقبنى السـ * ـعةَ ما أعْطيتُ ضُرّا
بل به أشتدَّ أزرًا * وبه أجبرُ كسرا
ولوَ انّى اليومَ فى العُـ * ـسْرِ فى لَما كُنتُ عُذرا

المقامة البشرية له

حدثنا عيسى بنُ هشام قال كان بِشر بن عَوانة العَبدى صُعلوكا فأغار على رَكْب فيهم امرأةٌ جميلة فتزوّج بها وقال مارأيت كاليوم فقالت

أعجَبَ بِشْرًا حَورُ فى عَيـ * ـنى وساعدٌ أبيضُ كالثلجين
ودونَه مَسْرَح طرف العين * خَصَانَةٌ تَرفُل فى حِجلَين
أحسنُ مَن يمشى على رِجْلين * لوضَمَّ بِشرٌ بينها وبينى
ادامَ هجرى وأطال بينى * ولو يقيس زَيْنَها بِزَيْنى
لَأَسْفَرَ الصُّبْحُ لذى عَينين

قال بشر ويحك من عنيت فقالت بنت عمك فاطمة فقال أهي من الحسن بحيث وصفت قالت وأزيد وأكثر فانشأ يقول

ويحك ياذات الثنايا البيض * ماخلتني منك بمستفيض
فالآن اذ لوحت بالتعريض * خاوت جوا فاصفري وبيضي
لاضم جفناي على تغميض * مانم أسل عرضي من الخفيض

فقالت كم خاطب في أمرها ألحا * وهي اليك ابنة عم لحا

ثم أرسل الى عمه يخطب ابنته ومنعه العم أمنيته فآلى ألا يرعى على أحد منهم ان لم يزوجه ابنته ثم كثرت مضراته فيهم واتصلت معراته اليهم فاجتمع رجال الحي الى عمه وقالوا كف عنا مجنونك فقال لاتلبسوني عارا واسهاوني حتى أهلكه ببعض الحيل فقالوا أنت وذاك ثم قال له محمد اني آليت أن لا أزوج ابنتي هذه الا ممن يسوق اليها ألف ناقة مهرا ولا أرضاها الا من نوق نزاعة وغرض المرء كان أن يسلك بشر الطريق بينه وبين نزاعة فيفترسه الاسد لأن العرب قد كانت تحامت عن ذلك الطريق وكان فيه أسد يدعى دادا وحية تدعى شجاعا يقول فيهما قائلهم

أقتل من داد ومن شجاع * ان يك داد سيد السباع
* فانها سيدة الافاعي *

ثم انّ بِشْرًا سَلَكَ ذلكَ الطريق فما نَصَفَه حتى لَقِيَ الأسـد وقَصَ مُهْرُه فنزل وعَقَره ثم اخْتَرَطَ سيفَه الى الاسد واعترضه وقَطَّه ثم كتب بدَم الاسد على قميصه الى ابنة عَمّه

أفاطمُ لو شَهِدتِ ببطْنِ خَبْتٍ * وقد لاقى الهـزَبْرُ أخاكِ بِشْرا
اذًا لَرَأَيْتِ لَيْثًـا زارَ لَيْثًـا * هَزَبْرًا أغْلَبًا لاقى هـزَبْرا
تَبَهْنَسَ حين أَحْجَم عنه مُهرى * مُحاذَرَةً فقلتُ عُقِرْتَ مُهـرا
أنِلْ قَدَمَيَّ ظَهْـرَ الارض انى * رأيتُ الارضَ أثبتَ منكَ ظَهرا
وقلتَ له وقـد أبدَى نِصالا * مُحَـدَّدةً ووَجْهًا مُكْفَهِـرّا
يُكَفْكِف غيـلةً احدَى يَدَيه * ويَبْسُـط للوُثوب على أُخْرَى
يَدُلّ بِمِخْلَب وبحـدّ نابٍ * وباللَّحَظات تَحْسَبُهُنّ جَمْـرا
وفى يُمْنَاىَ ماضى الحدّ أبقَى * بَمَضْـرِبه قِـراعُ الموت أُثْرا
ألم يَبْلُغْكَ ما فعلَت ظُباه * بكاظمةَ غَداةَ لَقيتُ عَمْـرا
وقلبى مثلُ قلبكَ ليس يَخشَى * مُصاولةً فكيف يَخاف ذُعْرا
وأنتَ تَروم للأشْـبال قُوتًا * وأطلبُ لابنـة الأعمام مَهرا
فقيمَ تَسومُ مثْـلى أن يُوَلّى * ويَجعل فى يديكَ النفس قَسْرا
نصحتُكَ فالتمِسْ ياليتُ غيرى * طَعاما إنّ لحمِى كان مُرّا
فلما ظَـنّ أنّ الغشّ نُصحى * وخالَفَـنى كأنى قلت هُجْـرا

مَشَى ومَشَيْتَ من أسَدَيْن رَاما * مَرَامًا كان اذ طَلَباه وَعْرا
هَزَزْتَ له الحُسامَ فَقُلْتَ أنى * سَلَلْتُ به لَدَى الظَلْماء فَجْرا
وجُدْتُ له بجائشةٍ أرَتْه * بأن كَذَبَتْه مامَنَّتْه غَدْرا
وأطلقتُ المُهَنَّد من يمينى * فَقَدَّ له من الاضلاع عَشْرا
نَفَرَّ مُجَدِّلًا بدَمٍ كأنى * هَدَمْتُ به بناءً مُشْمَخِرّا
وقلت له يَعِزّ علىَّ أنى * قتلتُ مُناسبى جَلَدًا وفَخْرا
ولكن رُمْتَ شيأ لم يَرُمْه * سوالَكَ فلم أطِقْ يالِيتُ صبرا
تُحاوِلُ أن تُعَلِّمَنى فِرارًا * لَعَمْرُ أبيكَ قد حاوَلْتَ نُكْرا
فلا تَجزع فقد لاقيتَ حُرًّا * يُحاذِر أن يُعابَ فَتَّ حُرَّا

فلما بلَغت الابياتُ عَمَّه نَدِم على مامنعه تزويجها وخشى أن تقتاله الحيّة فقام فى أثَره وبلَغه وقد مَلَكَتْه سَورَة الحيّة فلما رأى عَمَّه أخذته حَمِيّة الجاهلية فجعل يده فى فَم الحية وحَكَّم سيفَه فيها فقال

بِشْرُ الى المجد بعيدٌ هَمُّهُ * لما رآه بالعَراء عَمُّهُ
قد تَكَلَّتْه نفسُه وأُمُّهُ * جاشَتْ به جائشةٌ تُهِمُّهُ
قامَ الى ابنِ للفَلا يَؤُمُّهُ * فغاصَ فيه يَدُهُ وكُمُّهُ

ونفسُ

فلما قَتَل الحَيّة قال عَمُّه انى سـ

عنـانى عنـه فارجع لأزوّجك ابنتى فلما رَجَع جعل بِشْرٌ يملأ فَمَه نفرا حتى طَلَع أمْرَدُ كشقّ القمر على فَرَسه مُدَجَّجًا فى سلاحه فقال بِشْرٌ ياعمّ انى أسمع حسّ صَيْدٍ وخرج فاذا بغلام على قَيْدٍ فقال ثَكِلَتْكَ أمُّك يابِشْر أن قتلتَ دودةً وبَهيمةً تملأُ ماضغَيْكَ نفرًا أنتَ فى أمان إن سَلِمْتَ عَمَّكَ فقال بشر مَن أنت لا أمَّ لك قال اليومُ الأسود والموتُ الأحمر فقال بشر ثَكِلَتْكَ مَن سَلَحَتْكَ فقال يابشر ومَن سَلَحَتْكَ وكرّ كلٌّ واحد منهما على صاحبه فلم يتمكن بِشْرٌ منه وأمكن الغلامَ عشرون طعنةً فى كُلْيَة بِشْرٍ كلما مَسَّه شَبَا السِّنان حماه عن بَدَنه إبقاءً عليه ثم قال يابِشْر كيف ترى أليس لو أردتُ لأطعمتُك أنيابَ الرمح ثم ألقَى رُمْحَه واستلّ سيفه فضرب بِشْرًا عشرين ضربة بعَرْض السيف ولم يتمكن بِشْرٌ من واحدة ثم قال يابِشْر سَلِمَ عَمُّك واذهب فى أمان قال نعم ولكن بِشَريطة أن تقول لى من أنت فقال أنا ابْنُك فقال ياسبحان الله ماقارَبْتُ عَقيلةً قط فأنَّى هذه المِنْحة فقال أنا ابن المرأة التى دَلَّتْكَ على ابنة عمك فقال بِشْر

تلكَ العَصا من هذه العُصَيّه * هـل تَلِد الحَيّـــةُ الا الحَيّه

وحلفَ لاركِب حِصانًا ولا تزوّج حَصانًا ثم زوّج ابنة عمه لابنه

آداب الصداقة لابن مسكويه

يجب عليك متى حصل لك صديق أن تكثر مراعاته وتبالغ فى تفقده ولا تستهين باليسير من حقه عند مهم يعرض له أو حادث يحدث به فأما فى أوقات الرخاء فينبغى أن تلقاه بالوجه الطلق والخلق الرحب وأن تظهر له فى عينك وحركاتك وفى هشاشتك وارتياحك عند مشاهدته اياك ما يزداد به فى كل يوم وكل حال ثقة بمودتك وسكونا اليك ويرى السرور فى جميع أعضائك التى يظهر السرور فيها اذا لقيك فان التحفى الشديد عند طلعة الصديق لا يخفى وسرور الشكل بالشكل أمر غير مشكل ثم ينبغى أن تفعل مثل ذلك بمن تعلم أنه يؤثره ويحبه من صديق أو ولد أو تابع أو حاشية وتثنى عليهم من غير اسراف يخرج بك الى الملق الذى يمقتك عليه ويظهر له منك تكلف فيه وانما يتم لك ذلك اذا تواخيت الصدق فى كل ماتثنى به عليه والزم هذه الطريقة حتى لا يقع منك توان فيها بوجه من الوجوه وفى حال من الاحوال فان ذلك يجلب المحبة الخالصة ويكسب الثقة التامة ويهديك محبة الغرباء ومن لا معرفة لك به وكما أن الحمام اذا ألف بيوتنا وآنس لجالسنا وطاف بها يجلب لنا أشكاله وأمثاله فكذلك حال الانسان اذا عرفنا واختلط بنا اختلاط الراغب فينا الآنس بنا بل يزيد على الحيوان الغير الناطق

بحُسْن الوَصْف وجميل الثناء ونَشْر المحاسن واعلم أنّ مُشاركة الصَديق في السَّرّاء اذا كنت فيها وان كانت واجبـةً عليـكَ حتى لاتَسْـتأثِرها ولا تختص بشئ منها فانّ مُشاركَتـه في الضَّرّاء أوجب ومَوْقعها عنده أعظم وانظر عند ذلكَ إن أصابَتْه نَكْبة أو لَحَقَتْه مُصيبة أو عَثَر به الدهر كيف تكون مُواساتُكَ له بنفسكَ ومالكَ وكيف يظهر له تَفَقُّدُكَ ومراعاتكَ ولا تَنْتَظِرَنّ به أن يسألَكَ تَصْريحا أو تَعْريضا بل اطّلِعْ على قلبه واسْبِق الى مافي نفسه وشارِكْه في مَحْض مالَحَقه ليَخِفّ عنه وان بلغتَ مرتبـةً من السـلطان والغِنَى فانْعَس اخوانَكَ فيها من غير امتنان ولا تَطاوُل وان رأيتَ من بعضهـم نُبُوًّا عنـكَ أو نُقصانا مما عَهدته فَداخِلْه زيادةَ مُداخلة واختَلِط به واجتذبه اليكَ فانكَ ان أنِفْتَ من ذلكَ أو تَداخَلَكَ شئ من الكِبْر والصَّلَف عليهم انتقضَ حَبْلُ المودة وانْتَكَثَتْ قوتُه ومع ذلكَ فلستَ تأمَنُ أن يزولوا عنـكَ فتستحي منهم وتُضْطَرَّ الى قَطيعتهم حتى لاتَنظر اليهم ثم حافِظْ على هذه الشروط بالمداومة عليها لتَبْقى المودّة على حال واحدة وليس هذا الشرط خاصّا بالمودّة بل هو مُطّرد في كل مايَخُصّكَ أعني أن مَركوبَكَ وملبوسَكَ ومنزلكَ متى لم تُراعها مراعاةً متصـلةً فَسَدَت وانتقضت فاذا كانت صورة حائطكَ وسُطوحكَ كذلكَ ومتى غَفَلْتَ أو توانيتَ لم تأمن تَقَوُّضَه وتَهَدُّمَه فكيف ترى أن

تَحْفو مَن تَرْجوه لكل خَير وتَنْتَظر مشاركتـه فى السَّرَّاء والضَّرَّاء ومع ذلك فانّ ضرر تلك تختص بك بمنفعـة واحدة وأما صَـديقُك فَوُجوه الضرر التى تدخُل عليك بجَفائه وانتقاض مَوَدَّته كثيرةٌ عظيمة ذلك أنه يَنْقَلب عَدُوّا وتَتَحَوّل منافعُه مَضارّ فلا تأمن غوائلَه وعداوتَه مع عَدَمك الرغائبَ والمنافع به وينقطع رجاؤُك فيما لاتجد له خَلَفًا ولا تستفيد عنه عِوَضا ولا يَسُدّ مَسَدّه شئ واذا راعيتَ شروطَه وحافظتَ عليها بالمداومة أمِنْتَ جميعَ ذلك ثم احْذَر المراءَ معه خاصَّة وان كان واجبا أن تَحْذَره مع كل أحد فانّ مُماراة الصَـديق تَقْتَلع المودة من أصلها لأنها سببُ الاختلاف والاختلافُ سببُ التباين الذى هَرَبْنا منـه الى ضدّه وقَبَّحْنا أثَرَه واخترنا عليه الأُلْفة التى طلبناها وأثنينا عليها وقلنا انّ الله عز وجل دَعا اليها بالشَّريعة القَويمة وانى لأعرف مَن يُؤْثر المراء ويزعم أنه يَقْدَح خاطرَه ويَشْحَذ ذهنه ويُثير شُكوكه فهو يَتَعَمَّد فى المحافل التى تَجْمَع رؤساء أهل النظر ومُتعاطى العُلوم مُماراة صَديقه ويَخْرُج فى كلامه معـه الى ألفاظ الجُهّال من العامّة وسُقّاطهم ليَزيد فى خَجَل صديقه وليُظْهِر تَبَلُّجَه وليس يفعل ذلك عند خَلْوَته به ومُذاكَرَته له وانما يفعله حين يَظُنّ به أنه أدَقّ نظرا أو أحضر حُجّة وأغْزَر علما وأحَدّ قريحة فما كنتُ أشْبِّهه الا بأهل البَغْى وجبابرة أصحاب الاموال والمُشَبَّهين بهم من أهـل البِدَع

فان هؤلاء يستحقر بعضُهم بعضا ولا يزال يُصَغِّر بصاحبه ويَزْدرى على مُرُوءته ويَتَطَلَّبُ عُيوبَه ويَتَتَبَّع عَثَراته ويُبالغ كلٌّ واحدٍ فيما يقدر عليه من اساءة صاحبه حتى يؤدّى بهم الحال الى العَداوة التامة التى يكون معها السعايَة وازالة النعَم وتُجاوز ذلك الى سَفْك الدَّم وأنواع الشُرور فكيف يثبُتُ مع المراء محبةٌ ويُرجَى به أُلْفة ثم احْذَر فى صَديقك ان كنتَ متحققا بعلْمٍ أو مُتَحَلِّيا بأدب أن تَبْخَل عليه بذلك الفنّ أو يرى فيك أنك تُحِبّ الاستبدادَ دونَه والاستئْثار عليه فانّ أهل العلم لا يَرَى بعضُهم فى بعض مايراه أهلُ الدُّنيا بينَهم ذلك أنّ مَتاع الدنيا قليل فاذ تَزَاحَم عليه قومٌ ثَلَم بعضُهم حالَ بعض ونَقص حَظّ كل واحد من حظ الآخَر وأما العلم فانه بالضدّ وليس أحد يَنْقُص منه مايأخُذه غيرُه بل يَزْكُو على النفقة ويَرْبُو مع الصَداقة ويَزيد على الانفاق وكثرة الخَرْج فاذا بَخِل صاحب علْمٍ بعلْمه فانما ذلك لاحوالٍ فيه كُلُّها قبيحة وهى أنه إمّا أن يكونَ قليلَ البضاعة منه فهو يَخاف أن يَفْنَى ماعنده أو يَرِد عليه مالا يعرفه فيزول تَشَرّفه عند الجُهّال واما أن يكون مكتسبا به فهو يَخْشَى أن يَضيق مكسبُه به وينْقُص حَظّه منه واما أن يكون حَسود والحسود بعيدٌ من كل فَضيلة لايَوَدُّ أحدٌ وانى لاعرف مَن لايَرْضَى بأن يَبْخَل بعلم نفسه حتى يَبْخَل بعلم غيره ويُكْثر عَتْبَه وسَخَطه على مَن

لايُفيد غيرَه من التلاميذ المستحقين لفائدة العلم وكثيرا مايَتوصل البعضُ الى أخذ الكُتُب من أصحابها ثم مَنْعهم منها وهـذا خُلُق لاتَبْقى معه مَوَدّة بل يَجْلُبُ الى صاحبه عَداوات لايَحْسَبُها ويَقْطَع أطْماعَ اصدقائه من صَـداقته ثم احْذَرْ أن تَنْبَسط بأصحابك ومَن يَخْلُوبك من أتباعك وتَحْمل أحدا منهـم على ذكْر شئ فى نفسـه ولا تُرَخّص فى عَيْب شئ يَتّصل به فَضْـلا عن عَيْبه ولا يَطْمَعَنّ أحدٌ فى ذلك من أُولى أنْسـابك والمُتّصلين بك لا جِدًّا ولا هَزْلا وكيف تَحْتَمل ذلك فيه وأنتَ عَيْنُه وقلبُه وخليفتُـه على الناس كلهم بل أنتَ هو فانه ان بَلَغَه شئ مما حَذّرْتُك منه لم يَشُكّ أنّ ذلك كان عن رأيك وهَواك فَيَنْقَلب عَدُوًا ويَنْفر عنك نُفور الضّدّ فان عرفتَ منـه أنتَ عَيْبًا فوافقْه عليه مُوافقةً لطيفة ليس فيها غَلْطة فانّ الطّبيب الرفيق ربما بَلغ بالدواء اللطيف ما يَبْلُغـه غيرُه بالشّقّ والقطع والكَيّ بل ربما تَوَصّل بالغذاء الى الشفاء واكتَفى به عن المعالجة بالدواء ولستُ أُحبّ أن تُغْضى عما تَعْرفه فى صَديقك وأن تترك موافقتَه عليه بهذا الضَّرْب من الموافقة فانّ ذلك خيانة منك ومُسـامَحَة فيما يعود ضَرَرُه عليـه ثم احْذَر النَميمة وسَماعَها وذلك أنّ الاشرار يَدْخُلون بين الاخيـار فى صورة النُصَحاء فَيوهمونَهُـم النصيحة ويَنْقُلون اليهم فى عُرْض الاحاديث اللذيذة أخبـار أصدقائهم مُحَرّفةً مُمَوّهة حتى

اذا تجاسروا عليهم بالحديث المُختَلَق يُصَرِّحون لهم بما يُفْسد مودّاتهم ويُشَوّه وجوهَ أصدقائهم الى أن يُبْغض بعضُهم بعضا وللقُدَماء فى هذا المعنى كُتُبٌ مؤلَّفة يُحَذِّرون فيها من النميمة ويُشَبِّهون صورةَ النَّمام بمَن يَحُكُّ باظافيره أصولَ البُنْيان القوية حتى يُؤَثِّر فيها ثم لا يزال يَزيد ويُمْعِن حتى يُدْخل فيها المِعْوَل فيَقْلَعَه من أصله ويَضْربون له الامثال الكثيرة المُشَبَّهَة بحديث الثَّوْر مع الأَسَد فى كتاب كَليلةَ ودِمْنَة ونحن نكتفى بهذا القَدْر من الايماء لئلا نَخْرُج عمّا بَنَيْنا عليه مَذْهَبَنا من الايجاز فى الشرح ولستُ أترك مع الايجاز والاختصار تعظيمَ هذا الباب وتكريره عليك لتعلم أنّ القُدَماء انما ألَّفُوا فيه الكتب وضربوا له الامثال وأكثروا فيه من الوَصايا لِمَا وراءَه من النَّفْع العظيم عند السامعين من الاخيار ولما خافوه من الضَّرر الكثير على مَن يَسْتَهين به من الأَغْمار وليُعْلَم المَثَل المضروب فى السِّباع القوية اذا دخل عليها الثَّعْلَب الرَّوَّاغ على ضَعْفه أهْلَكَها ودَمَّرَها وفى المُلوك الحُصَفاء يَدْخُل بينهم أهل النميمة فى صورة الناصحين حتى يُفْسدوا نيّتَهم على وُزَرائهم المُبالغين فى نصيحتهم المجتهدين فى تثبيت مُلْكهم الى أن يَغْضَبوا عليهم ويَصرفوا بها عُيونَهم عنهم ويَصيروا من مَحَبّتهم وايثارهم على آبائهم وأولادهم الى أن لا يَمْلَؤُا عُيونَهم منهم والى أن يَبْطِشوا بهم قَتْلا وتَعْذيبا وهم غيرُ

مُذْنبين ولامُحْتَرمين ولا مُستحقين الا الكرامة والاحسان فاذا بلغ بهم من الافساد والاضرار مابلغوه من هؤلاء فبالأَحْرَى أن يَبْلُغوه منا اذا لم يجدوه فى أَصْدقائنا الذين اخترناهم على الأيام وادّخَرْناهم للشدائد وأحْلَلْناهم مَحَلّ أرواحنا وزدْناهم تَفَضّلا واكراما ويَتَبَيّن لك من جميع ماقدّمناه أنّ الصداقة وأصناف المَحَبّات التى تتمّ بها سعادة الانسان من حيث هو مَدَنىٌّ بالطبع انما اختلفتْ ودخل فيها ضُروب الفَساد وزال عنها معنى التَّأَخّى وعرض لها الانتشار حتى احتَجْنا الى حفْظها والتَعَب الكثير بنظامها من أجْل النَقائص الكثيرة التى فينا وحاجَتنا الى اتمامها مع الحوادث التى تَعْرض لنا من الكَوْن والفساد فانّ الفضائل الخُلُقيّة انما وُضعَت لاجل المُعاملات والمُعاشَرات التى لايَتم الوُجود الانسانى الا بها ذلك أنّ العَدْل انما احتيج اليه لتصحيح المعاملات وليَزولَ به معنَى الجَوْر الذى هو رَذيلة عند المُتعاملين وانما وُضعَت العفّة فَضيلة لاجل اللذات الرديئة التى تَجْنى الخيانات الفظيعة على النفْس والبَدَن وكذلك الشجاعةُ وُضعت فضيلةً من أجل الامور الهائلة التى يجب أن يُقْدم الانسانُ عليها فى بعض الاوقات ولايَهْرُب منها وعلى هذا جميع الاخلاق المرضية التى وَصَفناها وحَضَضْنا على اقتنائها وأيضا فانّ جميع هذه الفضائل تحتاج الى أسباب خارجة من الاموال واكتسابها من وُجوهها

ليمكنه أن يفعل بها فعلَ الاحْرار والعادل يحتاج الى مثل ذلك ليُجازى مَن عاشَره بجميل ويُكافئ مَن عامَله باحسان وجميعُها لاتقوم الا بالابدان والأنْفُس وما هو خارجٌ عنها على حسب تقسيمنا السعادات فيما مضى وكلما كانت الحاجات كثيرةً احْتيج الى الموادّ الخارجة عنّا أكثر فهذه حالةُ السعادات الانسانية التى لاتتم لنا الا بالافعال البَدَنية والاحوال المدنية وبالاعْوان الصالحين والأصدقاء المخلصين وهى كما تراها كثيرة والتَعَب بها عظيم ومَن قَصّر فيها قَصَّرتْ به السعادة الخاصّة به ولذلك صار الكسَل وحَبّبة الراحَة من أعظم الرذائل لأنهما يَحُولان بين المَرْء وبين جميع الخيرات والفضائل ويَسْلُخان الانسانَ من الانسانية ولذلك ذَمّنا بعضَ المُتَوَحّشين بالزُهْد اذا تَفَرّدوا عن الناس وسَكَنوا الجبالَ والمَفازات واختاروا التَوَحّش الذى هو ضدّ المدنيـة لانهم ينسلخون عن جميع الفضائل الخلقية التى عددناها كلها وكيف يعِفّ ويَعْدل ويَسْخو ويَشْجُع مَن فارق الناسَ وتَفَرّد عنهم وعَدم الفضائلَ الخُلُقيّة وهل هو الا بمنزلة الجَماد والمَيّت وأما مَحبّة الحكمة والانْصراف الى التَصَوُّر العقلى واستعمال الآراء الالهية فانها خاصة بالجُزْء الالهى من الناس وليس يَعْرض لها شئ من الآفات التى تَعْرض للمَحبّات الأُخَر الخلقية وضُروب الفساد ولذلك قُلْنا انها لاتَقْبل التَتمة ولا نَوْعًا من أنواع السُرور لأنها الخيرُ المَحْض وسَبَبُها

الخير الأوّل الذى لاتَشُوبه مادة ولا تَلْحَقه الشُّرور التى فى المادة وما دام الانسان يستعمل الأخلاق والفضائل الانسانية فانها تَعُوقه عن هذا الخير الاوّل وهذه السعادة الالهية ولكن ليس يَتم له الا بتلك ومن أفضل تلك الفضائل بنفسه ثم اشتغلَ عنها بالفضيلة الالهية فقد اشتغل بذاته حقّا ونَجا من مُجاهَدات الطبيعة وآلامها ومن مجاهدات النفس وقُواها وصار مع الارواح الطيّبة واختَلَط بالملائكة المقرّبين فاذا انتقل من وجوده الاول الى وجوده الثانى حصل فى النعيم الأبَدى والسرور السرمدى

وقال ابن حَمْديس الأَنْدَلُسى فى وصف بركة

عليها أشجار من ذهب وفضة وعلى حافاتها أسود قاذفة بالمياه

وضَراغم سكَنَتْ عَرِينَ رَاسَةٍ * تَرَكَتْ نَحرير الماء فيه زَئيرا
فكأنما غَشَّى النُّضارُ جُسومَها * وأذابَ فى أفْواهها البَلُّورا
أُسْدٌ كأنّ سُكونَها مُتَحَرِّكٌ * فى النفس لو وَجَدَتْ هناك مُثيرا
وتَذَكَّرَتْ فتكاتها فكأنما * أقْعَتْ على أدبارها لتثورا
وتَخالُها والشمس تَجْلُو لونَها * نارًا وألْسُنَها اللواحسَ نورا
فكأنما سَلَّتْ سُيوفَ جداولٍ * ذابَتْ بلا نارٍ فَعُدْنَ غديرا
وكأنما نَسَجَ النسيمُ لمائه * دِرْعًا فَقَدَّر سَرْدَها تقديرا
وبَديعة الثمرات تَعْبُرُ نحوها * عيناىَ بحرَ عجائبٍ مَسجورا

شَجَريّة ذَهَبيّـة نَزَعَتْ الى * سِحْـرٍ يُؤَثِّر فى النُّهَى تأثيرا
قد سُرِّجَتْ أغصانُها فكأنما * قبضت بهنّ من الفضاء طُيورا
وكأنما تَأبَى لِوَقْـع طَيْرِها * أن تَسْتَقِلّ بنَهْضِها وتَطيرا
من كل واقعة تَرى منقارَها * ماءً كسَلْسال اللُّجَين نميرا
خُرْسٌ تُعَدُّ من الفصاح فان شَدَتْ * جَعَلَتْ تُغَرِّد بالمياه صَفيرا
وكأنما فى كل غصن فضّـة * لانَتْ فأرسلَ خَيْطُها مجرورا
وتُريكَ فى الصهريج مَوْقِعَ قَطْرِها * فوق الزبرجد لؤلؤا منثورا
ضحكت محاسنُه اليكَ كأنما * جُعِلَتْ لها زُهْرُ النجوم ثُغورا
ومُصَفِّح الأبواب تبرًا نَظّروا * بالنقش فوق شُكوله تنظيرا
واذا نظرتَ الى غرائب سَقْفِه * أبصرتَ روضًا فى السماء نَضيرا
وضَعَتْ به صُنّاعُها أقلامَها * فأرَتْكَ كلَّ طَريدة تصويرا
وكأنما للشمس فيـــه لِبَقَّةٌ * مَشَقُوا بها التزويقَ والتشجيرا
وكأنما اللازَوَرْدُ فيـــه مُخَرَّمٌ * بالخطّ فى ورق السماء سطورا

مَرْثية أبى الحسن الأنبارى للوزير أبى طاهر

لما اسْتَعَر الحرب بين عزّ الدولة بن بُوَيْه وابن عمّه عَضُد الدولة ظفر عَضُد الدولة بوزير عزّ الدولة أبى طاهر محمد بن بَقيّة فسلّمه وشَهَّره وعلى رأسه بُرنُس ثم طَرَحه للفيلة فقتلته ثم صَلَبه عند داره بباب الطاق

وعُمره نَيف وخمسون سنة ولما صُلب رثاه أبو الحسن محمد بن عمران يعقوب الانبارى أحد العُدول ببغداد بهذه القصيدة الغرّاء فلما وقف عليها عَضُد الدولة قال وددْتُ لو أنى المصلوب وتكون هذه القصيدة فىّ

عُـلُوٌّ فى الحياة وفى الممات * لَحَقٌّ تلكَ احدى المعجـزات
كأنّ الناس حولكَ حين قاموا * وفودُ نَدالكَ أيامَ الصـلات
كأنكَ قائمٌ فيهم خطيبا * وكلُّهُـمُ قيـامٌ للصَّـلاة
مَدَدْتَ يديكَ نحوَهُم احتفاءً * كَمَدّهما اليهـم بالهبـات
ولما ضاق بطنُ الارض عن أن * يضُم عُلاكَ من بعـد الوَفاة
أصاروا الجوّ قبرَكَ واستعاضوا * عن الأكفان ثوبَ السافيات
لعُظْمكَ فى النفوس بقيتَ تُرْمَى * بحُـرّاس وحُفّاظ ثقـات
وتُوقَد حولَكَ النيرانُ ليـلا * كذلكَ كنتَ أيامَ الحيـاة
ركبتَ مَطيةً من قبـلُ زَيْدٌ * عَلاها فى السنين الماضيات
وتلكَ قضيـةٌ فيهـا تأسّ * تُباعد عنكَ تعيير العُـداة
ولم أرَ قبلَ جِذْعكَ قطُّ جِذْعا * تمكَّنَ من عناق المَكْرُمات
أسأتَ الى النوائب فاستثارت * فأنتَ قتيـلُ ثار النائبات
وكنتَ تُجير من صَرْف الليالى * فصار مُطالبا لكَ بالتِّرات
وصَيَّر دهرُكَ الاحسانَ فيـه * الينا من عظـيم السيئات

وكنتَ لمَعْشر سعدًا فلما ✻ مضيتَ تفرَّقوا بالمُحسات
غليلٌ باطنٌ لكَ فى فؤادى ✻ يخفَّفُ بالدُّموع الجاريات
ولو أنى قدَرْتُ على قيامٍ ✻ بفرضكَ والحُقوق الواجبات
ملأتُ الأرضَ من نظم القوافى ✻ ونُحْتُ بها خلافَ النائحات
ولكنّى أُصَبِّر عنكَ نفسى ✻ مَخافة أن أُعَدّ من الجُناة
وما لكَ تُربةٌ فأقول تُسْقَى ✻ لانكَ نُصْبُ هَطْل الهاطلات
عليكَ تحيةُ الرحمن تَتْرَى ✻ برَحْمات غَوادٍ رائحات

وقال محمد بن زُرَيق البغدادى وكان قَصَدَ الأندلس فى طلب الغنى فلم يرجع لبغداد رحمة الله عليه

لاتَعْذُليه فانّ العَذْلَ يُولعه ✻ قد قُلْتِ حقًّا ولكن ليس يَسْمَعه
جاوَزْتِ فى لَوْمه حدًّا أضَرَّ به ✻ من حيثُ قدّرْتِ أنّ اللَّوْمَ يَنْفَعُه
فاستعملى الرِّفْقَ فى تأنيبه بدلًا ✻ من عُنْفه فهو مُضْنَى القلب مُوجَعُه
قد كان مُضطلعا بالخَطْب يَحْمله ✻ فَضِيقَتْ بخُطوب البَين أضْلُعُه
يكفيه من لَوْعة التَّفْنيد أنّ له ✻ من النَّوى كلَّ يوم ما يُرَوِّعه
ما آبَ من سَفَرٍ الا وأزعَجَه ✻ رأىُ الى سَفَرٍ بالعزم يَجْمَعُه
كأنّما هو من حِلّ ومُرْتَحَل ✻ مُوَكَّلٌ بفضاء الارض يَذْرَعه
اذا الرِّماعُ أراه فى الرحيل غِنًى ✻ ولو الى السِّنْد أضحى وهو يُزْمِعُه

تأبَى المَطامع الا أن تُحَشِّـــمَه * للـــرِّزْق كَدًّا وكم ممن يودّعه
وما مُجاهَـدة الانسان توصـلُه * رزقًا ولا دَعَة الانسان تَقْطَعُـه
واللهُ قَسَّم بينَ الخلق رزقَهُـــمُ * لم يَخلق اللهُ مخلوقا يُضَـــيّعه
لكنهم مُلئُوا حِرْصًا فلستَ ترى * مُسْتَرْزقا وسوى الغايات يقْنَعُـه
والسَّعْيُ فى الرزق والارزاقُ قد قُسمت * بَغْيٌ ألا إنّ بَغْيَ المـرء يَصْرَعه
والدهر يُعطِي الفتَى ماليس يطلُبُه * يوما ويمنعُه من حيث يُطمعُـه
أستودِع الله فى بَغْداد لى قمرا * بالكَرْخ من فَلَكُ الأزْرار مَطْلَعُه
ودَّعْتُـــه وبودّى لو يُودّعُـــنى * صَـــفْوَ الحيـاة وأنى لا أودّعه
وكم تَشَـــفَّع أنى لا أفارقـــه * والضرورات حالٌ لا تُشَـــفّعه
وكم تَشَبَّثَ بى يومَ الرحيل ضُحًى * وأدمُعى مُسْتَهِلّات وأدمُعـــه
لا أُكْذِبُ اللهَ ثَوْبُ العُذْر مُخْرَق * عنى بفُرقتـــه لكن أُرَقِّعُـــه
أنى أُوَسِّع عُذرى فى جنايَتِـــه * بالبَـــيْن عنـــه وقلبى لا يُوَسِّعُه
أُعطيتُ مُلكا فلم أُحْسِنْ سياستَه * كذالكَ مَن لا يَسُوس المُلْكَ يُخْلَعُه
ومَن غدا لابسًا ثوبَ النعيم بلا * شُـــكْر الاله فعنْـــه اللهُ يَنْزِعُه
اعْتَضْتُ عن وجهِ خِلّى بعد فرقته * كأسا أُجَـــرِّعُ منها ما أُجَرَّعُه
كم قائل لى ذنبُ البَين قلت له * الذنب والله ذنبى لستُ أدفعه
هلّا أقتُ فكان الرُّشْد أجمعـــه * لو أننى يومَ بانَ الرشدُ أتبعُـــه

انى لأقطع أيامى وأُنفِـدُهـا * بحسرةٍ منـــه فى قلبى تُقَطّعه
بِمَن اذا هجع النُّـــوّام بتُّ له * بلَوعةٍ منـه ليلى لستُ أهجَعُه
لايَطـمئن لجَنْبى مَضْجَعٌ وكذا * لايطمئن له مُذْ بِنْتُ مَضْجَعُـه
ما كنت أحسب أنّ الدهر يفجَعُنى * به ولا أنّ بى الايامُ تفجعـه
حتى جرى الدهر فيما بيننا بيَدٍ * عَسْرَاءَ تمنعُنى حظّى وتمنعُـه
بالله يامنزل القَصْف الذى درَست * آثارُه وعفَتْ مذ غبتُ أربُعُـه
هـل الزمانُ مُعيـدٌ فيكَ لذّتَنا * أم الليالى التى أمْضَتْه تُرْجعُه
فى ذمّة الله مَن أصبحتَ منزلَه * وجادَ غيثٌ على مَغْـدالكَ يمرعُه
مَن عنده لى عهدٌ لايضـيّعُه * كما له عهـدُ صدقٍ لاأضـيعه
ومَن يُصَـدّع قلبى ذكرُه واذا * جرى على قلبه ذكرى يصدّعه
لأَصْـبرَنّ لدهـر لايمتّعُنى * به ولا بىَ فى حالٍ يمتعـــه
علما بأنّ اصطبارى مُعْقِب فَرَجا * وأضيقُ الامر ان فكّرتَ أوسَعه
علّ الليالى التى أضْنت بفُـرقتنا * جسمى ستَجمعنى يوما وتجمعـه
وان تَنَـل أحدا منـا مَنيّتُـــه * فما الذى بقضاء الله يصـنعه

قال أبو العلاء المعرى يفتخر

ألا فى سبيل المجد ما أنا فاعل * عَفاف واقـدام وحَزْم ونائل
أعندى وقد مارستُ كل خفيّة * يُصدَّق واشٍ أو يُخَيَّب سائل

تُعَـدّ ذُنوبى عنـد قومٍ كثيرةً * ولا ذنبَ لى الا العُلَى والفضائل
كأنى اذا طُلْتُ الزمانَ وأهـلَه * رجعتُ وعندى للانام طَوائل
وقد سار ذكرى فى البلاد فَمَن لهم * باخفاء شمسٍ ضوؤُها متكامل
يُهِمُّ الليالى بعضُ ما أنا مُضْمِر * ويَثْقُل رَضْوَى دونَ ما أنا حامل
وانى وان كنتُ الاخيرَ زمانُه * لآتٍ بما لم تَستطعه الاوائل
وأَغْمِدُ ولو أنّ الصباحَ صَوارمٌ * وأَسْرِى ولو أنّ الظلام جَحافل
وانى جواد لم يُحَـلّ لجامُه * ونَصْلُ يَمانٍ أغْفَلَتْه الصياقل
فان كان فى لُبْسِ الفتى شرفٌ له * فما السيفُ الا غِمْدُه والحَمائل
ولى مَنطِقٌ لم يَرْضَ لى كُنْهَ منزلى * على أننى بَيْنَ السماكَين نازل
لَدَى موطنٍ يشتاقه كل سـيّد * ويَقْصُر عن ادراكه المُتَناوِل
ولَمّا رأيتُ الجهلَ فى الناس فاشيا * تجاهلتُ حتى ظُنّ أنى جاهل
فوا عَجَبا كم يدّعى الفضلَ ناقص * ووا أسَفا كم يُظهر النقصَ فاضل
وكيف تَنام الطيرُ فى وَكَناتها * وقد نُصبت للقَرْقَدين الحبائل
يُنافِس يومى فىَّ أمسى تَشَرُّفا * ويَحْسُد أسحارى على الاصائل
وطال اعترافى بالزمان وصَرْفه * فلستُ أُبالى مَن تَغُول الغوائل
فلو بانَ عَضْدى ما تأسَّفَ مَنْكِبى * ولو مات زَنْدى ما بَكَتْه الانامل
اذا وَصَفَ الطائىَّ بالبُخْل مادِرٌ * وعَيَّرَ قُسًّا بالفَهاهة باقل

وقال السُّهى للشمس أنت ضئيلة * وقال الدُجى للصُبح لونُكِ حائل
وطاولَت الأرضُ السماءَ سَفاهة * وفاخَرَت الشُهْبَ الحَصى والجنادل
فيا موتُ زُرْ إنّ الحياةَ ذميمةٌ * ويا نفسُ جِدّي إنّ دهرَكِ هازل

ومن شعر أبي الحسن التِّهامي

قصيدته الفريدة البالغة في بابها غاية لم يبلغها سواها التي يرثي في أولها صغيرا له أجاب داعي ربه ويفتخر في آخرها بفضله ويشكو زمانه وحاسديه وهي هذه

حُكمُ المنيّـــة في البرية جار * ما هـــذه الدنيا بدار قَـرار
بَيْنا يُرَى الانسانُ فيها مُخْبرا * حتى يُرَى خبَرًا من الاخبار
طُبعَتْ على كَدَر وأنتَ تُريدُها * صَفْوًا من الأقذار والاكدار
ومُكَلّف الأيام ضِـدَّ طباعها * مُتَطَلّب في الماء جَـذْوةَ نار
واذا رَجَوْتَ المستحيلَ فإنما * تَبْني الرجاءَ على شَـفيرٍ هـار
فالعيشُ نومٌ والمنيّـة يقظـةٌ * والمـرءُ بينهما خيالُ سـار
فاقضـوا مآربكم عجالا انما * أعمارُكم سـفرٌ من الاسفار
وتراكضوا خيلَ الشباب وبادروا * أن تُسْـتَرَدَّ فانهنّ عَـوار
والدهر يَخْدَع بالمُنَى ويُغَصّ ان * هَنّا ويَهْـدِم ما بَنَى ببَـوار
ليس الزمانُ وان حَرَصْتَ مُسالِمًا * خُلُقُ الزمان عـداوةُ الاحرار

انى وُتِرْتُ بصارمٍ ذى رَوْنَق * أعْـــدَدْتُه لطـــلابَة الاوتار
والنفسُ إن رَضيت بذلكَ أو أبَتْ * مُنْقـادة بأزمّـــة المقـــدار
أثْـــنى عليـــه بأثَره ولَوَ انّه * لم يُعْتَبَـــــطْ أثنيتُ بالآثار
يا كوكبًا ما كان أقْصَرَ عُمْـــرَه * وكذاكَ عُمْرُ كواكب الاسحار
وهلالَ أيامٍ مضى لم يَسْـتَدِرْ * بدرًا ولم يُمْهَـــل لوقت سرار
عَجِل الخُسوفُ عليه قبلَ أوانه * فمحاه قَبْـــلَ مَظنّـة الابدار
واســـتُلّ من أتْرابه وَلداته * كالقُلّة اسْتُلّتْ من الاشفار
فكأنّ قلبى قَـــبْرُه وكأنه * فى طَيّـــه سِرٌّ من الاسرار
ان يُعْتَبَطْ صـغرًا فَرُبَّ مُقَدَّمٍ * يَبْدو ضَئيلَ الشخص للنُظّار
انّ الكواكبَ فى عُلُوّ محلّها * لَتُرَى صغارًا وهى غير صـغار
وَلَدُ المُعَزّى بعضُـه فاذا مضى * بعضُ الفتى فالكلُّ فى الآثار
أبكيه ثم أقول معتـــذرا له * وُفّقْتَ حين تَرَكتَ أَلْأَمَ دار
جاوَرْتُ أعـــدائى وجاوَرَ ربَّه * شَـــتّانَ بين جواره وجوارى
أشكو بعادَكَ لى وأنتَ بموضعٍ * لولا الردَى لَسَمِعْتَ فيه مَزارى
والشرقُ نحوَ الغرب أقربُ شُقّةً * من بُعد تلكَ الخمسة الاشبار
هيهاتَ قد عَلِقَتْ أسبابُ الردَى * واغتالَ عمرَكَ قاطعُ الاعمـــار
ولقد جَرَيْتَ كما جريتُ لغايةٍ * فبلغـــتَها وأبولكَ فى المضمار

ذا نطقتُ فأنت أولُ منطق * واذا سكتُّ فأنت فى اضمارى
أُخفى من البُرحاء نارًا مثـلَ ما * يُخفى من النـار الزنادُ الوارى
وأُخَفِّض الزفرات وهى صواعد * وأُكفكفُ العبرات وهى جوار
وشهابُ نار الحُزْن ان طاوعْتُه * أوْرَى وان عاصَيْتُه متوارى
وأكُفُّ نيرانَ الأسى ولربما * غُلب التصبُّرُ فارتمَتْ بشرار
ثوبُ الرياء يَشِفّ عما تحتَـه * واذا التحفْتَ به فانك عار
قَصُرت جُفونى أم تباعَدَ بَيْنُها * أم صُوِّرتْ عينى بلا أشفـار
جَفَتِ الكرَى حتى كأنّ غرارَه * عند اغتماض العين وَخْزُ غرار
ولو استَزَارَتْ رقدةً لَطَحَا بها * ما بين أجفانى من التيّـار
أحيِى الليالى التّم وهى تُمِيتُنى * ويُمِيتُهُنّ تبلُّجُ الاسحـــار
حتى رأيت الصُّبح تهتك كفُّه * بالضوء رفرفَ خيمـة كالقار
والصبحُ قد غمَرَ النجومَ كأنه * سَيْلٌ طَغَى فطَفَا على النُّوّار
لو كنتَ تُمْنَعُ خاضَ دونَك فتْيةٌ * منّا بحارَ عوامـل وشفـار
ودَحَوْا فُوَيْقَ الأرض أرضا من دَمٍ * ثم انثَنَوْا فبَنَوْا سماءَ غُبار
قومٌ اذا لبسوا الدروعَ حسبتَهَا * خُلُقًا تَمُدّ بها أكُفُّ بحار
لو شرَّعوا أيمانَهم فى طولها * طعَنوا بها عوَضَ القَنا الخطّار
جَنَبوا الجيادَ الى المَطِىّ وراوَحوا * بين السُّروج هُنالكَ والأكوار

وكأنما مَلَؤا عيابَ دُروعهم * وعُمود أنْصُلهم سَرابَ قفار
وكأنما صَنْعُ السَوابغ عَزَّهُ * ماءُ الحديد فصاغ ماءَ قَرار
زَرَدًا فأحكم كُلَّ مَوْصل حَلْقة * بجَبابه فى موضع المسمار
فتَسَربَلُوا بمُتون ماء جامد * وتقنّعوا بجَباب ماء جار
أُسْدٌ ولكن يُؤثرون بزادهم * والأسْدُ ليس تَدين بالايثار
يتزيّن النادى بحُسْن وُجوههم * كتزيُّن الهالات بالأقمار
يتعطّفون على المُجاور فيهمُ * بالمُنْفسات تعطُّف الأطْآر
من كل مَن جعل الظُبَى أنصارَه * وتَرَكْنَ واستغنَى عن الانصار
واذا هو اعتقلَ القناةَ حَسِبْتَها * صلًّا تأبَّطه هِزَبْرٌ ضار
والليثُ ان ثاوَرْتَه لم يَعْتَمد * الّا على الأنياب والاظفار
زَرَدُ الدلاص من الطعان يُريحُهُ * فى الجفَل المُتضايق الجرّار
ما بين ثوب بالدماء مُضَمَّخ * زَلِق وثَقْع بالطِراد مُثار
والهُونُ فى ظلّ الهُوَيْنا كامنٌ * وجَلالة الأخْطار فى الاخطار
تَنْدَى أسرَّةُ وجهه ويمينُه * فى حالة الاعسار والايسار
ويَمُدُّ نحوَ المَكْرُمات أنامِلا * للرزق فى اثنائهنّ مَجَار
يَحْوى المَعالى كاسبا أو غالبا * أبدًا يُدارَى دونَها ويُدارى
قد لاح فى ليل الشباب كواكبٌ * ان أُمْهلَتْ آلت الى الاسفار

وتلهّب الاحشاء شيب مفرق * هذا الضياء شواظ تلك النار
شاب القذال وكل غصن ضائر * فمنانه الاحوى الى الازهار
والشيب منجذب فلم يبض الدمى * عن بيض مفرقه ذوات نفار
وتود لو جعلت سواد قلوبها * وسواد أعينها خضاب عذار
لا تنفر الظبيات عنه فقد رأت * كيف اختلاف النبت فى الأطوار
شيآن ينقشعان أول وهلة * ظل الشباب وخلة الأشرار
لاحبذا الشيب الوفى وحبذا * ظل الشباب الخائن الغدار
وطرى من الدنيا الشباب وروقه * فاذا انقضى فقد انقضت أوطارى
قصرت مسافته وما حسناته * عندى ولا آلاؤه بقصار
تزداد هما كلما ازددنا غنى * والفقر كل الفقر فى الاكثار
مازاد فوق الزاد خلف ضائعا * فى حادث أو وارث أو عار
إنى لأرحم حاسدى لحرّما * ضمنت صدورهم من الأوغار
نظروا صنيع الله بى فعيونهم * فى جنة وقلوبهم فى نار
لاذنب لى قد رمت كتم فضائلى * فكأنما برقعت وجه نهار
وسترتها بتواضعى فتطلعت * أعناقها تعلو على الاستار
ومن الرجال معالم ومجاهل * ومن النجوم غوامض ودرارى
والناس مشتبهون فى إيرادهم * وتفاضل الأقوام فى الاصدار

عَمْرى لقد أوطأتهم طُرُقَ العُلا * فَعُموا فلم يَقفوا على آثارى
لو أبصروا بقلوبهم لاستبصروا * وعَمى البصائر من عَمى الأبصار
هَلَّا سَعَوْا سَعْىَ الكرام فأدركوا * أو سَلَّمـوا لمواقع الأقـدار
وفَشَتْ خيانات الثقات وغيرهم * حتى اتَّهَمْنا رؤيةَ الأبصـار
ولَرُبما اعْتَضَد الحليم بجاهلٍ * لاخيرَ فى يُمْنَى بغـير يَسار

الأرجوزة التى استخلصها تقى الدين أبو بكر بن حجة الحموى من كتاب الصادح والباغم

العَيْشُ بالرزق وبالتقـدير * وليس بالرأى ولا التـدبير
فى الناس مَن تُسْعِدُه الأقدار * وفعـلُ جميعُـه إدبار
مَن عَرف الله أزالَ التُّهَمْ * وقال كلُّ فعـله للحكمـهْ
مَن أنكرَ القضاءَ فهو مُشْرِكٌ * إنّ القضاء بالعباد أملَكُ
ونحـن لانُشْرِكُ بالله ولا * نَقْنَطُ من رحمته إذ نُبْتَلَى
عارٌ علينا وقبيحٌ ذِكْـرِ * أن نجعل الكُفْرَ مكان الشكرِ
وليس فى العالَم ظلمٌ جارى * اذ كان ما يجرى بأمر البارى
وأسـعدُ العالَم عنـد الله * مَن ساعَدَ الناسَ بفضل الجاه
ومَن أغاثَ البائسَ الملهوفا * أغاثه اللهُ اذا أُخيفـا
إنّ العظيمَ يدفع العظيما * كما الجسيمُ يحمل الجسيما

ذاك من خلائق الكرام * رحمةً ذى البلاء والأسقام
وانّ من شرائط العُلُوّ * العطفَ فى البؤس على العدو
قد قضت العقول أنّ الشفقه * على الصديق والعدوّ صدقه
وقد علمتَ واللبيبُ يعلم * بالطبع لا يُرحَم مَن لا يَرحَم
فالمرءُ لا يدرى متى يُمتَحن * فانه فى دهره مُرتَهَن
وان نجا اليومَ فما يَنجو غدا * لا يأمَن الآفات الا ذو الرَدَى
لا تَغْتَرِرْ بالخَفْض والسلامه * فانما الحياة كالمُدامه
والعمرُ مثلُ الكأس والدهرُ القَدَرْ * والصَفْوُ لابُدَّ له من الكَدَر
وكُلُّ انسان فلا بُدَّ لَهُ * من صاحب يَحْمل ما أثقلَه
جَهْدُ البلاء صحبة الاضداد * فانها كَيٌّ على الفؤاد
أعظمُ ما يلقى الفتى من جَهْد * أن يُبتَلى فى جِنْسه بالضِّدّ
فانما الرجالُ بالاخوان * واليدُ بالساعد والبَنان
لا يَحْقر الصُحْبَةَ الا جاهلُ * أو مارقٌ عن الرشاد غافلُ
صُحْبَةُ يوم نَسَبٌ قريبُ * وذِمَّةٌ يحفظُها اللبيب
ومُوجَبُ الصداقة المُساعده * ومقتضى المَوَدّة المُعاضده
لاسيما فى النُوَب الشدائد * والمحن العظيمة الأوابد
فالمرءُ يُحيى أبدا أخاه * وهو اذا ماعدّ من أعداه

وانّ مَن عاشَرَ قومًا يوما * ينصُرُهـم ولا يَخاف لَوْما
وانّ مَن حارَبَ مَن لا يَقْوَى * لحَرْبه جَرّ اليه البَـلْوَى
فحارب الأكْفاء والاقرانا * فالمرءُ لا يُحارب السلطانا
واقْنَعْ اذا حارَبْتَ بالسلامه * واحذَرْ فعالًا توجبُ الندامه
فالتاجرُ الكَيّس فى التجاره * مَن خاف فى مَتْجَره الخساره
يَجْهَد فى تحصيل رأس ماله * ثم يَروم الرِبْحَ باحتياله
وان رأيتَ النصر قد لاحَ لكا * فلا تُقَصّرْ واحترز أن تَهلكا
واسْبِقْ الى الأجود سَبْق الناقد * فَسَبْقُكَ الخَصْمَ من المكايد
وانتهز الفُرصة انّ الفرصه * تَصير إن لم تنتهزْها غُصّه
كم بَطَـرَ الغالب يوما فترَكْ * عنه التوقّى واستهانَ فهلكْ
ومَن أضاعَ جُنْدَه فى السِلْم * لم يحفظوه فى لقاء الخَصْم
وانّ من لا يَحْفَظ القُـلوبا * يُخْذَلُ حين يَشْهَد الحُروبا
والجُنْدُ لا يَرْعَوْنَ مَن أضاعهم * كَلّا ولا يَحْمون مَن أجاعهم
وأضعفُ الملوكِ طُرًّا عَقْدًا * مَن غَرّه السِلْمُ فأقْصَى الجندا
والحزم والتدبيرُ رُوح العزم * لا خيرَ فى عزمٍ بغير حزم
والحزم كل الحزم فى المُطاوله * والصبر لا فى سرعة المزاوله
وفى الخُطوب تَظهر الجواهرُ * ما غَلَبَ الأيامَ الا الصابر

لاتيأسَنْ من فَرَجٍ ولطف * وقُوَّة تظهر بعدَ ضَعْف
فربما جاءكَ بعدَ اليأس * رَوْحٌ بلا كَدٍّ ولا التماس
في لمحة الطَرف بُكاءٌ وضَحِكْ * وناجِذٌ بادٍ ودمعٌ يَنْسَفِكْ
تَنَـــال بالرِّفْق وبالتـــأنى * مالم تَنَلْ بالحِرْص والتَعَنّى
ماأحسنَ الثباتَ والتَجَلُّدا * وأقبحَ الحَـــيْرة والتبلُّدا
ليس الفتَى الا الذى إن طَرَقَهْ * خَطْبٌ تَلَقاه بصَبْرٍ وثِقَه
اذا الرَزايا أقبلت ولم تَقِفْ * فَمُّ أحوالُ الرجال تختلف
وكم لقيتُ لَذَّةً فى زمـــنى * فأصْبِرُ الآنَ لهَـذى المحَنِ
فالمـوتُ لايكون الا مَرَّة * والموتُ أحْلَى من حياةٍ مُرَّة
انى من الموت على يَقِين * فاجْهَـد الآن لما يَفِينى
صَبْراً على أهوالها ولا ضَجَرْ * وربما فازَ الفتى اذا صَبَرْ
لايَجْزَع الحُرّ من المصائب * كلا ولا يَخْضَـع للنوائب
فالحرّ للعبْء الثقيل يَحْمِلُ * والصَبْرُ عند النائبات يَحْمِلُ
لكل شئ مـدةٌ وتنقضى * ماغَلَبَ الايامَ الا مَن رَضِى
قد صَدَقَ القائلُ فى الكلام * ليس النُهَى بعَظْم العظام
لاخَيْرَ فى جسامة الأجسام * بل هو فى العُقول والافهام
فالخَيْـــل للحرب وللجَمال * والابْل للحَـــمْل وللتَرْحال

لاتحتقرْ شيأ صغيرا يُحتقَرْ * فربما أسالتْ الدمَ الابَرْ
لاتُحرِجِ الخصمَ فى احراجه * جميعُ ماتكْرَه من لجاجه
لاتطلُبِ الفائتَ باللجاج * وكُنْ اذا كويْتَ ذا انضاج
فعاجزٌ مَن ترَكَ الموجودا * طَماعةً وطلبَ المفقودا
وفتّش الامورعن أسرارها * كم نُكْتَةٍ جاءتْ مَعْ اظهارها
لَزِمْتَ للجهل قبيحَ الظاهر * وما نظرْتَ حَسَنَ السرائر
ليس يَضُرّ البدرَ فى سناهُ * أنّ الضريرَ قطُّ لايراه
كم حكمة أضْحَت بها المحافل * نافقةً وأنتَ عنها غافل
ويَعْقِلون عن خَفِيّ الحكمه * ولو رأوها لأزالوا التهمه
كم حَسَنٍ ظاهرُه قبيح * وسَمجٍ عُنْوانُه مليح
والحقّ قد تَعلَمُه ثقيل * أبَوْهُ إلاّ نَفَرٌ قليل
فالعاقل الكامل فى الرجال * لايَنْثَنى لزُخْرف المقال
انّ العَدُوّ قولُه مَرْدود * وقلّما يُصَدَّق الحسود
لاتُقْبَلُ الدعوَى بغير شاهد * لاسيما ان كان من مُعاند
أيؤخذ البَرِيءُ بالسقيم * والرَجُل المُحْسِن باللئيم
كذالكَ مَن يَسْتَنْصِح الأعادى * يُردونَه بالغش والفساد
ان أكَلَّ مَن ترى أذهانا * مَن حَسَبَ الاساءةَ الاحسانا

فادْفَعْ اساءةَ العدَى بالحُسْنَى * ولا تَخَلْ يُسْرالكَ مثْلَ اليُمْنَى
وللرجال فاعْلَمَنْ مَـكايدُ * وخِدَعٌ مُنكَرَةٌ شَـدائد
فالنَّـدْب لا يَخْضَعُ للشدائد * قَطّ ولا يَغْتاظ بالمـكايد
فَرَقِّع الخَرْق بلطف واجتهد * وامكُر اذا لم ينفع الصدقُ وكد
فهكذا الحازم اذ يكيـد * يَبْلـغ فى الأعداء ما يُريد
وهو بَرِىءٌ منهم فى الظاهر * وغـيرُه مُخْتَضب الاظـافر
والشَّهْم مَن يُصلح أمرَ نفسه * ولو بقتل وُلْده وعِرْسـه
وانّ مَن يقصد قَلْع ضِرسه * لم يَعتمد الا صلاح نفسـه
وانّ مَن خَصّ اللئيمَ بالنَّدَى * وجدْتَه كمن يُربّى أسَـدا
وليس فى طَبْع اللئيم شُكْر * وليس فى أصل الدنىء نَصْر
وانّ مَن ألزَمَـه وكَلَّفَـه * ضدّ الذى فى طبعه ما أنْصَفَه
كذاكَ مَن يَصْطَنع الجُهّالا * ويؤثر الأرذال والانذالا
لو أنكم أفاضلُ أحرار * ما ظَهَرَتْ بينكم الأسرار
انّ الاصولَ تَجذب الفُروعا * والعِرْق دَسّاس اذا أُضيعا
ما طابَ فَرْعٌ أصلُه خبيث * ولا زكا مَن مَجْدُه حديث
قد يُدركون رُتَبًا فى الدنيا * ويبلُغون وَطَرًا من بُغْيا
لكنهم لا يبلُغون فى الكرم * مبلَغ مَن كان له فيها قدم

وكل مَن تمائلتْ أطرافُهُ * في طيبها وكرُمتْ أسلافه
كان خليقا بالعُلَى وبالكرم * وبرَعتْ في أصله حُسْنُ الشيم
لولا بُنُو آدمَ بين العالَم * ما بانَ للعُقول فضل العالم
فواحدٌ يُعطيكَ فضلا وكرم * فذاكَ مَن يكفُرُه فقد ظَلم
وواحدٌ يعطيكَ للمُصانَعة * أو حاجة له اليكَ واقعه
لا تَشْرَهَنْ الى حُطام عاجل * كم أُكلة أودَتْ بنفس الآكل
واذكر أخيّ يافتى من الشَرَه * وقِسْ بما رأيتَه مالم تره
فليس مِن عَقْل الفتى أو كرمه * افسادُ شخص كامل لقَرَمه
فالبَغْيُ داءٌ ماله دواء * ليس لمُلْكٍ معه بقاء
والبغي فاحذرْه وخيمُ المَرْتَع * والعُجْبُ فاتركه شديدُ المصرع
والغَدْر بالعهد قبيحٌ جدا * شرّ الورى مَن ليس يَرْعَى العهدا
عند تمام الأمر يبدو نَقْصُه * وربما ضرّ الحريصَ حرصُه
وربما ضَرَّ بعضُ مالكا * وساءَ المحسن من رجالكا
فالمرءُ يَفْدي نفسَه بوفْره * عساه أن يَنْجُو به من أسره
لا تُعْطِيَنّ شيأ بغير فائده * فانها من السجايا الفاسده

فى خواص مصر العامة لها لعبد اللطيف البغدادى

انّ أرض مصر من البلاد العجيبة الآثار الغريبة الاخبار وهى واد يكتنفه جَبَـلان شرقىّ وغربىّ والشرقى أعظمُهما يبتـدئان من أسوان ويتقاربان باسنا حتى يكادا يتماسّان ثم ينفرجان قليلا قليلا وكلما امتدّا طولا انفرجا عرضا حتى اذا حاذيا الفُسْطاط كان بينهما مسافة يوم فما دونه ثم يتباعدان أكثر من ذلك والنيلُ ينساب بينهما ويتشعب باسافل الارض وجميعُ شُعَبه تَصُبّ فى البحر المالح

وهذا النيل له خاصّتان الاولى بُعْد مرماه فانا لانعلم فى المعمورة نهرا أبعد مسافةً منه لانّ مَبادئَه عُيون تأتى من جبل القمر وزعموا ان هذا الجبل وراء خط الاستواء باحدى عشرة درجة ونصف درجة وعرض اسوان وهى مبـدأ أرض مصر اثنتان وعشرون درجة وعرض دمياط وهى أقصى أرض مصر احدى وثلاثون درجة وثلث درجـة فتكون مسافة النيـل على خط مستقيم ثلاثا وأربعين درجة تنقص سـدسا ومساحة ذلك تقريبا تسعمائة فرسخ هـذا سوى مايأخذ من التعريج فان اعتبر ذلك تضاعفت المساحة جدا

والخاصة الثانية انه يزيد عند نُضوب سائر الانهار ونَشيش المياه لانه يبتـدئ بالزيادة عند انتهاء طول النهار وتتناهى زيادته عنـد الاعتدال

الخريفي وحينئذ تُفتح الترع وتَفيض على الاراضي وعلّة ذلك ان مواد زيادته أمطار غزيرة دائمة وسيول متواصلة تُمدُّه في هذا الاوان فان أمطار الاقليم الاول والثاني انما تَغْزُر في الصَّيف والقَيظ

وأما أرض مصر فلها أيضا خَواصّ منها انه لايقع بها مطر الا مالا احتفال به وخصوصا صَعيدها فاما أسافلها فقد يقع بها مطر جَوْد لكنه لا يفي بحاجة الزراعة وأما دِمْياط والاسكندرية وما داناهما فهي غزيرة المطر ومنه يشربون وليس بارض مصر عين ولا نهر سوى نيلها

ومنها أن أرضها رملية لاتصلح للزراعة لكنه يأتيها طينٌ أسودُ عَلَكٌ فيه دُسومة كثيرة يُسمى الأبليز يأتيها من بلاد السودان مختلطا بماء النيل عند مَدّه فيستقر الطين ويَنْضُب الماء فيُحْرَث ويزرع وكل سنة يأتيها طين جديد ولهذا تزرع جميع أراضيها ولا يراح شئ منها كما يفعل في العراق والشام لكنها تُخالَف عليها الاصناف وقد لحظت العرب ذلك فانها تقول اذا كثرت الرياح جادت الحراثة لانها تجيء بتراب غريب وتقول أيضا اذا كثرت المؤتفكات زكا الزرع ولهذه العلة تكون أرض الصعيد زكيّة كثيرة الاتاء والرَيْع اذ كانت أقرب الى المبدأ فيحصل فيها من هذا الطين مقدار كثير بخلاف أسفل الأرض فانها أُسافَةٌ مَضْوية اذ كانت رقيقة ضعيفة الطين لانه يأتيها الماء وقد راق وصَفَا ولا أعرف

شبيها بذلك الا ماحكى لى عن بعض جبال الاقليم الاول ان الرياح تأتيه وقت الزراعة بتراب كثير ثم يقع عليه المطر فيتلبد فيحرث ويزرع فاذا حُصد جاءته رياح أخرى فنسفته حتى يعود أجرد كما كان أولا

ومنها ان الفصول بها متغيرة عن طبيعتها التى لها فان أخص الاوقات بالبُيْس فى سائر البلاد أعنى الصيف والخريف تكثر فيه الرطوبة بمصر بمد نيلها وفيضه لانه يمد فى الصيف ويُطبّق الارض فى الخريف فأما سائر البلاد فان مياهها تنش فى هذا الاوان وتغور. فى أخص الاوقات بالرطوبة أعنى الشتاء والربيع ومصر اذا ذاك تكون فى غاية القُحولة والبُيْس ولهذه العلة تكثر عفوناتها واختلاف هوائها وتغلب على أهلها الامراض العَفَنيّة الحادثة عن اخْلاط صفراوية وبَلْغَمية وقَلّما تجد فيهم أمراضا صفراوية خالصة بل الغالب عليها البلغم حتى فى الشُبّان والمحرورين وأكثر أمراضهم فى آخر الخريف وأول الشتاء لكنها يغلب عليها سلامة العاقبة وتقل فيهم الامراض الحادة والدموية الوَحيّة واما أصحاؤهم فيغلب عليهم النَزْل والكسل وشُحوب اللون وكُودته وقَلّما ترى فيهم مَشْبوب اللون ظاهر الدم وأما صبيانهم فَضاويّون يَغْلب عليهم الدَمامة وقلة النَضارة وانما تَحْدث لهم البَدانة والقَسامة غالبا بعد العشرين وأما ذكاؤهم وتوقد أذهانهم وخفة حركاتهم فلحرارة

بلدهم الذاتية لأن رطوبته عرضية ولهذا كان أهل الصعيد أقل جسوما وأجف أمزجة والغالب عليهم السمرة وكان ساكنو الفسطاط الى دمياط أرطب أبدانا والغالب عليهم البياض

ولما رأى قدماء المصريين أن عمارة أراضيهم انما هي بنيلها جعلوا أول سنتهم أول الخريف وذلك عند بلوغ النيل الغاية القصوى من الزيادة

ومنها أن الصبا محجوبة عنهم بجبلها الشرقي المسمى المقطم فانه يستر عنها هذه الريح الفاضلة وقلما تهب عليهم خالصة اللهم الا نكباء ولهذا اختار قدماء المصريين أن يجعلوا مستقر الملك منف ونحوها مما يبعد عن هذا الجبل الشرقي الى الغربي واختار الروم الاسكندرية وتجنبوا مواضع الفسطاط لقربه من المقطم فان الجبل يستر عما في لحفه أكثر مما يستر عما بعد منه ثم ان الشمس يتأخر طلوعها عليهم فيقل في هوائهم النضج ولذلك تجد المواضع المنكشفة للصبا من أرض مصر أحسن حالا من غيرها ولكثرة رطوبته تتسارع العفن اليها ويكثر فيها الفأر ويتولد من الطين والعقارب تكثر بقوص وكثيرا ماتقتل بلسبها والبق المنتن والذباب والبراغيث تدوم زمانا طويلا ومنها أن الجنوب اذا هبت عندهم في الشتاء والربيع وفيما بعد ذلك كانت باردة جدا ويسمونها المريسي

لمرورها على أرض المَريس وهى من بلاد السودان وسببُ بردها مرورُها على برلَّ ونقائع والدليـل على صحة ذلك انها اذا دامت أياما متواليـة عادت الى حرارتها الطبيعية وانْحَنَتْ الهواء وأحدثت فيها يُبْسا

من لامية العجم لمؤيد الدين الطُغْرائى

اصالةُ الرأى صانَتْنى عن الخَطَل * وحليةُ الفضل زانَتْنى لَدَى العَطل
مَجْدى أخيرا ومجدى أوّلا شَرَعُ * والشمس رادَ الضحى كالشمس فى الطَفَل
فيمَ الاقامةُ بالزَوراء لاسَكَنى * بها ولا ناقتى فيها ولا جَمَلى
ناء عن الاهل صفْرُ الكَفّ منفرد * كالنَصْل عُرّى مَتْناهُ عن الحَلَل
فلا صَديق اليه مشتكَى حَزَنى * ولا حبيب اليـه منتهَى جَذَلى
طال اغترابى حتى حَنّ راحلتى * ورَحلُها وقَنا العسّالة الذُبُل
وضَجّ من لَغَب نضْوى وعَجّ لِمَا * يلقاه قلبى ولجّ الركْبُ فى عَذَلى
أُريد بَسطة كَفّ أستعين بها * على قضاء حقوق للعُلَى قِبَلى
والدهرُ يعكس آمالى ويُقنعُنى * من الغنيمة بعد الكدّ بالقَفَل
وذى شَطَاط كصدر الرمح مُعتقل * بمثْله غير هَيّاب ولا وَكل
حُلو الفكاهة مُرّ الجدّ قد مُزجَتْ * بقَسوة البأس منه رقّةُ الغَزَل
طرَدْتُ سَرْحَ الكَرَى عن وِرْد مقلته * والليلُ أغرَى سَوامَ النَوْم بالمُقَل
والركبُ ميلٌ على الأكوار من طَرَبٍ * صاحٍ وآخَرَ من خمر الكَرَى ثَمِل

فقلت أدعوكَ للجُلَّى لتنصُرنى * وأنت تَخْذُلُنى فى الحادث الجَلَل

تَنام عينى وعينُ النجم ساهرة * وتستحيل وصبْغ الليل لم يَحُل

حُبُّ السلامة يَثْنى هَمَّ صاحبه * عن المَعالى ويُغْرى المرءَ بالكَسَل

وان جَنَحْتَ اليه فاتخِذْ نَفَقًا * فى الارض أو سُلَّما فى الجوّ فاعتزل

ودَعْ غمارَ العُلَى للمُقْدمين على * رُكوبها واقتنِعْ منهنّ بالبَلَل

يَرْضَى الذليلُ بخَفْض العَيْش مَسْكَنةً * والعزُّ بين رَسيم الأَيْنُق الذُّلُل

وادْرأ بها فى نُحور البيد جافلةً * مُعارضات مَثانى اللُّجْم بالجُدُل

انّ العُلَى حدّثتْنى وهى صادقة * فيما تُحدّثُ أنّ العزّ فى النُّقَل

لو أنّ فى شَرَف المَأْوَى بلوغَ مُنًى * لم تَبْرَح الشمسُ يوما دارةَ الحَجَل

أَهَبْتُ بالحَظّ لو ناديتُ مستمعًا * والحَظّ عَنّى بالجُهّال فى شُغُل

لَعَلّه إن بدا فَضْلى ونَقْصُهُمُ * لعينه نام عنهم أو تنبّه لى

أُعلّل النفْس بالآمال أرقُبُها * ما أضيقَ العيشَ لولا فُسْحةُ الأمل

لم أرضَ بالعيش والايام مُقبلة * فكيف أرضى وقد ولّت على عَجل

غالَى بنفسىَ عزّانى بقيمتها * فصُنْتُها عن رَخيص القَدْر مبتذَل

وعادةُ النَّصْل أن يُزْهَى بجوهَره * وليس يَعْمَل إلّا فى يَدَىْ بَطَل

ما كنتُ أُوثر أن يمتدّ بى زَمَنى * حتى أَرَى دولةَ الأوغاد والسَّفَل

تقدّمتنى أُناس كان شَوْطُهُمُ * وراءَ خَطْوىَ اذ أمشى على مَهَل

هـذا جزاءُ امرئٍ أقرانُه درَجوا ❊ من قبْـله فتمنَّ فُسْحةَ الأجَـل
وان علانيَ مَن دونى فـلا عجَبٌ ❊ لى أسوةٌ بانحطاط الشمس عن زُحَل
فاصبِرْ لها غيرَ محتال ولا ضجِرٍ ❊ فى حادث الدهر ما يُغْنى عن الحيَل
أعدَى عدُوّكَ أدنى مَن وثقْتَ به ❊ فاحذر الناسَ واصحَبْهم على دَخَل
فانما رَجُـل الدنيـا وواحدُها ❊ مَن لا يعوّل فى الدنيا على رجل
وحُسْـنُ ظنّكَ بالايام معجَـزةٌ ❊ فظُنّ شرًّا وكُنْ منها على وَجَل
غاضَ الوفاءُ وفاضَ الغدْرُ وانفرجت ❊ مسافةُ الخُلْف بين القول والعمـل
وشانَ صدْقَكَ بين الناس كذْبُهمُ ❊ وهـل يُطابَقُ معْوَجٌّ بمعتـدل
ان كان يجمَـع شئ فى ثَباتهم ❊ على العُهود فسَبْقُ السيف للعَذَل
ياوارداً سُؤْرَ عَيْش كُلُّـه كَدَرٌ ❊ أنفقْتَ صفْوَكَ فى أيامك الأوَل
فيمَ اعتراضُكَ لُجَّ البحر تركَبُـه ❊ وأنت تكفيكَ منه مَصّةُ الوَشَل
مُلْكُ القناعة لا يُخشَى عليه ولا ❊ يُحتاج فيه الى الأنصار والخوَل
ترجو البقاءَ بدارٍ لا ثَباتَ لها ❊ فهـل سمعتَ بظل غير مُنتقـل
ويا خبـيرا على الأسْرار مُطّلعا ❊ أصْمُتْ ففى الصمْتِ منجاةٌ من الزلَل
قد رُشّحولكَ لأمرٍ ان فطِنْتَ له ❊ فارْبأْ بنفسكَ أن ترْعَى مع الهمَل

قال الطغرائى يفتخر

أبى اللهُ أن أسْمو بغير فضائلى * اذا ما سما بالمال كُلُّ مُسَـــوَّدِ
وان كَرُمَتْ قبلى أوائلُ أُسْرَتى * فانى بحمد الله مبدأ سُؤْددى
يُذَمُّ لاجلى المُهْر ان يَكْبُ مرةً * بجَدّى وان ينهض بجدّىَ يُحْمَد
وما منصبٌ الا وقَـدْرىَ فوقَه * ولو حُطَّ رَحْلى بين نَسْرٍ وفَرْقَد
اذا شرُفت نفسُ الفتى زاد قدرُه * على كل أسنَى منه ذكْرًا وأمجد
كذالك حديد السيف ان يَصْفُ جوهرا * فقيمتُه أضعافه وَزْن عَسْجَد
تكادُ تَرَى مَن لا يُقاس بجادُه * بشِسْعى اذا ماضَمَّنا صَدرُ مَشهد
وما المـــالُ الا عارةٌ مُسْتَرَدّة * فهلّا بفضلى كاثَرُونى وتحتدى
اذا لم يكن لى فى الولاية بَسْطةٌ * يَطول بها باعى وتَسطو بها يدى
ولا كان لى حُكْمٌ مُطاع أُجيزه * فأُرغم أعدائى وأَكْبتُ حُسَّدى
فأُعْذَرُ ان قصَّرتُ فى حَقّ مُجْتَد * وآمَنُ أن يعتادنى كيدُ مُعْتَد
أأُكْفَى ولا أَكفِى وتلك غَضَاضة * أرى دونَها وقْعَ الحُسام المُهَنَّد
ولولا تكاليف العُلَى ومَغارمٌ * ثقالٌ وأعقاب الاحاديث فى غد
لأعطيتُ نفسى فى التخلّى مُرادَها * فذالك مُرادى مُذ نشأتُ ومقصدى
من الحزم أن لا يَنْجَر المرءُ بالذى * يُعانيه من مكروهة فكأن قد
اذا جَلدى فى الامر خانَ ولم يُعِنْ * مُرَيرَةُ عزمى نابَ عنه تَجَلُّدى

ومن يستعن بالصبر نال مُرادَه * ولو بعدَ حينٍ انه خيرُ مُسعد

المقامة الاولى الصَنْعانية

حدّث الحارث بن هَمّام قال لما اقتعدْتُ غاربَ الاغتراب وأنأتني المَـثْرَبة عن الاتراب طَوحتْ بي طوائحُ الزمن الى صَـنعاء اليمن فدخلتُها خاوِيَ الوِفاض بادِيَ الانْفاض لا أملكُ بُلْغـه ولا أجد في جرابي مُضْغـه فطفقْتُ أجوب طُرُقاتها مثْـلَ الهائم وأجُول في حَوْماتها جَوَلانَ الحائم وأرُود في مَسارح لَحاتي ومَسايح غَدَواتي ورَوْحاتي كريما أُخْلق له ديباجَتي وأبُوح اليـه بحاجَتي أو أديبًا تُفَرّج رُؤيَتُـه غُمّتي وتُروى روايَتُـه غُلّتي حتى أدّتْني خاتمةُ المَطاف وهَـدَتْني فاتحـةُ الأَلْطاف الى نادٍ رَحيب مُحْتَوٍ على زحام ونَحيب فوَلَجْتُ غابةَ الجَمْع لأَسْبُرَ مُجْلَبَةَ الدَمْع فرأيت في بُهْرة الحَلْقة شَخْصا شَخَتَ الخلْقة عليـه أُهْبَة السـياحة وله رَنّة النياحة وهو يَطْبَع الأَسْماع بجَواهر لَفْظه ويَقْرَع الأَسْماع بزَواجر وَعْظه وقد أحاطَت به أخْلاط الزُمَر احاطَةَ الهالة بالقَمَر والاكَمام بالثَمَر فدَلَفْتُ اليـه لأَقْتَبس من فوائده وأَلْتَقط بَعض فرائده فسمعتُـه يقول حينَ خَبّ في مَجاله وهَـدَرَتْ شَقاشِقُ ارتجاله أيُّها السادر في غُلَوائه السادل ثَوْبَ خُيَلائه الجامح في جَهالاته الجانح الى نُخَزْعِـلاته إلامَ تَسْتَمِرّ

على غيّك وتستمرئ مرعى بغيك وحتام تتناهى فى زهوك ولا تنتهى
عن لهوك تبارز بمعصيتك مالك ناصيتك وتجترئ بقبح سيرتك
على عالم سريرتك وتتوارى عن قريبك وأنت بمرأى رقيبك وتستحى
من مملوكك وما تخفى خافيـة على مليكك أتظن أن ستنفعك حالك
اذا آن ارتحالك أو ينقذك مالك حين توبقك أعمالك أو يغنى
عنك ندمك اذا زلت قدمك أو يعطف عليك معشرك يوم يصمك
محشرك هلا انتهجت محجة اهتدائك وعجلت معالجة دائك وفللت
شباة اعتدائك وقدعت نفسك فهى أكبر أعدائك أما الحمام ميعادك
فما إعدادك وبالمشيب انذارك فما اعذارك وفى اللحد مقيلك فما
قيلك والى الله مصيرك فمن نصيرك طالما أيقظك الدهر فتناعست
وجذبك الوعظ فتقاعست وتجلت لك العبر فتعاميت وحصحص لك
الحق فتماريت وأذكرك الموت فتناسيت وأمكنك أن تواسى فما آسيت
تؤثر فلسا توعيه على ذكر تعيه وتختار قصرا تعليه على بر تواليه
وترغب عن هاد تستهديه الى زاد تستهديه وتعلب حب ثوب تشتهيه
على ثواب تشتريه مواقيت الصلات أعلق بقلبك من مواقيت الصلاة
ومغالاة الصدقات آثر عندك من موالاة الصدقات وصحاف الالوان
أشهى اليك من صحائف الاديان ودعابة الاقران آنس لك من

تلاوة القرآن تأمر بالعُرف وتنتهك حماه وتحمى عن النُكر ولا تتحاماه وتزجر عن الظُلم ثم تغشاه وتخشى الناس والله أحقُّ أن تخشاه

ثم أنشد

تبًّا لطالب دُنيا ✻ تنى اليها أنصبابَهْ
ما يستفيق غراما ✻ بها وفرط صبابَهْ
ولو درى لكفاه ✻ مما يروم صُبابَهْ

ثم انه لبَّد عجاجتَهْ وغمَّض مُجاجتَهْ واعتضد شكوتَهْ وتأبَّط هراوتَهْ فلما رنت الجماعة الى تحفُّزه ورأت تأهُّبه لمُزايلة مركزه أدخل كلٌّ منهم يده فى جيبه فأقعَ له سجلا من سيبه وقال اصرف هذا فى نفقتك أو فرِّقه على رُفقتك فقبله منهم مُغضيا وانثنى عنهم مُثنيا وجعل يودِّع من يُشيِّعه ليخفى عليه مهيعه ويُسرب من يتبعه لكى يجهل مربعه (قال الحارث بن همام) فاتبعتُه مُواريًا عنه عيانى وقفوت اثرَه من حيث لا يرانى حتى انتهى الى مغارَه فانساب فيها على غرارَه فأمهلتُه ريثما خلع نعليه وغسل رجليه ثم هجمتُ عليه فوجدتُه مُشافنًا لتلميذ على خُبز سميذ وجدْى حنيذ وقُبالتَهما خابيةُ نبيذ فقلت له ياهذا أيكون ذالك خبرك وهذا مخبرك فزفر زفرة القيظ وكاد يتميز من الغيظ ولم يزل يُحملق الىّ حتى خفتُ أن يسطو علىّ فلما أن خبتْ ناره وتوارى أُواره أنشد

لَبِسْتُ القَمِيصَةَ أَبْغِي القَبِيصَه * وأَنْشَبْتُ شِصِّيَ فِي كُلِّ شِيصَه
وصَيَّرْتُ وَعْظِي أُحْبُولَةً * أُرِيغُ القَنِيصَ بِهَا والقَنِيصَه
وأَلْجَأَنِي الدَّهْرُ حَتَّى وَلَجْتُ * بِلُطْفِ احْتِيالِي عَلَى اللَّيْثِ عِيصَه
عَلَى أَنَّنِي لَمْ أَهَبْ صَرْفَه * ولا نَبَضَتْ لِيَ مِنْه فَرِيصَه
ولا شَرَعَتْ بِي عَلَى مَوْرِدٍ * يُدَنِّسُ عِرْضِيَ نَفْسٌ حَرِيصَه
ولو أَنْصَفَ الدَّهْرُ فِي حُكْمِه * لَمَا مَلَّكَ الحُكْمَ أَهْلَ النَّقِيصَه

ثم قال لي ادْنُ فَكُلْ وان شِئْتَ فَقُمْ وقُلْ فالْتَفَتُّ الى تلميذه وقُلْتُ عَزَمْتُ عليكَ بِمَنْ تَسْتَدْفِعُ به الأَذَى لَتُخْبِرَنِّي مَنْ ذَا فقال هذا أبو زَيْد السَّرُوجِيّ سِرَاجُ الغُرَبَاءِ وتَاجُ الأُدَبَاءِ فانْصَرَفْتُ من حَيْثُ أَتَيْتُ وقَضَيْتُ العَجَبَ مما رأَيْتُ

المقامةُ الثالثة الدينارية

رَوَى الحارثُ بنُ هَمَّامٍ قال نَظَمَنِي وأَخْدَانًا لي ناد لم يَخْبُ فيه مُناد ولا بَكَا قَدْحُ زِنَاد ولا ذَكَتْ نارُ عِناد فَبَيْنَا نحنُ نَتَجَاذَبُ أَطْرَافَ الاناشيد ونَتَوَارَدُ طُرَفَ الاسانيد اذْ وَقَفَ بنا شَخْصٌ عليه سَمَلٌ وفي مِشْيَتِه قَمَلٌ فقال يا أَخَايِرَ الذَّخَائِرِ وبَشَائِرَ العَشَائِرِ عُمُّوا صَبَاحًا وأَنْعِمُوا اصْطِبَاحًا وانظروا الى مَنْ كان ذَا نَدِيٍّ ونَدًى وجِدَةٍ وجَدًى وعِقَارٍ وقُرًى ومَقَارٍ وقِرًى فما زالَتْ به قُطُوبُ الخُطُوبِ وحُرُوبُ الكُرُوبِ وشُرُورُ شَرِّ الحُسُودِ

وانتيابُ النُوب السُود حتى صَـفرَتْ الراحه وقَرِعَتْ الساحه وغارَ المَنبَع ونَبا المَربَع وأقوى المجمَع وأقفَر المَجمَع واستحالت الحال وأعوَلَ العيال وخَلَتْ المَرابط ورحم الغابط وأودَى الناطقُ والصامت ورَثى لَنا الحاسدُ والشامت وآلَ بنا الدَهْرُ المُوقِع والفَقْرُ المُدقِع الى أن احتَذَينا الوَحى واغتَذَينا الشيحى واستَبطَنا الحَوى وطَوَينا الاحشاءَ على الطَوى واكتَحلنا السُهاد واستَوطَنا الوِهاد واستَوطَأنا القَتاد وتَناسَينا الأقتاد واستَطبَنا الحينَ المُجتاح واستَبطَأنا اليومَ المُتاح فهل من حُرّ آس أو سَمح مُواس فوالذى استَخرَجَنى من قَبلُه لقد أمسَيتُ أخا عَيلة لا أملك بَيتَ لَيلة (قال الحارث بن همام) فأويتُ لمَفاقره ولَوَيتُ الى استنباط فقره فأبرَزتُ دينارا وقلت له اختبارا ان مَدَحتَه نَظما فهو لَكَ حَتما فانبرى ينشد فى الحال من غير انتحال

أكرِم به أصفَر راقَتْ صُفرَتُه * جَوّابَ آفاق تَرامَتْ سَفرَتُه
مَأثورةً سُمعَتُه وشُهرَته * قد أُودِعَتْ سرَّ الغنى أسرَّتُه
وقارَنَتْ نُجحَ المَساعى خَطرَتُه * وحُبِّبَتْ الى الأنام غُرَّتُه
كأنما من القُلوب نُقرَتُه * به يَصُول مَن حَوَتْه صُرَّته
وان تَفانَتْ أو تَوانَتْ عِترَتُه * ياحَبذا نُضارُه ونَضرَتُه
وحَبذا مَغناتُه ونُصرَتُه * كم آمِرٍ به استَتَبَّتْ أمرَتُه

ومُـتْرَف لَوْلاهُ دامَتْ حَسْرَتُه ✲ وجَيْش هَـمٍّ هَزَمْتُـه كَرَّتُه
وبَدْر تَمٍّ أنْزَلْتُـــه بَدْرَتُه ✲ ومُسْتَشِيط تَتَلَظَّى جَمْـرَتُه
أسَرَّ تَجْـواهُ فَلانَتْ شِـدَّتُه ✲ وكم أسِـيرٍ أسْلَمْتُـه أُسْرَتُه
أنْقَـذْه حتى صَـفَتْ مَسَرَّتُه ✲ وحَقِّ مَوْلًى أبْدَعَتْـه فِطْـرَتُه

لولا التُّقَى لتملتُ جلّت قدرته

ثم بَسَط يَدَه بعـدَ ما أنْشَـدَه وقال أنْجَزَ حُرٌّ ما وَعَد وسَحَّ خالٌ اذ رَعَد فَنَبَذْتُ الدينار اليه وقلت خُذْه غَيْرَ مأسُوفٍ عليه فوضَعَه فى فيه وقال بارِكْ اللهم فيه ثم شَمَّر للانْثناء بعد تَوْفِيَة الثَّناء فَنَشَأَتْ لى من فُكاهَتِه نَشْوَةُ غَرام سَهَّلَتْ عَلَىَّ ائْتِنافَ اغْتِرام فَجَرَّدْتُ دينارًا آخر وقُلْت هل لكَ فى أن تَذُمَّه ثم تَضُمَّه فأنشد مُرْتَجِلا وشَدَا عَجِلا

تَبًّـا لَهُ من خادِعٍ مُمَاذِق ✲ أصْفَرَ ذى وَجْهَيْنِ كالمُنَافِق
يَبْدُو بوَصْفَيْنِ لَعَيْنِ الرامِق ✲ زِينَةَ مَعْشُوق ولَوْنَ عاشِـق
وحُبُّه عنـد ذَوِى الحَقَـائِق ✲ يَدْعُو الى ارْتِكابِ سُخْطِ الخالِق
لولاهُ لم تُقْطَع يَمِـينُ سارِق ✲ ولا بَدَتْ مَظْلَمَةٌ من فاسِـق
ولا اشْمَأَزَّ باخِلٌ من طـارِق ✲ ولاشْتَكَا المَطْلُولُ مَطْلَ العائِق
ولااسْتُعِيذ من حَسُود رَاشِق ✲ وشَرُّ ما فيـه من الخَـلائِق
أنْ ليس يُغْنِى عنكَ فى المَضَايِق ✲ الا اذا فَـرَّ فِـرَارَ الآبِق

وَاهًا لِمَنْ يَقْـذِفُه من حَالِق ✲ ومَن اذا ناجَاهُ نَجْوَى الوامِق

قال له قَوْلَ المُحِقّ الصَادِق ✲ لا رَأْيَ فى وَصْلِكَ لى فَفارِق

فقلت له ما أَغْرَزَ وَبْلَكَ فقال والشَرْطُ أَمْلَكَ فَنَقَحْتُه بالدينار الثانى وقلتُ له عَوِّدْهما بالمَثانى فألقاهُ فى فَمِه وقَرَنَه بتَوْأَمِه وانكَفَأَ يَحْمَد مَغْدَاه ويَمْدَح النَادِىَ ونَدَاه (قال الحارث بن همام) فَنَاجانى قلبى بأنه أبو زيد وأنّ تَعَارُجَه لَكَيْد فاسْتَعَدْتُه وقلتُ له قد عُرِفْتَ بوَشِيكَ فاسْتَقِمْ فى مَشِيكَ فقال ان كنتَ بنَ هَمّام حُيِّيتَ باكْرام وحُيِيتَ بين كرام فقلتُ أنا الحارث فكيف حالُكَ والحَوادث فقال أتَقَلَّب فى الحالَيْن بُؤْس ورَخاء وأنْقَلب مع الرِّيحَين زَعْزَع ورُخاء فقلتُ كيف ادَّعَيْتَ القَزَل وما مِثْلُكَ مَن هَزَل فاسْتَسَرّ بِشْرُه الذى كان تَجَلّى ثم أنشدَ حين وَلَّى

تَعَارَجْتُ لارَغْبَةً فى العَرَجْ ✲ ولكن لأَقْرَعَ بابَ الفَـرَجْ

وأُلْقِىَ حَبْـــلى على غارِبى ✲ وأَسْلُكُ مَسْلَكَ مَن قد مَرَجْ

فان لامَنِى القَوْمُ قلتُ اعْذُرُوا ✲ فليس على أَعْرَجٍ من حَرَجْ

المقامة الحادية والعشرون الرّازيّة

(حدّث الحارث بن همّام) قال عُنيتُ مُذْ أحكَمْتُ تدبيرى وعَرَفْتُ قَبِيلِى من دَبِيرى بأن أَصْغِىَ الى العِظَات وأُلْغِىَ الكَلِمَ المُحْفِظات

لأتحلّى بمحاسن الأخلاق وأتخلّى مما يسم بالاخلاق وما زلتُ آخذ نفسى بهـذا الأدب وأُخمدُ به جمْرة الغضب حتى صار التّطبّع فيه طبـاعا والتكلّف له هوًى مُطاعا فلما حلّتْ بالرّى وقد حلّتْ حُبى الغنّى وعرفْتُ الحىّ من اللّى رأيتُ بها ذات بُكْره زُمْرةً فى اثر زُمْره وهم مُنتشرون انتشار الجراد ومُستنّون استنانَ الجياد ومُتواصفون واعظًا يقصـدونه ويُحلّون ابنَ سمْعون دُونه فلم يتكاءدْنى لاستماع المواعظ واختيار الواعظ أن أُقاسىَ اللّاغط وأحتمل الضاغط فأصحبتُ اصحابَ المطواعه وانخرطْتُ فى سلك الجماعه حتى أفضَيْنا الى ناد جمع الاميرَ والمأمور وحشـد النبيه والمغمور وفى وسط هالته ووسْط أهلّته شيخٌ قد تقوّس واقعنسس وتقلّس وتطلّس وهو يصـدع بوعْظ يشفى الصدور ويُلين الصخور فسمعتُه يقول وقد افتتنتْ به العقول ابنَ آدمَ ما أغرالكَ بما يغرُّك وأضراكَ بما يضرُّك وألهجكَ بما يُطغيـك وأبهجكَ بما يُطريك تُعنَى بما يُعنّيك وتُهمل ما يعنيك وتنزع فى قوس تعـدّيك وترتدى الحرْص الذى يُرديك لا بالكفاف تقتنع ولا من الحرام تمتنع ولا لألفاظ تستمع ولا للوعيد ترتدع دأبُك أن تتقلّب مع الأهواء وتخبط خبْطَ العشواء وهمّك أن تدأب فى الاحتراث وتجمع التراث للوارث يُعجبُك التكاثُر بما لديْك ولا تذْكُر ما بين يديك

وتَسْعَى أبدًا لغارِيك ولا تُبالى أَلَكَ أَمْ عليكَ أتظُنّ أن ستُتْرَكُ سُدَى
وأن لا تُحاسَبَ غَدًا أَمْ تَحْسب أنّ الموت يَقْبَل الرُّشَا أو يُمَيِّز بين الاسد
والرَّشَا كَلّا والله لَن يَدْفَعَ المَنُون مالٌ ولا بَنُون ولا يَنْفَع أهلَ القُبور
سوى العَمَل المَبْرُور فَطُوبَى لمَن سَمِع ووَعَى وحَقّق ما ادّعَى ونَهَى النَّفْسَ
عن الهَوَى وعَلِم أنّ الفائز مَن ارْعَوَى وأن ليس للانسان الا ما سَعَى
وأنّ سَعْيَه سوف يُرَى ثم أنشد انشادَ وَجِل بصَوْتٍ زَجِل

لَعَمْرُكَ ما تُغْنِي المَعَانِي ولا الغِنَى * اذا سَكَن المُثْرِي الثَرَى وثَوَابُه
فَخُذْ فِي مَرَاضِي الله بالمال راضيًا * بما تَقْتَنِي من أجْرِه وثَوَابِه
وبادِرْ به صَرْفَ الزمان فانه * يُخَلِّبُه الأَشْغَى يَغُول ونابُه
ولا تَأْمَنِ الدَّهْرَ الخَؤُونَ ومَكْرَهُ * فكم حامِلٍ أَخْنَى عليه ونابُه
وعاصِ هَوَى النفس الذي ما أطاعَهُ * أخو ضَلَّةٍ الأَهْوَى من عِقَابِه
وحافِظْ على تَقْوَى الاله وخَوْفِه * لتَنْجُوَ مما يُتَّقَى من عِقَابِه
ولا تَلْهِ عن تَذْكارِ ذَنْبِكَ وابْكِه * بدَمْعٍ يُضاهِي المُزْنَ حالَ مَصَابِه
ومَثِّلْ لعَيْنَيْكَ الحِمامَ ووَقْعَه * ورَوْعَةَ مَلْقَاهُ ومَطْعَمَ صَابِه
وانّ قُصَارَى مَنْزِلِ الحَيِّ حُفْرَةٌ * سَيَنْزِلُها مُسْتَنْزِلًا عن قِبَابِه
فَوَاهًا لعَبْدٍ ساءَهُ سُوءُ فِعْلِه * وأَبْدَى التَّلافِي قبلَ اغْلاقِ بابِه

قال فَظَلّ القومُ بين عَبْرَةٍ يُذْرُونها وتَوْبَةٍ يُظْهِرونها حتى كادت

الشمس تزول والفريضة تعول فلما خشعت الاصوات والتأم الانصات واستكنت العبرات والعبارات استصرخ مستصرخ بالامير الحاضر وجعل يجأر اليه من عامله الجائر والامير صاغ الى خصمه لاه عن كشف ظلمه فلما يئس من روحه استنهض الواعظ لنصحه فنهض نهضة الشمير وأنشد معرضا بالأمير

عجبـــا لراج أن ينال ولايةً * حتى اذا ما نالَ بُغْيَتَـــه بغى
يُسْدى ويُلحم فى المظالم والغًا * فى وِرْدها طَوْراً وطورا مُولغا
ما ان يُبالى حينَ يَتَّبع الهَوى * فيها أَأَصْلَحَ دينه أم أَوْتَغَا
ياوَيْحه لو كان يوقن أنه * ما حالةٌ الا تحول لَمَا طَغَى
أو لو تبيَّنَ مانَدامَتُهُ مَن صَغَى * سَمْعًا الى اثْكُ الوُشاة لَمَا صَغَا
وانْقَدْ لمن أضحى الزمامُ بكفه * وتغاضَ إن أَلْفَى الرعايةَ أو لَغَا
وارْعَ المُرارَ اذا دعالَكَ لرَعْيه * ورد الأُجاجَ اذا حَمالَكَ السَّيْغا
واحْمِلْ أَذاهُ اذا أَمَضَّكَ مَسُّهُ * وأسالَ غَرْبَ الدمع منكَ وأفْرَغا
فَلَيُضْحِكَنَّكَ الدهرُ منه اذا نَبا * عنه وشَبَّ لكَيْده نارَ الوَغَى
ولَيَنْزِلَنَّ به الشَمَاتُ اذا بدا * مُتَخَلِّيا من شُغْله مُتَفَرِّغا
ولَتَأْوِيَنَّ له اذا ما خَدَّه * أضحى على تُرْب الهَوان مُمَرَّغا
هذا له ولَسَوْفَ يُوقَفُ مَوْقِفًا * فيه يُرى رَبُّ النصاحة ألثغا

وليُحْشَرَنّ أذلّ من قُمّع القَلا * ويُحاسَبَنّ على النقيصة والشَّغا
ويُؤاخَذَنّ بما اجْتَنَى ومَن اجْتَنَى * ويُطالَبَنّ بما احْتَسَى وبما ارْتَغى
ويُناقَشَنّ على الدقائق مثلَ ما * قد كان يَصْنَع بالورَى بل أبْلَغا
حتى يَعَضّ على الولاية كَفَّه * ويَوَدّ لو لم يَبْـغِ منها ما بَغى

ثم قال أيها المُتَوَشِّح بالولايه المُتَرَشِّح للرعايه دَع الادْلال بدولتك والاغترارَ بصَوْلَتـك فان الدَّوْلَة ريحٌ قُلَّب والامْرَة بَرْقٌ خُلَّب وانّ أسْعَد الرُعاة مَن سَعدت به رَعيّته وأشْقاهُمْ فى الدارَين مَن ساءَت رعايَته فلا تَكُ ممن يَذَرُ الآخرة ويُلْغيها ويُحِبّ العاجلة ويَبْتَغيها ويَظْلِم الرَعيّة ويُؤْذيها واذا تَوَلّى سَعَى فى الارض ليُفْسِدَ فيها فوالله ما يَغْفُلُ الدَّيّان ولا تُهْمِل يا انسان ولا تُلْغِى الاساءَةُ ولا الاحْسان بَلْ سَيُوضَعُ لكُلّ الميزان وكما تَدين تُدان قال فوَجَم الوالى لمَا سَمع وامْتُقِع لَوْنُه وانْتُقِع وجعل يَتَأَفّف من الامْرة ويُرْدِف الزَفْرَةَ بالزَفْرة ثم عَمَد الى الشاكى فَأَسْكاه والى المَشْكُو منه فأشْجاه وألْطَفَ الواعظَ وحَباه واسْتَدْعى منه أن يَغْشاه فانْقَلَبَ عنه المَظْلُوم مَنْصورا والظالمُ مَحْسورا وبَرَزَ الواعظَ يَتَهادى بين رُفْقته ويَتَباهَى بفَوْز صَفْقَته واعْتَقَبْتُه أخْطو مُتَقاصرا وأُرِيه لَحْظا باصرا فلما اسْتَشَفّ ما أُخْفيه وفَطِن لتَقَلُّب طَرْفى فيه قال خَيْرُ دَليلٍ دَليلُكَ مَن أرْشَد ثم اقْتَرَبَ منى وأنشد

أنَا الذى تَعْـــرفه ياحارثُ ✲ حَدْثُ مُلُولٌ فَكَهٌ مُنَافِثُ
أُطْرِبُ مَالاتُطْرِبُ المَثَالِثُ ✲ طَوْرًا أَخُوجِدٍّ وطَوْرًا عَابِثُ
ماغَيَّرَتْنِى بَعْـدَكَ الحَوَادِثُ ✲ ولاالتَّمَى عُودِىَ خَطْبٌ كارِثُ
ولا فَرَى حَدِّىَ نَابٌ فَارِثُ ✲ بل مِخْلَبِى بِكُلِّ صَيْدٍ ضَابِثُ
وكُلُّ سَرْحٍ فيه ذِئْبِى عَائِثُ ✲ حتّى كَأَنِّى لِلأَنَامِ وَارِثُ
سَامُهُم وحَامُهُمْ ويَافِثُ

(قال الحارث بن همام) فقلت له تالله انك لأبو زيد ولقد فُتَّ لله ولا عَمْرو بن عُبَيد فهَشَّ هَشَاشَةَ الكَرِيم اذا أَمّ وقال اسمع يا ابنَ أُمّ ثم انشأ يقول

عليـــكَ بالصـــدق ولَوْ أنهُ ✲ أَحْرَقَكَ الصـدقُ بنار الوَعِيد
وابْغِ رِضَى الله فَأَبْغَى الوَرَى ✲ من أَسْخَطَ المَوْلَى وأَرْضَى العَبِيد

ثم انه وَدَّعَ أَخْدَانَه وانطلَقَ يَسْحَبُ أَرْدَانَه فَطَلَبْنَاه من بَعْدُ بالرَّى واسْتَبْشَرْنا خَبَرَه من مَدَارِج الطَّىّ فما فِينَا مَنْ عَرَف قَرَارَه ولا دَرَى أَىُّ الجَرَاد عَارَه

نُخْبة من وَصِيّة ابن سَعيد المغربى لابْنه وقد أراد السَفَر

أُودِعُكَ الرَحْمَنَ فى غُرْبَتِكْ ✲ مُرْتَقِبًا رُحْمَاهُ فى أَوْبَتِكْ
فَلاَ تُطِلْ حَبْلَ النَوَى انَّنِى ✲ والله اشْتَاقُ الى طَلْعَتِكْ

واختصر التوديع أخذًا فما ✻ لى ناظرٌ يقوى على فرقتك
واجعل وصاتى نصب عين ولا ✻ تبرح مدى الايام من فكرتك
خلاصة العمر التى حنكتْ ✻ فى ساعة زفت الى فطنتك
فللتجاريب أمـــور اذا ✻ طالعتها تشحذ من غفلتك
فـــلا تنم عن وعيها ساعةً ✻ فانها عونٌ الى يقظتـــك
وكل ما كابدته فى النـــوى ✻ ايالّ أن يكسر من همتك
فليس يدرى أصل ذى غربة ✻ وانما تعـــرف من شيمتك
وامش الهوينا مظهرًا عفةً ✻ وابغ رضا الأعين عن هيئتك
وانطق بحيث العى مستقبح ✻ واصمت بحيث الخير فى سكتتك
ولج على رزقك من بابه ✻ واقصد له ماعشت فى بكرتك
ووف كلاّ حقه ولتكن ✻ تكسر عند الفخر من حدتك
وحيثما خيمت فاقصد الى ✻ صحبة من ترجوه فى نصرتك
وللـــرزايا ونبـــة مالها ✻ الا الذى تذخر من عدتك
ولا تقـــل أسلم لى وحدتى ✻ فقد تقامى الذل فى وحدتك
ولتجعل العقـــل محكًا وخذ ✻ كلاّ بما يظهر فى نقـــدتك
واعتبر الناس بألفاظهـــم ✻ واصحب أخًا ترغب فى صحبتك
كم من صديق مظهر نصحه ✻ وفكره وقف على عـــثرتك

اياكَ أن تقْـــــرَبَه انه * عَوْنٌ مع الدهر على كُرْبَتِكْ
وأنْتُمُ تُمْـــوَ النَبْت قد زَارَه * غيْثُ النَدَى واسْمُ الى قُدْرَتِكْ
ولا تُضَيِّعْ زَمَنًا مُمْكِنًا * تَذْكارُه يُذْكى لَظى حَسْرَتِكْ
والشَّرَ مَهْما اسْطَعْتَ لا تأتِه * فانه حُورٌ على مُهْجَتِـــكْ

يابُنَيّ الذى لاناصِحَ له مِثْلى ولا مَنْصوحَ لى مِثْلُه قد قَدَّمْتُ لكَ هذا النَظْم ما ان أخْطَرْتَه بخاطرِكَ فى كل أوان رَجَوْتُ لكَ حُسْن قبة ان شاء اللهُ تعالى وانّ أخَفّ منه للحِفْظ وأعْلَق بالفِكْر وأحَق تَقَدُّم قولُ الاوّل

يَزينُ الغَريبَ اذا ماانْغَرَبْ * ثلاثٌ فَمِنْهُنّ حُسْن الادب
وثانيـــةٌ حُسْن اَخْلاقه * وثالثـــةٌ اجْتنابُ الرّيَبْ

واصْغَ يابنىّ الى البيت الذى هو يتيمة الدهر وسَلِم الكَرَم والصَبْر

ولو أنّ أوطانَ الديارِ نَبَتْ بكُمْ * لَسَكَنْتُمُ الاَخلاق والاداب

اذْ حُسْـن الخُلُق أكرَمُ نَزيل والادبُ أرْحَبُ مَنْزل ولْتَكُنْ كما قال ضهم فى أديب مُتَغَرِّب وكان كلما طَرأ على مَلأ فكأنه مَعَه وُلد واليه مَد غيرَ مُسْتَريب بدَهْره ولا مُنْكِر شيأ من أمره واذا دَعالكَ قَلْبُكَ ى صُحْبة مَن أخذ بمجامع هَواه فاجعل التَكَلُّف له سُلّما رهُبَّ فى حَوض خلاقه هُبوبَ النَسيم وحُلّ بطَرْفه حُلولَ الوَسَن وانْزل بقلبه نُزولَ

المَسَرّة حتى يَتَمَكّن لكَ وِدادُه ويَخْلُص فيكَ اعتقادُه وطَهّر من الوُقوع فيه لسانَكَ وأغْلَقْ سَمْعَكَ ولا تُرَخّص فى جانبه لحَسُود لكَ منـه يُريد ابْعادَكَ عنه لمنفعة أو حَسود له يَغارُ لتَجَمُّله بصُحْبتكَ ومع هذا فلا تَغْتَرّ بطول صحبته ولا تَمْهَد بدوام رَقْدته فقد يُنَبِّهُه الزمان ويَتَغَيّر منه القلب واللسان وانما العاقل مَن جَعل عَقْله مِعْيارا وكان كالمرآة يَلْقى كل وجه بمثاله وفى أمثال العامة من سَبَقَكَ بيوم فقد سَبَقكَ بعَقْل فاحْتَذ بأمثلة مَن جَرّب واسْمَع الى ماخَلّد الماضُون بعد جَهْدهم وتَعبهم من الاقوال فانها خُلاصـة عُمْرهم وزُبْدة تَجارِبهم ولا تَتّكل على عَقْلكَ فانّ النَظَر فيما تَعب فيه الناسُ طُولَ أعمارهم وابْتاعُوه غالِيًا بتَجارِبهم يُرْبحُكَ ويَقع عليكَ رَخيصا وان رأيتَ مَن له عقل ومُروءة وتَجْربة فاسْتَفِدْ منـه ولا تُضَيّع قولَه ولا فعْله فانّ فيما تَلْقاه تَلْقيحا لعقلكَ وحَثّا لكَ واهتداءً وليس كل ما تَسْمع من أقوال الشُعَراء يَحْسُـن بكَ أن تَتّبعه حتى تَتَدَبّره فان كان مُوافقا لعقلكَ مُصْلحا لحالكَ فَراعِ ذلكَ عنـدكَ والا فانْبِذْه نَبْذَ النَواة فليس لكل أحد يُتَبَسّم ولا كل شخص يُكَلّم ولا الجُود مما يُعَمّ به ولا حُسْن الظّنّ وطيبُ النَفْس مما يُعامَل به كلُّ أحد ولله درّ القائل

ومالِى لا أُوفِى البَرِيّةَ قِسْـطَها ✻ على قَدْر مايُعْطِى وعَقْلِى مِيزانُ

واياك أن تُعطى من نفسك الا بقدر فلا تُعامل الدُّونَ بمعاملة الكُفء ولا الكُفءَ بمعاملة الأعلى ولا تُضيّع عُمرك فيمن يُعاملك بالمطامع ويُثيبك على مصلحة حاضرة عاجلة بغائبة آجلة ولا تجُفُّ الناسَ بالجملة ولكن يكونُ ذلك بحيث لا يلحق منه مَلَل ولا ضجر ولا جفاء فمتى فارقتَ أحدًا فعلى حُسنى فى القول والفعل فانك لا تدرى هل أنتَ راجعُ اليه فذلك قال الاول (ولما مضى سَلْم بكيتُ على سَلْم) واياك والبيت السائر

وكنتَ اذا حللتَ بدار قوم * رحلتَ بخُزية وتركتَ عارا

واحرص على ما جمع قول القائل ثلاثةٌ تُبقى لك الوُدَّ فى صدر أخيك أن تبدأه بالسلام وتوسّع له فى المجلس وتدعوه بأحبّ الأسماء اليه واحذر كل ما بيّنه لك القائل كل ما تغرسه تجنيه الا ابن آدم فانك تغرسه يتقاعُد وقول الآخر ابن آدم ذئب مع الضعف أسدٌ مع القوّة واياك أن تثبت على صُحبة أحد قبل أن تُطيل اختباره . ويحكى أن ابن المقفع خطب من الخليل صُحبته فأجابه انّ الصُّحبة رِق ولا أضع رِقى فى يدك حتى أعرف كيف مَلَكتُك واستملك من عين من تُعاشره وتفقد فى فلتات الألسن وصفحات الأوجه ولا يحملك الحياء على السكوت عما يشترك أن لا تبيّنه فانّ الكلام سلاح السِّلم وبالأنين يُعرف الم الجُرح واجعل لكل أمر أخذت فيه غايةً تجعلها نهاية لك

وخُذْ من الدهر ما أتاكَ به ✻ مَن قَرَّ عَيْنًا بعَيْشِـه نَفَعَه

اذ الافكار تَجْلُب الهُموم وتُضاعف الغُموم ومُلازَمة القُطوب عُنْوان المَصائب والخُطوب يَسْتَريب به الصاحب ويَشْمَت العَدُوّ والمُجانب ولا تَضُرّ بالوَساوس الا نَفْسَكَ لأنكَ تَنْصُر بها الدهر عليكَ ولله در القائل

اذا ما كنتَ للاحزان عَوْنًا ✻ عليكَ مع الزمان فَمَنْ تَلُوم

مع انه لا يَرُدّ عليكَ الغائبَ الحُزْن ولا يَرْعَوِي بطُول عَتْبِكَ الزَمَنُ ولقد شاهَدْتُ بغَرْناطَة شَخْصا قد ألِفَتْه الهُموم وعَشِقَتْه الغُموم ومن صِغَره الى كِبَره لا تَراه أبدا خَلِيًا من فِكْرَة حتى لُقِّب بصَدْر الهَمّ ومن أعْجَب ما رأيتُه منه انه يَتَنَكَّد فى الشِدّة ولا يَتَعَلَّل بأن يكونَ بَعْدَها فَرَج ويَتَنَكَّد فى الرَّخاء خَوفا من أن لا يَدُوم ويُنْشِد

✻ تَوَقَّعْ زَوالًا اذا قيلَ تَمّ ✻ وينشد ✻ وعند التَناهِي يَقْصُر المُتَطاوِل ✻

وله من الحكايات فى هذا الشأن عجائب ومثل هـذا عُمْرُه مَحْسور يُمَرّ ضَياعا ومتى رَفَعَكَ الزمانُ الى قومٍ يَذُمّون من العِلْم ما تُحْسِنه حَسَدًا لكَ وقَصْدًا لتَصْغير قَدْرِكَ عندكَ وتَزْهيدا لكَ فيه فلا يَحْمِلْكَ ذلكَ على أن تَزْهَد فى عِلْمِكَ وتَرْكَن الى العِلْم الذى مَدَحُوه فتكونَ مِثْلَ الغُراب الذى أعْجَبَه مَشْيُ الحَجَلة فَرامَ أن يَتَعَلَّمَه فَصَعُب عليه ثم أراد أن يرجع الى مَشْيِه فنَسِيَه فبَقِيَ مُخْبَل المَشْى كما قيل

انّ الغراب وكان يمشي مشيةً * فيما مضى من سالف الأجيال
حسد القطا وأراد يمشي مشيها * فأصابه ضربٌ من العقّال
فاضل مشيتك وأخطأ مشيها * فلذاك كنّوه أبا مرقال

ولا يفسد خاطرك من جعل يذمّ الزمان وأهله ويقول ما بقي في الدنيا كريم ولا فاضل ولا مكان يرتاح فيه فانّ الذين تراهم على هذه الصفة أكثر ما يكونون ممن جمد الحرمان واستحقّت طلعته الهوان وأبرموا على الناس بالسؤال فمقتوهم وعجزوا عن طلب الامور من وجوهها فاستراحوا الى الرقوع في الناس وأقاموا الأعذار لأنفسهم بقطع أسبابهم ولا تزل هذين البيتين من فكرك

ان اذا نالت عزّا * فأخو العزّ يلين
واذا نابك دهرٌ * فكما كنت تكون

والامثال تضرب لذي اللبّ الحكيم وذو البصر يمشي على الصراط المستقيم والفدن يقنع بالقليل ويستدلّ باليسير والله سبحانه خليفتي عليك لذ به سؤلك

الجامع الازهـــر

هذا الجامع أول مسجد أسّس بالقاهرة والذي أنشأه القائد جوهر الكاتب المعزلي مولى الامام أبي تميم معدّ الخليفة أمير المؤمنين المعزّ

لدين الله لمّا اختطّ القاهرة وشُرِعَ فى بناء هذا الجامع فى يوم السبت لستّ بقين من جُمَادَى الاولى سنة تسع وخمسين وثلاثمائة وكُمل بناؤه لتسعٍ خلون من شهر رمضان سنة احدى وستين وثلاثمائة وجُمِّع فيه وكُتب بدائر القبّة التى فى الرّواق الاول وهى على يمنة المحراب والمنبر مانصه بعد البسملة مما أمر ببنائه عبد الله ووليه أبو تميم معد الامام المعز لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الاكرمين على يد عبده جوهر الكاتب الصقلى وذلك فى سنة ستين وثلاثمائة وأول جمعة جُمِّعت فيه فى شهر رمضان لسبع خلون منه سنة احدى وستين وثلاثمائة ثم ان العزيز بالله أبا منصور نزار بن المعز لدين الله جدّد فيه أشياء وفى سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة سأل الوزير أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس الخليفة العزيز بالله فى صلة رزق جماعة من الفقهاء فأطلق لهم مايكفى كل واحد منهم من الرزق الناضّ وأمر لهم بشراء دار وبنائها فَبُنيَت بجانب الجامع الازهر فاذا كان يوم الجمعة حضروا الى الجامع وتحلّقوا فيه بعد الصلاة الى أن تُصَلَّى العصر وكان لهم أيضا من مال الوزير صلة فى كل سنة وكانت عدّتهم خمسة وثلاثين رجلا وخلع عليهم العزيز يوم عيد الفطر وحملهم على بغلات ويقال ان بهذا الجامع طلسما فلا يسكنه عصفور ولايفرخ به وكذا سائر الطيور

من الحمام والحمام وغيره وهو صورة ثلاثة طيور منقوشة كل صورة على رأس عمود فيها صورتان فى مقدم الجامع بالرواق الخامس منها صورة فى الجهة الغربية فى العمود وصورة فى احدى العمودين اللذين على يسار من استقبل سدة المؤذنين والصورة الاخرى فى الحجر فى الاعمدة القبلية مما يلى الشرقية ثم ان الحاكم بأمر الله جدده ووقف على الجامع الازهر وجامع المقس والجامع الحاكمى ودار العلم بالقاهرة رباعًا بمصر ثم ان المستنصر جدد هذا الجامع أيضا وجدده الحافظ لدين الله وأنشأ فيه مقصورة لطيفة تجاور الباب الغربى الذى فى مقدم الجامع بداخل الرواقات عُرفت بمقصورة فاطمة من أجل ان فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنها رؤيت بها فى المنام ثم انه جُدّد فى أيام الملك الظاهر بيبرس البندقدارى قال القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر فى كتاب سيرة الملك الظاهر لما كان يوم الجمعة الثامن عشر من ربيع الاول سنة خمس وستين وستمائة أقيمت الجمعة بالجامع الازهر بالقاهرة وسبب ذلك ان الامير عز الدين أيدمر الحلى كان جار هذا الجامع من مدة سنين فرجى وفقه الله حرمة الجار ورأى أن يكون كما هو جاره فى دار الدنيا انه عسى يكون ثوابه جاره فى تلك الدار ورسم بالنظر فى أمره وانتزع له أشياء مغصوبة كان شئ منها فى أيدى جماعة وحاط أموره حتى جمع

له شيأ صالحا وجرى الحديث فى ذلك فتبرع الامير عز الدين له بجملة مستكثرة من المال الجزيل وأطلق له من السلطان جملة من المال وشرع فى عمارته فعمّر الواهى من أركانه وجدرانه وبيّضه وأصلح سقوفه وبلّطه وفرشه وكساه حتى عاد حَرَما فى وسط المدينة واستجدّ به مقصورة حسنة وأثر فيه آثارا صالحة يثيبه الله عليها وعمل الامير بيلبك الخازندار فيه مقصورة كبيرة رتب فيها جماعة من الفقهاء لقراءة الفقه على مذهب الامام الشافعى رحمه الله ورتب فى هذه المقصورة محدّثا يُسْمِع الحديث النبوى والرقائق ووقف على ذلك الاوقاف الدارّة ورتّب به سبعة لقراءة القرآن الكريم ورتّب به مدرّسا أثابه الله على ذلك ولما تكمل تجديده تحدث فى اقامة جمعة فيه فنودى فى المدينة بذلك واستخدم له الفقيه زين الدين خطيبا وأقيمت الجمعة فيه فى اليوم المذكور وحضر الأتابك فارس الدين والصاحب بهاء الدين على بن حنا وولده الصاحب فخر الدين محمد وجماعة من الامراء والكبراء وأصناف العالم على اختلافهم وكان يوم جمعة مشهودا ولما فرغ من الجمعة جلس الامير عز الدين الحلى والاتابك والصاحب وقرئ القرآن ودعى للسلطان وقام الامير عز الدين ودخل الى داره ودخل معه الامراء فقدّم لهم كل ماتشتهى الانفس وتلذ الاعين وانفصلوا وكان قد جرى الحديث فى أمر جواز الجمعة فى الجامع

وما ورد فيه من أقاويل العلماء وكُتب فيها فُتيا أُخذ فيها خطوط العلماء بجواز الجمعة فى هـذا الجامع واقامتها فكتب جماعة خطوطهم فيها وأقيمت صلاة الجمعة به واستمرت ووجد الناس به رفقا وراحة لقربه من الحارات البعيدة من الجامع الحاكمى قال وكان سقف هـذا الجامع قد بنى قصيرا فزيد فيه بعد ذلك وعلا ذراعا واستمرت الخطبة فيه حتى بنى الجامع الحاكمى وانتقلت الخطبة اليه فان الخليفة كان يخطب فيه خطبة وفى الجامع الازهر خطبة وفى جامع ابن طُولُون خطبة وفى جامع مصر خطبة وانقطعت الخطبة من الجامع الازهر لما استبدّ السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بالسلطنة فانه قلد وظيفة القضاء لقاضى القضاة صدر الدين عبدالملك بن درباس فعمل بمقتضى مذهبه وهو امتناع اقامة الخطبتين للجمعة فى بلد واحد كما هو مذهب الامام الشافعى فأبطل الخطبة من الجامع الازهر وأقر الخطبة بالجامع الحاكمى من أجل انه أوسع فلم يزل الجامع الازهر معطلا من اقامة الجمعة فيه مائة عام من حين استولى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الى ان أعيدت الخطبة فى أيام الملك الظاهر بيبرس كما تقدم ذكره ثم لما كانت الزلزلة بديار مصر فى ذى الحجة سنة اثنتين وسبعمائة سقط الجامع الازهر والجامع الحاكمى وجامع مصر وغيره فتقاسم امراء الدولة عمارة الجوامع

فتولى الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير عمارة الجامع الحاكمى وتولى الامير سلار عمارة الجامع الازهر وتولى الامير سيف الدين بكتمر الجوكندار عمارة جامع الصالح فجددوا مبانيها وأعادوا ماتهدم منها ثم جددت عمارة الجامع الازهر على يد القاضى نجم الدين محمد بن حسين بن على الاسْعَرْدى محتسب القاهرة فى سنة خمس وعشرين وسبعمائة ثم جددت عمارته فى سنة احدى وستين وسبعمائة عند ماسكن الامير الطواشى سعد الدين بشير الجامدار الناصرى فى دار الامير فخر الدين أبان الزاهدى الصالحى النجمى بخُطّ الابارين بجوار الجامع الازهر بعد ماهدمها وعمرها داره التى تعرف هنالك الى اليوم بدار بشير الجامدار فأحَبّ لقُرْبه من الجامع أن يُؤَثِّر فيه أثرا صالحا فاستأذن السلطان الملك الناصر حسن بن محمد ابن قلاوون فى عمارة الجامع وكان أثيرا عنده مُخَصَّصا به فأذن له فى ذلك وكان قد استجدّ بالجامع عدّة مَقاصير ووُضِعَتْ فيه صناديق وخزائن حتى ضيّقته فأخرج الخزائن والصناديق ونَزَع تلك المقاصير وتَتَبّع جُدْرانه وسقوفه بالاصلاح حتى عادت كأنها جديدة وبيّض الجامع كله وبلّطه ومنع الناس من المرور فيـه ورتب فيه مصحفا وجعل له قارئا وأنشأ على باب الجامع القبلى حانوتا لتسبيل الماء العذب فى كل يوم وعمل فوقه مَكْتَبَ سبيلٍ لاقراء أيتام المسلمين كتاب الله العزيز ورتب للفقراء المجاورين

طعاما يُطْبخ كل يوم وأنزل اليـه قدورا من نحاس جعلها فيه ورتب فيه درسا للفقهاء من الحنفية يجلس مُدَرّسهم لالقـاء الفقه فى المحراب الكبير ووقف على ذلك أوقافا جليلة باقية الى يومنا هذا ومؤذنو الجامع يدعون فى كل جمعـة وبعد كل صـلاة للسلطان حسن الى هذا الوقت وفى سنة أربع وثمانين وسبعمائة وُلّى الامير الطواشى بَهادُر المقدّم على المماليك السلطانيـة نَظَرَ الجامع الازهر فتنجّز مرسومَ السلطان الملك الظاهر برقوق بأنّ من مات من مجاورى الجامع الازهر عن غير وارث شرعى وترك موجودا فانه يأخُـذُه المجاورون بالجامع ونقش ذلك على حجر عند الباب الكبير البحرى وفى سنة ثمانمائة هدمت منارة الجامع وكانت قصيرة وعُمّرت أطول منها فبلغت النفقة عليها من مال السلطان خمسة عشر ألف درهم نَقْرة وكملت فى ربيع الآخر من السنة المذكورة فَعُلّقت القناديل فيها ليلة الجمعة من هذا الشهر وأُوقدت حتى اشـتعل الضوء من أعلاها الى أسفلها واجتمع القراء والوعاظ بالجامع وتَلَوا ختمة شريفة ودَعَوا للسلطان فلم تزل هذه المئذنة الى شوال ستة سبع عشرة وثمانمائة فهُدمت لميْل ظَهَر فيها وعُمـل بَدلها منـارة من حجر على باب الجامع البحرى بعد ماهدم البـاب وأعيـد بناؤه بالحجر وركبت المنارة فوق عقده وأُخذ الحجر لها من مدرسة الملك الاشرف خليل التى كانت

تجاه قلعة الجبل وهدمها الملك الناصر فرج ابن برقوق وقام بعمارة ذلك الامير تاج الدين الشوبكي والى القاهرة ومحتسبها الى أن تمت فى جمادى الآخرة سنة ثمان عشرة وثمانمائة فلم تقم غير قليل ومالت حتى كادت تسقط فهدمت فى صفر سنة سبع وعشرين وأعيدت وفى شوّال منها ابتدئ بعمل الصهريج الذى فى وسط الجامع فوجد هنالك آثار فسقية ماء ووجد أيضا رمم أموات وتم بناؤه فى ربيع الاول وعمل باعلاه مكان مرتفع له قبة يُستَظَل فيه الماء وغُرس بصحن الجامع أربع شجرات فلم تفلح وماتت ولم يكن لهذا الجامع ميضأة عند ما بنى ثم عملت ميضأته حيث المدرسة الاقبغاوية الى أن بنى الامير أقبغا عبدالواحد مدرسته المعروفة بالمدرسة الاقبغاوية هنالك وأما هذه الميضأة التى بالجامع الآن فان الامير بدر الدين جنكل بن البابا بناها ثم زيد فيها بعد سنة عشر وثمانمائة ميضأة المدرسة الاقبغاوية وفى سنة ثمان عشرة وثمانمائة ولى نظر هذا الجامع الامير سودوب القاضى حاجب الحجاب فجرت فى أيام نظره حوادث لم يتفق مثلها وذلك انه لم يزل فى هذا الجامع منذ بنى عدة من الفقراء يلازمون الاقامة فيه وبلغت عدتهم فى هذه الايام سبعمائة وخمسين رجلا مابين عجم وزيالعة ومن أهل ريف مصر ومغاربة ولكل طائفة رواق يعرف بهم فلا يزال الجامع عامرا بتلاوة القرآن

ودراسته وتلقينه والاشتغال بأنواع العلوم الفقه والحديث والتفسير والنحو ومجالس الوعظ وحلق الذكر فيجد الانسان اذا دخل هذا الجامع من الانس بالله والارتياح وترويح النفس مالا يجده فى غيره وصار أرباب الاموال يقصدون هذا الجامع بأنواع البر من الذهب والفضة والفلوس اعانةً للمجاورين فيه على عبادة الله تعالى وكلّ قليل تُحمَل اليهم أنواع الاطعمة والخبز والحلاوات لاسيما فى المواسم فأمر فى جمادى الاولى من هذه السنة باخراج المجاورين من الجامع ومنعهم من الاقامة فيه واخراج ما كان لهم فيه من صناديق وخزائن وكراسى المصاحف زعما منه ان هذا العمل مما يثاب عليه وما كان الا من أعظم الذنوب وأكثرها ضررا فانه حل بالفقراء بلاء كبير من تشتت شملهم وتعذر الاماكن عليهم فساروا فى القرى وتبذلوا بعد الصيانة وفقد من الجامع أكثر ما كان فيه من تلاوة القرآن ودراسة العلم وذكر الله ثم لم يرضه ذلك حتى زاد فى التعدى وأشاع أن أناسا يبيتون بالجامع ويفعلون فيه منكرات وكانت العادة قد جرت بمبيت كثير من الناس فى الجامع ما بين تاجر وفقيه وجندى وغيرهم منهم من يقصد بمبيته البركة ومنهم من لايجد مكانا يُؤويه ومنهم من يَستَروح بمبيته هنالك خصوصا فى ليالى الصيف وليالى شهر رمضان فانه يمتلئ صحنه وأكثر رواقاته فلما كانت ليلة

الاحد الحادى عشر من جمادى الآخرة طرق الامير سودوب الجامع بعد العشاء الآخرة والوقت صيف وقبض على جماعة وضربهم فى الجامع وكان قد جاء معه من الأعوان والغلمان وغوغاء العامة ومن يريد النهب جماعة كَثَل بمن كان فى الجامع أنواع البلاء ووقع فيهم النَّهْب فأُخِذَت فُرُشهم وعمائمهم وفُتِّشَت أوساطهـم وسُلبوا ما كان مربوطا عليها من ذهب وفضـة وعَمل ثوبا أسودَ للمنبر وعَلَمَين مُزَوَّقين بلغت النفقة على ذلك خمســة عشر ألف درهـم على مابلغنى فعاجل الله الامير سودوب وقبض عليه السلطان فى شهر رمضان وسجنه بدمشق

ذكر جامع دِمَشق المعروف بجامع بنى أُمَيّة

وهو أعظم مساجد الدنيا احتفالا وأتقنها صناعة وأبدعها حسنا وبهجة وكمالا ولا يُعْلَم له نظير ولا يوجَد له شبيه وكان الذى تولى بناءه واتقانه أمير المؤمنين الوليـد بن عبد الملك بن مروان ووَجّه الى ملك الروم بقسطنطينية يأمره أن يبعث له الصُّنَّاع فبعث اليـه اثنى عشر ألف صانع وكان موضع المسجد كنيســة فلما افتتح المسلمون دمشق دخل خالد بن الوليـد رضى الله عنه من احدى جهاتها بالسيف فانتهى الى نصف الكنيسة ودخل أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه من الجهة الغربيـة صلحا فانتهى الى نصف الكنيسة فصنع المسلمون من نصف

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهم ونستعينك ونصلي ونسلم على صفوتك من خليقتك سيدنا ومولانا محمد الذى آتيته جوامع الكلم وأنزلت عليه كتابك المبين معجزا لجميع العالمين وعلى آله وصحبه الذين قاموا بهديه خير قيام فاشرقت بهم أنوار المدنية القويمة على جميع الانام

أما بعد فهذا كتاب قد جمعناه لتلاميذ المدارس الثانوية وصدرناه بمقدمة طويلة بينا فيها حالة اللغة العربية قبل الاسلام وبعده وسعتها لتدوين العلوم على كثرتها واختلافها وفضلها على المدنية التى عمت جميع الممالك الاسلامية لبيان عظمتها واتساعها ثم أتبعنا ذلك بتراجم بعض المشهورين من الشعراء والكتاب والخطباء والعلماء ثم أثبتنا بعض المختارات من النثر والنظم فى كل عصر لتكون معتمد التلاميذ فى معرفة كثير من مفردات اللغة النافعة وأساليبها الحسنة المختلفة ومعانيها الشريفة وتراكيبها المتينة فصار هذا الكتاب بذلك كتاب أدب ومطالعة ومختارات للحفظ يجد فيه التلميذ ضالته التى ينشدها وبغيته التى يطلبها

ولما كانت كل أعمال الانسان فى ابتدائها ناقصة لم تصل الى درجة كمالها كان لنا الامل فى أن يكون هذا الكتاب فى المستقبل أكمل مما هو عليه الآن بعد اعادة طبعه والله الموفق .